

مركز البحوث والدراسات
للكنيسة القبطية
بنين

طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

٤/٦

البصخة المقدسة

التاريخ الطقسي / طقوس الصلوات

الجزء الثاني



طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

٤/٦

البصخة المقدسة

التاريخ الطقسي / طقوس الصلوات

الجزء الثاني

الكتاب: البصحة المقدّسة - التاريخ الطقسي، طقوس الصلوات

الجزء الثاني

الكاتب: الراهب القس أناسيوس المقاري

(راهب من الكنيسة القبطية)

المطبعة: دار نوبار. ٦ شارع مدرسة المعلمين، شبرا، القاهرة

الطبعة: الأولى، يناير ٢٠١٠م

الترقيم الدولي: 7 - 7407 - 17 - 977

رقم الإيداع بدار الكتب: ١٥٣٠٣ / ٢٠٠٩

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

عمن النسخة ١٥ جنيهاً



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

المحتويات

- ١٣ مقدّمة عامة
- ١٥ بيان بالمخطوطات المستخدمة في هذه الدّراسة
- ١٥ أولاً: مخطوطات ترتيب البيعة
- ١٦ ثانياً: مخطوطات كتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"
- ٢٠ ثالثاً: مخطوطات ترتيب جُمعة الآلام المحيية
- ٢٣ رابعاً: مخطوطات قطمارس أسبوع البصحة المقدّسة

الباب الأوّل: خميس العهد الجديد

- ٢٩ الفصل الأوّل: رؤية عامة ليوم خميس العهد الجديد
- ٣٠ تمهيد
- ٣٣ مسمّيات هذا اليوم
- ٣٤ أحداث يوم خميس العهد بين التّقليد اليهودي وميلاد العهد الجديد
- ٤١ أقدم العادات التي شاعت عن طقس خميس العهد
- ٤٥ طقس يوم الخميس الكبير في الكنيسة الجامعة
- ٤٥ في القرون المبكّرة
- ٤٦ حول طقس غسل الأرجل في خدمة هذا اليوم
- ٥١ بعض السّمات التي تميّز ليتورجية هذا اليوم في الكنائس المختلفة
- ٥٣ الفصل الثّاني: طقوس صلوات سحر خميس العهد في الكنيسة القبطية
- ٥٤ أولاً: طقس صلوات باكر خميس العهد عند ابن سباع
- ٥٦ تعقيب على طقس صلوات باكر خميس العهد عند ابن سباع
- ٥٩ ثانياً: طقس صلوات باكر خميس العهد عند ابن كبر
- ٦٠ تعقيب على ما يذكره ابن كبر في ترتيب سحر خميس العهد

- ٦٦ ثالثاً: ما يذكره "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)"
- رباعاً: ترتيب سَحَر خميس العهد بحسب "مخطوط ترتيب البيعة
- ٦٩ رقم (١١٨. طقوس) بالدَّار البطريركيّة بالقاهرة ١٩١١م
- ٧٦ تعقيب على بعض العناصر الليتورجيّة لصلوات سَحَر خميس العهد
- ٧٦ أرباع النَّاقوس في سَحَر خميس العهد الجديد
- ٧٧ تسبحة الملائكة في باكر خميس العهد الجديد
- ٧٩ حول ترتيل الذُّكُصولوجيَّات في باكر يوم خميس العهد
- ٨٠ حول فصل الإبركسيس ومقدّمته
- ٨٢ قطعة روميّة لتبكيّت يهوذا
- ٨٦ ترتيل المزمور باللّحن الشّامي وفصل الإنجيل المقدّس
- ٨٧ عظة باكر يوم خميس العهد
- ٨٩ سواعي البصحة المقدّسة يوم الخميس الكبير
- ٩٠ لمحة عن يوم خميس العهد في الكنيسة الأرمنيّة
- ٩١ **الفصل الثالث: ترتيب لِقَان خميس العهد**
- ٩٢ معني كلمة "لِقَان" font - Λακανη - κολυμβήθρα
- ٩٣ أولاً: ترتيب صلوات لِقَان خميس العهد عند ابن سباع
- ٩٤ ثانياً: ترتيب اللِقَان بحسب مخطوطات القطمارسات قيد الدّراسة
- ١٠٧ ثالثاً: ترتيب صلوات لِقَان خميس العهد عند ابن كبر
- ١١٣ رباعاً: "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)"
- خامساً: "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار
- ١١٦ البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م
- ١٢٧ تعقيب على بعض العناصر الليتورجيّة لصلوات اللِقَان
- ١٢٨ تجهيز اللِقَان والطّاس
- ١٣٠ أرباع النَّاقوس
- ١٣٢ الثُّبُوتات والعظة
- ١٣٦ الطّواف بالبُخور في الكنيسة
- ١٣٨ المزمور والإنجيل

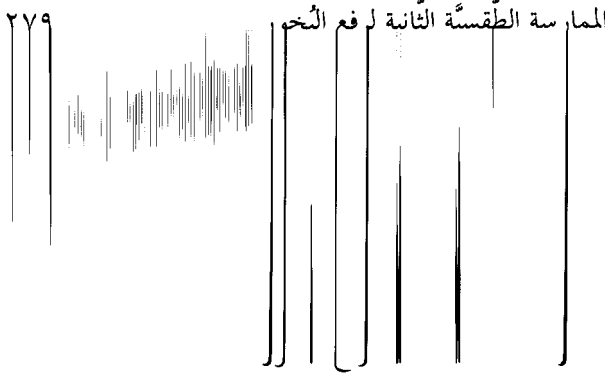
- ١٣٩ الأواشي السبع الكبار
- ١٤٢ الطلبة
- ١٤٤ مقدّمة عن قُدّاس اللقّان
- ١٤٦ هل يصلح أن يُقال أسبسموس آدام في قُدّاس الماء؟
- ١٤٨ في قُدّاس الماء
- ١٥٠ صلوات التّحليل
- ١٥١ غسل الأرجل بالماء
- ١٥٤ إِبصاليّة وصلاة شكر في نهاية قُدّاس اللقّان
- ١٥٤ ملاحظة ختاميّة
- ١٥٥ إطلالة على طقس لقّان خميس العهد في الكنيسة البيزنطيّة
- ١٦٣ الفصل الرابع: طقس صلوات قُدّاس خميس العهد
- ١٦٤ تمهيد
- ١٦٤ الملاحظة الجوهرية الأولى
- ١٦٦ الملاحظة الجوهرية الثانية
- ١٦٨ أولاً: ما يذكره ابن سباع عن قُدّاس يوم الخميس الكبير
- ١٦٨ ثانياً: ما يذكره ابن كبر عن قُدّاس يوم الخميس الكبير
- ١٧١ ثالثاً: ما يذكره "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)"
- ١٧٢ تعقيب على ما تذكره المخطوطات الأخرى قيد الدّراسة
- رابعاً: نص ما يذكره "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس)
بالدّار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م" عن ترتيب
قُدّاس خميس العهد، بالمقارنة مع كتاب دلال وترتيب
جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م
- ١٧٥ شرح لبعض العناصر الليتورجية المختصّة بقُدّاس خميس العهد
- ١٨٠ أولاً: عدم ترديد اللي القربان، ومرده الذي يعقبه
- ١٨٠ ثانياً: عدم ترديد مرد دورة الحَمَل
- ١٨٣ ثالثاً: عدم ترديد صلوات التّحليل في قُدّاس يوم الخميس الكبير
- ١٨٥ ملاحظات عامة على صلوات التّحليل السّابق ذكرها
- ١٨٧

- ١٩٣ رابعاً: قراءتان فقط في قُدَّاس الكلمة بدلاً من أربع قراءات
- ١٩٦ خامساً: لا وجود للقِبلة المقدَّسة في خدمة هذا اليوم
- ١٩٩ سادساً: عدم تقديم الشَّعب للقرايين في خدمة هذا اليوم
- سابعاً: لا يقال بجمع القُدَّيسين في صلوات القُدَّاس الإلهي
- ٢٠٦ ليوم الخميس الكبير
- ٢٠٨ تامناً: لا يقول الكاهن "أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم"
- ٢١٠ تاسعاً: التناول من الأسرار المقدَّسة في يوم الخميس الكبير

الباب الثاني: يوم الجمعة العظيمة

- ٢١٧ الفصل الأوَّل: رؤية عامة ليوم الجمعة العظيمة
- ٢١٨ تمهيد
- ٢٢٠ أحداث هذا اليوم المهيب
- ٢٢٠ القبض على يسوع
- ٢٢٢ محاكمة يسوع أمام رئيس الكهنة
- ٢٢٦ إصدار الحُكم على يسوع
- ٢٢٧ إنكار بطرس ليسوع
- ٢٢٧ إقامة شهود زور
- ٢٢٧ تمزيق رئيس الكهنة لثيابه
- ٢٢٧ الحُكم بملوت ليسوع مصلوباً
- ٢٢٨ ندم يهوذا بعد فوات الأوان
- ٢٢٨ إرسال يسوع إلى بيلاطس الوالي
- ٢٣٠ إرسال يسوع إلى هيرودس الملك
- ٢٣١ وقوف يسوع أمام بيلاطس مرَّة ثانية
- ٢٣٢ جلد يسوع
- ٢٣٣ في طريق الصَّليب
- ٢٣٤ صلب يسوع
- ٢٣٨ المريمات عند الصَّليب

- ٢٣٨ كلمات يسوع السبع على الصليب
- ٢٤٥ الفصل الثاني: طقس صلوات ليلة الجمعة العظيمة
- ٢٤٦ ابن سباع
- ٢٤٦ مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة
- ”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية“
- ٢٤٧ بالقاهرة لسنة ١٩١١م“:
- ٢٥١ الفصل الثالث: طقس صلوات يوم الجمعة العظيمة
- ٢٥٢ تمهيد
- ٢٥٤ لحن مصري قديم جداً مسجّل باليونانية على ورق البردي
- ٢٥٦ السّاعة الأولى من يوم الجمعة العظيمة
- ٢٥٦ أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطقسية القديمة
- ٢٥٦ ثانياً: تعقيب وشرح على باكر يوم الجمعة العظيمة
- ٢٦٠ السّاعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة
- ٢٦٠ أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطقسية القديمة
- ٢٦٣ ثانياً: تعقيب وشرح على السّاعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة
- ٢٦٣ حول التّعليمات الطقسية بتجهيز الكنيسة ليوم الصليب
- ٢٦٣ حول قراءات هذه السّاعة الثالثة
- ٢٦٧ السّاعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة
- ٢٦٧ أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطقسية القديمة
- ٢٧٥ ثانياً: تعقيب وشرح للسّاعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة
- ٢٧٦ بدء صلوات السّاعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة
- ٢٧٦ نبوّات السّاعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة
- ٢٧٧ رفع البخور أمام أيقونة الصلّوب
- ٢٧٧ كشف الكهنة لرؤوسهم عند بدء رفع البخور
- ٢٧٨ المفهوم اللّيتورجي لطقس ”رفع البخور“
- ٢٧٨ الممارسة الطقسية الأولى لرفع البخور



- ٢٨٤ تزامن رفع البخور مع ترتيل لحن العذراء
- ٢٨٥ لحن العذراء "هذه الجمرة الذهب ..."
- ٢٨٦ لحن الصليب
- ٢٨٨ فصل البولس
- ٢٩٠ قطع الساعة السادسة
- ٢٩١ لحن Ὁ ΜΟΝΟΓΕΝΗΣ (أومونوجينيس) "أيها الابن الوحيد ..."
- ٢٩٤ القطع اليونانية التي تسبق الثلاثة تقديسات
- ٢٩٥ الثلاثة تقديسات
- ٢٩٦ المزمور والإنجيل
- ٢٩٧ الطرح والطلبه وختام الصلاة
- ٢٩٨ أمانة اللص
- ٣٠٤ الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة
- ٣٠٤ أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطقسية القديمة
- ٣٠٦ ثانياً: تعقيب وشرح للساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة
- ٣٠٧ وقت إيقاد الشموع والأنوار في الكنيسة
- ٣١٠ النبوات
- ٣١٠ لحن العذراء ورفع البخور
- ٣١٠ فصل البولس
- ٣١٣ قطع الساعة التاسعة
- ٣١٤ لحن أجوس قبل المزمور الأدربي
- ٣١٥ الطرح
- ٣١٦ نزول المسيح إلى الجحيم في فكر آباء الكنيسة
- ٣٣٦ الساعة الحادية عشرة من يوم الجمعة العظيمة
- ٣٣٦ أولاً: ما تقوله المخطوطات والمصادر الطقسية القديمة
- ٣٣٨ ثانياً: تعقيب وشرح للساعة الحادية عشرة من يوم الجمعة العظيمة
- ٣٣٨ النبوات

٣٣٩ العظة
٣٣٩ فصل البولس
٣٣٩ المزمور والأنجيل
٣٤٠ السّاعة الثّانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة
٣٤٠ أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطّقسيّة القديمة
٣٤٦ ثانياً: تعقيب وشرح للسّاعة الثّانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة
٣٤٧ حول مرثي إرميا
٣٤٧ فصل البولس
٣٤٧ الأنبل هو محور طقس هذه السّاعة
٣٤٨ موكب الدّفن
٣٤٩ قوانين الدّفن
٣٥٥ تعقيب على قانون الدّفن الثّالث
٣٥٨ مراسيم الدّفن
٣٥٩ ترتيل المائة والخمسين زموراً
٣٦٠ ختاماً
٣٦١ المراجع
٣٦١ أولاً: المراجع العربيّة
٣٦٣ ثانياً: المراجع الأجنبيّة





بستان جثسيماني. هنا صلى يسوع صلاة/عبور الصليب



مقدّمة عامة

ينتهي الصّوم الأربعيني المقدّس بمعناه الحصري مع نهاية يوم الجمعة الذي يلي الأحد الخامس من الصّوم، فتنتهي بذلك فترة الأربعين يوماً. ويسبق هذه الفترة أسبوع نصومه قبل بداية الصّوم الكبير، وبذلك يكون مجموع ما نصومه هو سبعة وأربعين يوماً. ومن بعدها يبدأ صوم الأسبوع الأخير، وهو أسبوع البصخة المقدّسة.

ويتحدّث القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) عن هذا الأسبوع الأخير فيقول:

[هو لنا كالميناء لربابنة السفينة، أو كالجائزة للعدائين، وكالإكليل للمصارعين. إنه مصدر كلّ خير، وفيه نجاهد لنوال الإكليل. ونسميه أيضاً "الأسبوع العظيم" لا لأن أيامه أطول من سواها، بل لأنّ الرّب صنع فيه العظام ... فلا عجب أن يضاعف المسيحيون جهادهم في هذا الأسبوع، فيزيدوا أصوامهم وأسهارهم المقدّسة وصدقاتهم. فبهذا الاندفاع للأعمال الصّالحة، والاهتمام بتحسين سيرتنا، نشهد على عظيم الخير الذي صنعه الله لنا].

والكتاب الذي بين يديّ قارئ العزيز، هو سعي في اقتفاء خطوات يسوع في أيامه الأخيرة على الأرض بالجسد، من داخل طقوس الكنيسة وصلواتها وعبادتها في هذه الأيام العظيمة المقدّسة، أيام عبورنا من الظلمة

إلى الثور، ومن البغضة إلى الحجة، ومن الجهل إلى الاستنارة، ومن الضلال إلى النجاة، ومن العبودية إلى الحرية، ومن اليأس إلى الرجاء، ومن الهلاك إلى الخلاص، ومن الموت إلى الحياة، وبالإجمال من حضن العالم إلى حضن الآب.

وفي هذا الجزء الثاني، نحصر رحلتنا الطقسية التي نرافق فيها الرب يسوع، في آخر يومين له، قبل قيامته الجليلة، وهما يوم خميس العهد الجديد الذي أسسه لنا بدمه، ويوم الجمعة العظيمة الذي هو يوم خلاصنا، وحتى إيداعه القبر الذي نبعث لنا منه الحياة.

ضارعاً إليك أيها الآب القدوس الذي في السماء، بوساطة ابنك الحبيب يسوع المسيح، وشفاعة الروح القدس، أن تنير عيون قلوبنا لتنتبهن من داخل الكنيسة وصلواتها، عمق الحب الذي أحببتنا به، حتى بذلت ابنك الوحيد على عود الصليب من أجلنا، وفديت به كل المنتجنين إليك، وأزرت لنا به الحياة والخلود، من قبل قيامته المقدسة من بين الأموات.

وليكن هذا الكتاب ياربي وإلهي ومخلصي، بمثابة شمعة أوقدها أمام أيقونتك المقدسة، في أسبوع الآمك المحيية، أنت الثور الذي ينير الكل.

بركة شفاعة أمي العذراء كل حين، والدة الإله القديسة الطاهرة مريم، وكل مصاف السمائيين. وصلوات سادتي الآباء الرسل القديسين، وكل مصاف الشهداء والصدّيقين. وصلوات قداسة البابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية، وكل آبائي المطارنة والأساقفة والقمامصة والقسوس، وإخوتي الشمامسة والرهبان المكرّمين، وكل طغمة العلمانيين المباركين. آمين.

بيان بالمخطوطات المستخدمة في هذه الدراسة

أولاً: مخطوطات ترتيب البيعة

♦ مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) المحفوظ بمكتبة الدار البطيريكية بالقاهرة، والذي يعود تاريخ نسخته إلى سنة ١٩١١م^(١). وسأرمز له باسم "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطيريكية بالقاهرة لسنة ١٩١١م".

إلى جانب المخطوطات التالية^(٢):

♦ مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة البطيريكية بالقاهرة وتاريخ نسخته هو سنة ١١٦٠ش/١٤٤٤م. وسأرمز له باسم "مخطوط ترتيب البيعة رقم (٧٣ طقس) بالدار البطيريكية بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م".

♦ مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير البراموس، وتاريخ نسخته هو سنة ١٢٣٠ش/١٥١٤م. وسأرمز له باسم "مخطوط دير البراموس لسنة ١٥١٤م".

♦ مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير الأنبا أنطونيوس، وتاريخ نسخته هو سنة ١٣٧٧ش/١٦٦١م.

١- صورة طبق الأصل منه.

٢- مخطوطات ترتيب البيعة الآتي بيانها في المتن هي بدون أرقام، وما يُذكر عنها مأخوذ من كتاب: الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطيريكية بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الثالث، القاهرة، ٢٠٠٠م.

وسأرمزُ له باسم "مخطوط دير الأنا أنطونيوس لسنة ١٦٦١م".

♦ مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير السّريان، وتاريخ
نساخته هو سنة ١٤١٤ش / ١٦٩٨م.

وسأرمزُ له باسم "مخطوط دير السّريان لسنة ١٦٩٨م".

♦ مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ أيضاً بمكتبة دير السّريان، وتاريخ
نساخته هو سنة ١٤٣٥ش / ١٧١٩م.

وسأرمزُ له باسم "مخطوط دير السّريان لسنة ١٧١٩م".

♦ مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة البطريركيّة بالإسكندريّة،
وتاريخ نساخته هو سنة ١٤٣٢ش / ١٧١٦م^(٣).

وسأرمزُ له باسم "مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م".

ثانياً: مخطوطات كتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"

عند الحديث عمّا يقوله القس شمس الرّئاسة أبو البركات ابن كبر (+
١٣٢٤م) في الباب الثّامن عشر^(٤) من كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح
الخدمة"، سأشيرُ إلى حديثه في هذا الباب المذكور من مخطوطتين
أساسيّتين هما:

♦ مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) محفوظ في المكتبة الأهليّة بباريس، وهو

٣- هذا المخطوط مهمٌ للغاية لأنه يورد طقوس ونصوص الصّلوات كما كانت
تُمارس في كنائس مصر القديمة، وهو ما أشار إليه المخطوط نفسه.

٤- هذا الفصل الثّامن عشر يختص بالحديث عن الصّوم الكبير وترتيبه، وأحد
الشّعائين، وترتيب أيام البصحة، وحميس العهد، والجمعة العظيمة، وسبت الفرح،
وعيد القيامة، ونظام البصحة في دير أنبا مقار.

منسوخٌ في أثناء حبرية الأنبا يؤانس العاشر، البطريك الخامس والثمانين (١٣٦٣-١٣٦٩م).

ويحتل الباب الثامن عشر الأوراق (٢٠٨ وجه - ٢١١ ظهر)، (٢٢٠ وجه). أمّا الأوراق (٢١٢ وجه - ٢١٩ ظهر) أي ثماني ورقات، فهي منزوعة من المخطوط. أي أنّه لم يتبق من هذا الباب الثامن عشر من مخطوط باريس سوى أربعة ورقات ونصف فقط. وهي خسارة أدبية فادحة، لا يمكن أن تعوّض.

ولقد فوجئت بهذه الكارثة العلمية، أثناء دراستي لطقوس صلوات أسبوع البصخة المقدّسة، وبالذات طقس صلوات يوم خميس العهد، التي لم أعر عليها في مخطوط باريس، فبدأت الاتصال بمكتبة جامعة أوبسالا Uppsala بالسويد عن طريق شبكة المعلومات الدولية، للحصول على صورة فوتوغرافية من الباب الثامن عشر من مخطوط "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" في هذه المكتبة، وهو برقم (12. vet.). لأنّه المخطوط الأقدم بعد مخطوط باريس.

ثمّ علمتُ بأنّ هذا الباب الثامن عشر قد تمّ تحقيقه ونشره سنة ٢٠٠١م بواسطة الأخ وديع الفرنسيسكاني، من مخطوطات تحوي مخطوطة أوبسالا Uppsala وذلك ضمن دورية (أو مجموعة) برقم (٣٤)، وهي دوريات تصدر عن المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقيّة المسيحيّة^(٥). فحصلتُ على نسخة من هذه الدورية، وقرأتُ فيها عن هذه الأوراق الثمانية المفقودة ما يلي: "... لا يمكن تقدير حجم الخسارة الأدبية

5- Studia Orientalia Christiana, Collectanea 34, Studia – Documenta, The Franciscan Center of Christiana Oriental Studies, Cairo – Jerusalem, 2001.

بسقوط هذه الأوراق، لاسيّما وأنّ المخطوط هو الأقدم، وفي بعض النواحي يقدم ترتيباً مختلفاً عن باقي المخطوطات، وليس هناك بين المخطوطات التي نظرنا صورها نصّ منقول على وجه التأكيد عن هذا المخطوط“^(٦).

وسأرمز إليه باسم ”مخطوط باريس“.

♦ مخطوط رقم (Vet. 12) وبالتّقييم الحديث (شرقي ٤٨٦)، محفوظ في مكتبة أوبسالا Uppsala (السويد). وتاريخه هو ٤ أمشير سنة ١٢٦٣ش/ ١٥٤٦ ميلادية. وهي نسخة منقولة عن نسخة تاريخها ٢٧ برمهاث سنة ١٠٧٣ شهداء، الموافق سنة ١٣٥٧ ميلادية، أي أنّ أصل هذه النسخة أقدم قليلاً من نسخة باريس، وهي تقدّم أحياناً نصّاً مختلفاً عن نصّ مخطوط باريس، ويعلن النّاسخ (ورقة ٢٥٨ وجه) أنّه أبطل - أي ترك - كتابة بعض الأجزاء، وهو يحدّدها، ومنها النّص الخاص بترتيب دورة الزّيوتونة، يوم عيد الشّعانين، في الباب الثامن عشر^(٧).

أي أنّ الفارق الزمني بين مخطوط باريس ومخطوط أوبسالا هو حوالي ١٧٧ سنة، وهو وقت غير قصير.

وسأرمز له باسم ”مخطوط أوبسالا“.

وهناك مخطوط ثالث لكتاب ”مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة“، هو

٦- الأخ وديع الفرنسيسكاني، دراسات شرقية مسيحية، مجموعة ٣٤، مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة - القدس، ٢٠٠١م، ص ٢٤٤
إنّ ميزة مخطوط باريس هي أنّ يد النّسّاخ لم تعبت به، لأنّ الفارق الزمني بين وقت نساخته ووقت نياحة ابن كبر لا يتخطى ٢٥ سنة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّه من عادة بعض النّسّاخ أثناء نساختهم لمخطوط قديم، أن يضيفوا ما يستجد من ممارسات طقسية في زمانهم، أو يحدّفوا ما يسقط منها.

٧- الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤، مرجع سابق، ص ٢٤٤، ٢٤٥

مخطوط رقم (٦٢٣ عربي) بمكتبة الفاتيكان. ولا يحمل هذا المخطوط تاريخاً، ومن المرجح أنه يعود إلى القرن السادس عشر، ويُعتبر نسخة من مخطوط أوبسالا. والنصوص القبطية مكتوبة غالباً في الجهة اليسرى من السطر، بغض النظر عن موقعها في العبارة، ويبدو أنها إضافة من ناسخ آخر، أو في وقت لاحق، وبسبب عدم كفاية الفراغ، كثيراً ما يترك الناسخ العبارة ناقصة، بالمقارنة مع نص أوبسالا^(٨).

ونظراً لأنه ينقل من مخطوط أوبسالا طبق الأصل كما لاحظت ذلك، فسأشير إليه في حالة أي اختلافات جوهرية فقط بينه وبين مخطوط أوبسالا.

إلى جانب مخطوطة محفوظة بالمتحف القبطي برقم (لاهوت ٣٧٥)، وهي منسوخة سنة ١٩٣٢/١٩٣٣ م. بالإضافة إلى النصف الثاني من مخطوطة شنوده البرموسي، التي تحمل تاريخ سنة ١٩٥٥ م^(٩). حيث تقدم المخطوطتان النص الذي أمهلت مخطوطتا أوبسالا والفاتيكان، ولكن في موقع مختلف عن الموقع الذي تحتله في مخطوطة باريس^(١٠).

وكانت المحاولة الأولى لنشر هذا الباب الثامن عشر من كتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" هي التي قام بها جرجس فيلوثاؤس عوض، لكي تكون كمقدمة لكتاب البصحة الذي كان ينوي طبعه القمصن باخوم البرموسي. وقد ظهرت هذا الطبعة في الإسكندرية سنة ١٩٢١ م، ولكن بدون هذه المقدمة. ويؤكد جرجس فيلوثاؤس عوض أن البطريك كيرلس الخامس (١٨٧٤-١٩٢٧ م) هو الذي أمر باستبعاد

٨- الأخ وديع الفرنسيكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٤٥
٩- أعدّها للنشر الراهب القس صموئيل السرياني (الأبنا صموئيل أسقف شبين القناطر)، القاهرة، ١٩٩٢ م. وليس هناك إشارة إلى أن هذه الطبعة هي صورة لنسخة شنوده البرموسي، ولكن اسمه كناسخ يرد في ص ٣١٦
١٠- الأخ الفرنسيكاني، مجموعة ٣٤، مرجع سابق، ص ٢٤٥، ٢٤٦

مقدّمته من الكتاب المطبوع^(١١).

ثالثاً: مخطوطات ترتيب جُمعة الآلام المحيية

♦ مخطوط قبطني عربي، رقم (٣٢ قبطني) بالمكتبة الأهلية بباريس. (صورة). وتاريخ نساخته هو يوم الأربعاء أوّل توت سنة ١٢٢٦ ش/ ٢٩ أغسطس ١٥٠٩م. أي أنه مخطوط يصف طقس القرن الخامس عشر الميلادي. ويجوي المخطوط موضوعات شتى، تاريخية وطقسية. وما يهمنا منه الآن هو شرح ترتيب جُمعة البصحة المقدّسة حسب طقس كنيسة السيّدة العذراء بحارة الرّوم بمصر القديمة. حيث نقرأ في المخطوط عنواناً هو: "ترتيب الجُمعة العظيمة جُمعة الخلاص بحارة الرّوم"^(١٢). وسأرمزُ له باسم "مخطوط دلال حارة الرّوم (ق ١٥)".

♦ مخطوط قبطني عربي، رقم (٣٦ قبطني) بالمكتبة الأهلية بباريس. (صورة له). وهو يبدأ بالعنوان الثّالي (بنصّه): "نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه بترتيب جمعة الآلام المحيية الذي لسيدنا يسوع المسيح له المجد". ويورد المخطوط من الثّاحية الأخرى منه - أي كأنه كتاب عربي - النّص الكامل لكتاب "سرّ الثّالوث في خدمة الكهنوت"^(١٣). ولم أعثر على مكان أو تاريخ نساخة المخطوط.

١١- الأخ وديع الفرنيسيكاني، مجموعة ٣٤، مرجع سابق، ص ٢٤٣

وسأشيرُ إليها أحياناً في الهوامش للاستفادة من حواشيتها.

١٢- عن هذا المخطوط، انظر: دكتور ماجد صبحي رزق، مجلّة الكرمة الجديدة،

٢٠٠٨م، ص ٢٠٥

١٣- قد أشرتُ إلى هذا الكتاب الهام، واقتبست أجزاءً منه في كتاب "القُدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله"، وذلك عن تحقيق للكتاب المذكور في المتن بواسطة الأستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض.

وسأرمزُ له باسم ”مخطوط دلالّ باريس“.

♦ مخطوط قبطي عربي، رقم (٣١ طقس). بمكتبة المتحف القبطي بمصر القديمة. (صورة له). ويبدأ المخطوط بالعنوان التّالي (بنصّه): بسم الله الرووف الراحيم. وفقاً موبداً وحبسا مخلدا على بيعة القديس العظيم انبا شنوده بدرب التنجير^(١٤) لا يباع ولا يرهن وكلمن اخده وعاوده محالل مبارك وكلمن اخده ولم يرجعه يكون تحت عقد الصليب ويكون نصيبه مع سيمون الساحر ودقلا الكافر ويهودا الاسخريوطي.

وهو من القرن الرّابع عشر الميلادي، طبقاً للتّاريخ المدوّن في نهايته. ومن ثمّ فهو مخطوط في غاية الأهميّة، لأنّه منسوخ في زمن قريب من زمن القس أبو البركات بن كبر، ويشرح طقس البصّخة في كنيسة من كنائس مصر القديمة.

وسأرمزُ له باسم ”مخطوط دلالّ أنبا شنوده (ق ١٤)“.

♦ مخطوط قبطي عربي، رقم (٣٣٦ طقس). بمكتبة المتحف القبطي بمصر القديمة. (صورة له). وهو يشرح ترتيب جُمعة البصّخة بحسب طقس كنيسة السيّدة العذراء المعلّقة بمصر القديمة، حيث نقرأ في بدايته (بنصّه): ”بسم الله. ترتيب جُمعة الآلام المحييه على عادة بيعة سنتنا السيده المعلقة“. ونعرف من نهاية المخطوط، أنّه منسوخ في زمن البابا غبريال السّابع (١٥٢٥-١٥٦٨م) الخامس والتّسعين من بطاركة الكنيسة القبطيّة. فيكون زمن نساخته هو منتصف القرن السّادس عشر الميلادي.

وسأرمزُ له باسم ”مخطوط دلالّ المعلّقة (ق ١٦)“.

♦ مخطوط قبطي عربي، رقم (١٨٤ طقس)، بمكتبة المتحف القبطي

بمصر القديمة. وهو يشرح طقس ترتيب جُمعة البصخة المقدّسة على عادة كنيسة السيّدة العذراء المعلّقة بمصر القديمة. حيث نقرأ في بدايته (بنصّه): "بسم الله. نبتدي بعون الله وحسن توفيقه بنسخ كتاب ترتيب جُمعة الالام المحييه على عادة بيعة الست السیده بالمعلّقه".

وبعد أن يورد المخطوط طقس سبت لعازر وأحد الشعانين، نقرأ ما يلي (ورقة ٣٤ وجه): "تمّ ترتيب سبت لعازر ويوم أحد الشعانين. واذكر يارب عبدك النَّاسخ الخاطئ المسكين نسيم بن أبو ... يسأل ويتضرّع (إلى) كل من طالع فيه أن يدعو له بمغفرة الخطايا".

ويُكْمَل المخطوط في (ورقة ٣٤ ظهر) ما يلي: "وقفاً مؤبداً، وحبساً مخلداً، على بيعة الشهيد العظيم ماري جرجس المعروفة بكنيسة الحبش بحارة زويله الكبرى بالكنيسة الفوقانيّة المجاورة لكنيسة الأرمن. عوض يارب المهتم في هذا الدّلال المقدّس، الأخ العزيز الشّمس المكرم المعلّم منقوريوس الحريري، الناظر الآن بالكنيسة المقدّسة، ... من يكرمه الله. وبركة الشهيد العظيم ماري جرجس، أن يعوّضه عوض الفانيات بالباقيات، والأرضيات بالسّمائيّات^(١٥) ... الخ".

ونقرأ في نهايته (بنصّه): "وكان المهتم في هذه الكتاب المبارك الاخ العزيز الشّمس المكرم المعلم منقوريوس الحريري ناظر كنيسة ... (١٦)". ومكتوب في بداية المخطوط تاريخ نساخته بخط حديث، وهو ق ١٧ سنة ١٦٧٢ م.

وسأمرزُ له باسم "مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)".

١٥- المخطوط: "بالسمايات".

١٦- بدءاً من هنا، الخط مشوّه تماماً، ولا يمكن قراءته.

♦ مخطوط قبطي عربي، رقم (٥١ طقس). بمكتبة المتحف القبطي بمصر القديمة. (صورة له). وهو يشرح ترتيب جمعة البصخة المقدسة، بحسب طقس كنيسة السيِّدة العذراء المعلقة. حيث نقرأ في بدايته (بنصّه): ”بسم الله. ترتيب جمعة الالام وذلك على عادة بيعة ستنا السيده بالمعلقه بقصر الجمع (كذا) (١٧)“. وبرغم أن المخطوط مشوه في أواخره، إلا أنه مفيد في مقارنة النص مع المخطوطين السابق ذكرهما مباشرة. وهو بدون تاريخ. وسأرمز له باسم ”مخطوط دلال المعلقة“.

♦ مخطوط قبطي عربي، رقم (٨٧٧٠ شرفيات)، بالمكتبة البريطانية بلندن. (صورة له). ونقرأ في أوله (بنصّه): ”بسم الله القوي. نتدي بمعونة ربنا يسوع المسيح بكتب ما نحتاج اليه من ترتيب جمعه الالام بسلام الرب امين“. وخطه القبطي والعربي غير معتنى بهما، وهناك أجزاء مشوهة من المخطوط، لاسيما نهايته. فلم نعرف تاريخ نسخته، ولا وقفيتها. ومن شكل الخط، من المحتمل أن يكون تاريخه هو القرن الثامن عشر أو التاسع عشر للميلاد. وسأرمز له باسم ”مخطوط دلال لندن“.

رابعاً: مخطوطات قطمارس أسبوع البصخة المقدسة

♦ مخطوط عربي رقم (٢٦٠ طقس). بمكتبة دير القديس أنبا أنطونيوس بالصحرَاء الشرفية. ونعرف من بدايته أن ناسخه هو قس من الدير المذكور. ونقرأ في بدايته أيضاً (١٨): ”بسم الثالث المقدس الإله الواحد. نتدئ بعون الرب يسوع المسيح بنسخ ما يحتاج إليه في جمعة البصخة

١٧- وصحتها ”الشَّمع“.

١٨- مع تصحيح الأخطاء اللغوية والنحوية.

المقدسة من صلوات السواغي بالليل والنهار .

وفي نهايته نقرأ^(١٩): ”بسم الله الرَّءوف الرَّحيم. وفقاً مؤبداً وحيساً مخلداً على بيعة أينا القديس أنطونيوس بدير العربة بجبل القلزم. وذلك لا يباع ولا يرهن ولا يستملك عليه لا قس ولا راهب ولا أحد يضعه في قلاية، ولا يخرج عن القصر إلا بأمر ضروري ... وعلى بني الطاعة تحل البركة. والشكر لله دائماً“.

ونقرأ في نهايته أيضاً تاريخ نساخته، ولكن بصعوبة، وهو: ”أول برموده سنه تسعمايه للشهدا“. وهو نفس التاريخ الذي يذكره رهبان الدير الذي قاموا بعمل فهرس لمخطوطات الدير^(٢٠). وعلى ذلك، فإن هذا القطمارس يعود إلى سنة ١١٨٤م، أي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، ومن ثم يُعتبر المخطوط من أقدم قطمارسات أسبوع البصحة المعروفة حتى الآن. وقد تحققت من ذلك الأمر بنفسي.

وسأرمز له باسم ”مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)“.

♦ مخطوط قطمارس قبطي عربي، رقم (٥٩٩٧ ملحقات). (صورة له). حيث نقرأ آخره ما يلي (بنصّه): ”كمل ما يقرى بمعونه الله في جمعه البسخه المقدسه من اول يوم الى اخر حد القيامه المقدسه الذي قام فيها المسيح ملكنا ومخلصنا بن الله بالحقيقه في الثاني والعشرين من توت سنه تسعمايه وتسع للشهدا^(٢١). اذكر يارب عبدك **Θωμ(α)c**“.

وسأرمز له باسم ”مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)“.

١٩- مع تصحيح الأخطاء اللغوية والنحوية.

٢- وهو مجهود مبارك، يستحقون عليه الشكر والتناء.

٢١- هي تقابل سنة ١١٩٢م.

♦ مخطوط قطمارس قبطي عربي، رقم (٧٠ قبطي) بالمكتبة الأهلية بباريس. ونقرأ في بدايته ما يلي (بنصّه): "تنبدي بعون الله ان نكتب ما يقرى في ستة ايام الفصح الذي لخلاصنا امين".
ويذكر دكتور بورمستر O.H.E. Burmester أنه يعود إلى سنة ١٣١٩م^(٢٢).

وسأمرزُ له باسم "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".

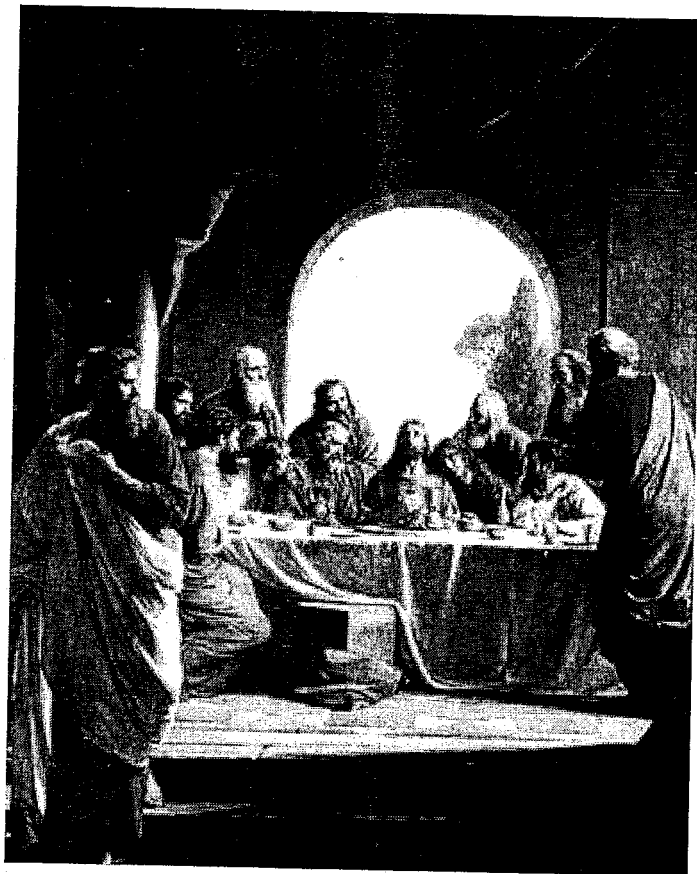
تنويه:

لكي يظلّ الكتاب الذي بين يديك، قارئ العزيز، في حجم معقول، سوف لا أذكر جميع المخطوطات السّابق ذكرها في كل عنصر ليتورجي، إلّا في حالة وجود اختلافات جوهرية تثرى الدّراسة، وتدعمها.

ويلزم أن يُفرّق القارئ العزيز بين تعبير "المخطوطات قيد الدّراسة"، والتي تعني البنود أولاً وثانياً وثالثاً. وتعبير "مخطوطات القطارسات قيد الدّراسة"، والتي تعني البند رابعاً.



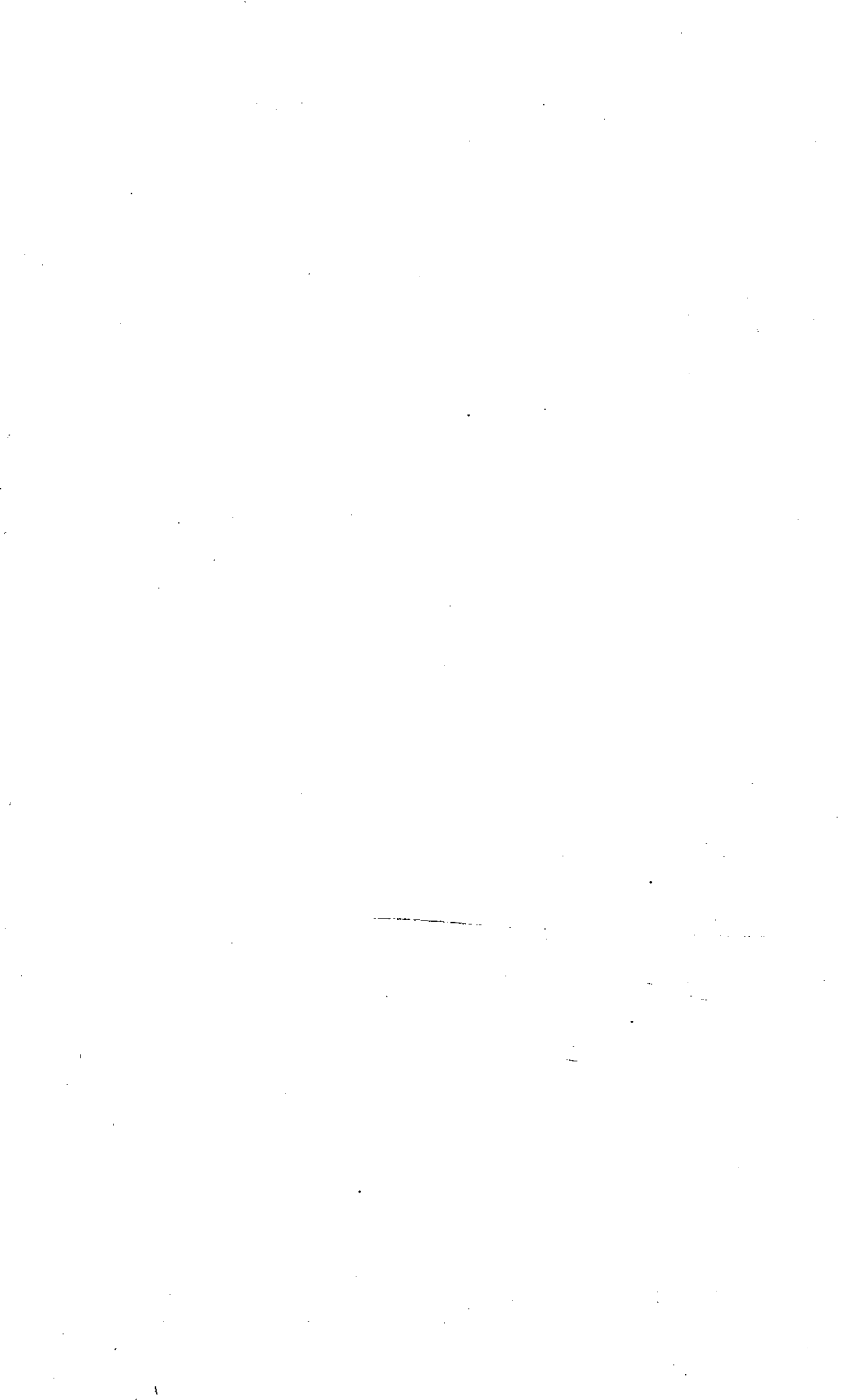
22- O.H.E. Burmester, *Le lectionnaire copte de la semaine sainte*, dans *Patrologia Orientalis (PO) 24, fas.2, op. cit., p. 173, 174, 176.*



خذوا كلوا، هذا هو جسدي. خذوا اشربوا، هذا هو دمي.

البَابُ الأوَّلُ

خَمِيسُ العَهْدِ الجَدِيدِ



الفصل الأوّل

رؤية عامة ليوم خميس العهد الجديد

تمهيد

هذا هو عيد العهد الجديد، اليوم الفاصل بين عهدين، واحدٌ قديم، وآخر جديد. والعهد هو الميثاق. فاليوم هو يومٌ فارقٌ بين ميثاقين، أو عهدين؛ عهدٌ قديم بين الله والنَّاس، بقوس يظهر في السَّماء، كميثاق أبدي، بالألَّا يلعن الله الأرض مرَّةً أخرى^(١)، ولكنه ميثاقٌ وعهدٌ لا يضمن للنَّاس السَّماء. وما أكثر العهود والمواثيق القديمة التي كانت بين الله والنَّاس؛ فختانُ كلِّ ذَكَرٍ في لحمِ غرلته، كان علامة عهد^(٢). والوصايا التي تسلَّمها موسى على الجبل كانت بمثابة عهد بين الله وشعبه^(٣)، ولقد حُفظت هذه الوصايا في تابوت محفوظ في قُدس الأقداس، سُمِّي "تابوت العهد". بل إنَّ بعض الأنبياء صاروا هم أنفسهم عهداً للشَّعب ونوراً للأمم، كإشعيا النبي^(٤)، وإرميا النبي^(٥).

فالعهد الأوَّل هو عهد الفرائض الجسديَّة، والحجاب الذي يحجب من ورائه قُدس الأقداس. عهدٌ قرايين وذبائح، لم تكمَّل خادميها. عهدٌ دم تيوس وعجول وثيران، ظلَّت تُقدَّم مراراً وتكراراً صباحاً ومساءً، ولم تستطع أن تُقدَّس إلاَّ إلى حدِّ طهارة الجسد فحسب. هو عهد النَّاموس، الذي فضح الخطيئة وأظهرها، ولكنه لم يقو على علاجها وشفائها.

١- تكوين ١٦:٩

٢- تكوين ١٧:١٣

٣- تثنية ٣:٥

٤- إشعيا ٦:٤٢

٥- إرميا ٣١:٣١-٣٤

الثاموس الذي لم تكن فيه قوّة حفظه، مع أنّه رُتّب بملائكة. هو عهدٌ ظلّ الخيرات العتيّدة، لا نفس صورة الأشياء كقول بولس الرّسول.

أمّا العهدُ الجديد، فلم يكن بعلامات مثل هذه، بل صار الله نفسه هو علامته!، لكي يدوم العهد إلى الأبد بدوام الله الذي ليس له بداية ولا نهاية. عهدٌ بدم مسفوك، هو دم ابن الله الوحيد. عهدٌ صار المسيح هو ضمانته، ليس بعلامة ظاهريّة، بل في داخل الإنسان نفسه، جسداً مأكولٌ ودمٌ مشروبٌ لابن الله. عهدٌ يضمن الحياة الأبدية كقول المسيح له المجد: «إن كان أحدٌ يحفظ كلامي، فلن يرى الموت إلى الأبد» (يوحنا ٨: ٥١). فالرّب نفسه هو الذي قال: «من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية» (يوحنا ٦: ٥٤). وأيضاً «من يأكلني فهو يحيا بي» (يوحنا ٦: ٥٧). فهذا هو العهد الذي فيه ننظر الله كلّ يوم على المذبح السّمائي، سواء هنا على الأرض أم هناك في السّماء.

فإن كان العهد الأوّل قد ضمن حياة الأرض، فالعهد الجديد قد ضمن حياة الأبد، حيث صار يسوع نفسه وسيط هذا العهد الجديد^(٦)، وضامناً لهذا العهد الأفضل^(٧).

أي أنّ يسوع صار لنا وسيطاً وضامناً في آن معاً لعهد أعظم وأفضل. عهدٌ ضمنه بدم نفسه، بدمه الإلهي، الذي قدّمه مرّة واحدة لله أبيه عن شعبه وعن كنيسته، فثبّت عهدٌ بدم يسوع، ضامناً لقوّة حياة لا تزول، عهد الموهبة السّماوية وشركة الرّوح القدس، عهد طريق الأقداس الذي انفتح عندما انشقّ الحجاب، واستعلت القُدسات. عهد الذّبيحة

٦- عبرانيين ٩: ١٥

٧- عبرانيين ٧: ٢٢

التي تقوى على تطهير الضمائر والقلوب والنيّات. عهدُ الذبيحة التي تُبطل سُمَّ الخطيئة وتمحوها. وباختصار؛ شرّحَ يوحنا البشير الفرق بين العهدين، عهد التأموس، وعهد النعمة، فقال: «التأموس بموسى أعطي، وأمّا النعمة والحق فييسوع المسيح صار» (يوحنا ١: ١٧).

فطوبى لنا نحن أبناء العهد الجديد، أبناء الخيرات السماوية، وتحقيق المواعيد. أبناء عهد اشتهاه الأنبياء والأبرار ولم ينالوه، فاكتفوا أن حيّوه من بعيد. عهد الله الذي صار إنساناً مثلنا، وسكن فينا، ورأيناه بعيوننا، مقابل عهد قديم لم يكن يقدر فيه الإنسان أن يرى الله ويعيش.

في هذا اليوم العظيم أسّس الرب سرّين في الكنيسة، الأول هو سرّ الإفخارستيا، سرّ جسده ودمه، عندما كسره من وراء الزّمن ليعطيه لتلاميذه جسداً مكسوراً، ودماً مسفوكاً لغفران الخطايا قائلًا لهم: «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ٢٢: ١٩). والثاني سرّ غسل الأرجل، سرّ اتضاعه ومحبته، عندما أخذ صورة عبد، فقام عن العشاء، وخلع ثيابه، وانحنى إلى الأرض يغسل أرجل تلاميذه كما يفعل العبيد لسادتهم. فهو فعل خلاصي لا يقل في جوهره وفعله الإلهي عن كل أفعال الرب الخلاصية الأخرى. «إن لم أغسلك فليس لك معي نصيب» (يوحنا ١٣: ٨). وكما أوصى تلاميذه في عشائه الأخير معهم بقوله: «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ٢٢: ١٩)، أوصى تلاميذه أيضاً بعد أن غسل أقدامهم ونشّفها بالمنشفة التي كان مؤتزرًا بها قائلًا: «فإن كنتُ وأنا السيّد والمعلّم، قد غسلتُ أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثلاً، حتى كما صنعتُ أنا بكم، تصنعون أنتم أيضاً» (يوحنا ١٣: ١٤، ١٥).

وهذا بعينه هو ما تصنعه الكنيسة الجامعة من مشارق الأرض ومغاربها إقتداءً وتتميماً لوصية الربّ الغالية.

أمّا ختام هذين السّرّين، فكانت صلاة جسيماني، صلاة المعونة لعبور الصّليب، حيث اختتمت أحداث هذا اليوم بقبلة يهوذا الغاشة، والتي بموجبها أسلم ابن الإنسان إلى الإنسان الذي لم يأتمنه الربّ يوماً على نفسه، لأنّه عرف ما كان في الإنسان^(٨).

هذه هي في إيجاز أحداث هذا اليوم، وهو ما سأعرضُ له من الوجهة الطّقسيّة، لنرى كيف يمكن لطقس الكنيسة أن يهبنا كلّ هبات المسيح وعطاياه مباشرة وبدون عائق، لكي يستد كلُّ فم لا يرى في طقوس الكنيسة سوى رموز وإشارات خارجيّة، أو مسرحيّة ليتورجيّة كما يقولون، أو بالحري يدعون.

مسميات هذا اليوم

يُسمّى هذا اليوم في الكنيسة القبطيّة ”يوم خميس العهد“، ويُسمّى أيضاً ”الخميس الكبير“، ويشترك في هذا الاسم مع الأقباط، الكنائس السريانيّة والموارنة. وعند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) يُدعى ”يوم الخميس الكبير الذي هو العهد الجديد“. كما يسمّيه أيضاً: ”عيد العهد الجديد“^(٩) وهو أبداع اسم لهذا العيد العظيم. ويُسمّى في الكنيسة البيزنطيّة ”الخميس العظيم المقدّس“. هذا في الشّرق. أمّا في الغرب فاسمه التّقليدي في الإنجليزيّة Maundy Thursday وكلمة Maundy جاءت من

٨- راجع: يوحنا ٢: ٢٥

٩- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظلّة

وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٩

الأنثيفونا الأولى التي تُرثَل في هذا اليوم باللاتينية في طقس غسل الأرجل وهي *manatum novum* أي "وصية جديدة"، فهو يُسمى "خميس الوصية الجديدة"، ويُسمى أيضاً: "الخميس الأخضر" *Green Thursday* وهو في اللاتينية *dies viridium* وفي الألمانية *Gründonnerstag* وهو اسمه التقليدي لدى الألمان. وربما جاء هذا الاسم أي "الخميس الأخضر" من عادة منح التائبين المعترفين بخطاياهم في هذا اليوم - استعداداً للتناول من الأسرار المقدسة - أغصاناً خضراء، تعبيراً عن كمال توبتهم ورجوعهم إلى كمال شركتهم مع الكنيسة. ويُسمى هذا اليوم أيضاً *Sheer Thursday* أي "الخميس النقي أو الواضح"، حيث أنه في هذا اليوم، يُعطى الحل للتائبين، أو ربما جاء الاسم أيضاً من عادة الغسيل الطقسي لمذابح الكنيسة كما سنرى فيما بعد^(١٠).

أحداث يوم خميس العهد بين التقليد اليهودي وميلاد العهد الجديد

في هذا اليوم أمر يسوع اثنين من تلاميذه أن يذهبا ويُعدداً الفصح ليأكله معهم^(١١). وبعد الظهر توجه إلى المكان الذي أعد التلاميذ فيه الفصح في بيت القديس مرقس الإنجيلي كما يذكر التقليد، وكما يظهر لنا من إنجيله^(١٢)، وذلك في أورشليم. وكان الفصح اليهودي يستمر إلى سبعة أيام، حيث يذبحون خروف الفصح في الرابع عشر من نيسان بين العشاءين، أي بين العصر والغروب^(١٣). ومتى ابتداء مساء الخامس عشر من نيسان، كان يُدعى هذا اليوم "اليوم الأول من الفطير"، وتنتهي أيام

10- Cross, F.L. & Livingstone, E.A. The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2nd edition), 1988. p. 893, 593, 1269.

١١- متى ١٧:٣٦ ؛ مرقس ١٤:١٣ ؛ لوقا ٢٢:٧

١٢- مرقس ١٤:١٣

١٣- خروج ١٦:١٢

الفطير في الحادي والعشرين منه^(١٤). وكان لا يجوز لهم بمقتضى التاموس أن يأكلوا شيئاً في هذه المدة سوى الفطير^(١٥). ولذلك سُمِّي بعيد الفطير. وكان يلزم لممارسة الفصح خمسة أمور هي: ذبح الخروف، رش الدَّم على قائمتي الباب وعتبته العُلْيَا، شَيِّ الخروف صحيحاً بدون أن يُكسر منه عظم، رمزاً لآلام المسيح^(١٦)، أكله مع الفطير والأعشاب المرَّة، عدم إبقاء شيء منه إلى الصُّباح.

وكان اليهود يقسمون أنفسهم في أكل خروف الفصح إلى جماعات، بحيث لا تقل الجماعة عن عشرة أفراد، ولا تزيد عن عشرين شخصاً. وإن لم يبلغ سَكَّان البيت الواحد عشرة أشخاص، اشترك بيتان في خروف واحد. وكانت كلُّ جماعة تُنَبِّع عنها واحداً يُحضر الخروف إلى دار الهيكل، ويساعد أيضاً اللاويين على ذبحه، ثمَّ ينقل ما يُذبح إلى البيت الذي يقصدون أن يأكلوه فيه بحسب الشريعة^(١٧). وقد قام الرُّسولان بطرس ويوحنا بذلك الأمر في الهيكل في هذه المرَّة بالنبأية عن مخلصنا وتلاميذه، وأعدَّ الفطير والخمر والأعشاب المرَّة وكلَّ ما هو ضروري لإعداد الفصح. فلَمَّا أعدَّ كلَّ شيء، جاء يسوع وتلاميذه إلى المكان الذي أخفاه الرُّب عن يهوذا، حتى يتمم ما جاء من أجله.

وكان لليهود عادةٌ أن يشربوا على العشاء أربع كؤوس من خمر حمراء ممزوجة بماء قليل؛ الأولى منها كانت استفتاحية، فيأخذها رئيس الجماعة ويباركها قائلاً: "فليكن الرُّب مباركاً الذي أيدع ثمر الكرمة"، ثمَّ يرشف

١٤- لاويين ٥:٢٣

١٥- خروج ١٢:١٥

١٦- يوحنا ١٩:٣٦؛ ١ كورنثوس ٥:٧

١٧- خروج ١٢:٤-١٤

منها قليلاً، ويُدار بها على الجالسين فيرشف كلٌّ منهم قليلاً منها. وكانت تُدعى كأس المرارة، وهي الكأس المذكورة في إنجيل القديس لوقا (١٨).

وعلى إثر هذه كانوا يغتسلون. وهذا الاغتسال كانوا يشيرون به إلى عبور أسلافهم البحر الأحمر.

وعند هذا الحد من الطقس قام الربّ عن العشاء وخلع ثيابه كما يفعل العبيد، وأخذ منشفة وأتزر بها، ثم صبّ ماءً في مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ، ويمسحها بالمنشفة التي كان متّزراً بها. يغسل ويجفف وسخ سيرتنا القديمة التي سلكت مسالك غير مستقيمة.

شيءٌ مذهلٌ للعقل أن ينحني الخالق الذي بيده مقادير الخليقة وما فيها ومن فيها، ليغسل بيده أقدام خليقته. من يستطيع أن يحتمل هذا؟.

كان العُذر مع بطرس الرسول عندما قال ليسوع: «لن تغسلَ رجليَّ أبداً». ولكن الربّ أعلمه أن ما يصنعه معه سرٌّ لا يفهمه الآن، ولكنّه سيفهمه فيما بعد، وأنّه إن لم يغسله فليس له نصيبٌ معه في الملكوت، فنصيبه في الملكوت مرتبٌ بغسل رجليه. إذاً فالأمر ليس مجرد غسل قدمين، بل شركة في ملكوت ابن الله، وعمل تأهيلي لمن وُضعت عليه الضرورة للكرامة والتبشير. ولما قال سمعان بطرس عن جهل أيضاً: «يا سيّد ليس رجليّ فقط، بل أيضاً يدي ورأسي»، صحّح الربّ له فهمه الخاطئ قائلاً له: «الذي قد اغتسل (بالمعمودية) ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه (أي تقويم سيرة حياته بالتوبة)» (يوحنا ١٣: ١٠).

ولما أكمل الرب هذا الفعل السرّائري، أخذ ثيابه وليسها، واتكأ وقال لهم: «أنفهمون ما قد صنعتُ بكم؟ فسكتوا»، لأنهم بالتأكيد لم يكونوا يفهمون آنذا، ولكنهم فهموا فيما بعد. فقال الرب لهم: «أنتم تدعونني معلماً وسيّداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنتُ وأنا السيّد والمعلّم قد غسلتُ أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثلاً حتى كما صنعتُ أنا بكم، تصنعون أنتم أيضاً بعضكم ببعض. إن علمتم هذا فطوبياكم إن عملتموه» (يوحنا ١٣: ١٣-١٧).

وبعد هذا الحب الصّافي والاتضاع المذهل، طفا على السطح ما يعتمل في قلب المسيح من غصّة ألم، وهو عالمٌ باقتراب ساعة الشّرير، وشيطان الظلمة. كان عزيزاً على نفسه جداً، وهو يغسل قدمي يهوذا، أن يقرأ ما كان يجول في قلبه، وهو فاحص القلوب والكلى. وإذ فاحت رائحة الخيانة، ولم يشتمّها سوى يسوع وحده، اضطرب بالروح وقال: «واحدٌ منكم سيسلمني». فاحترار التلاميذ وكانوا ينظرون بعضهم إلى بعض، لا يدركون ولا يفهمون عمّن يقول هذا. وفي هذه اللحظات العصبية، وقد تداعى الجسد من ضربات الغدر دون هوادة، والرب يرى قوى الموت قد أحكمت قبضتها، لتطبق على من بيده حياة كل ذي جسد، تحاصرهما من الدّاخل والخارج. هنا عاد الرب ليكمّل العشاء الفصحى الذي قام عنه ليغسل أرجل تلاميذه، بدلاً من الاغتسال الطّقسي الرّتيب الذي كانوا يمارسونه في العشاء الفصحى طيلة هذه القرون.

وهنا اتكأ يوحنا على صدر يسوع، وسأله، من يكون مسلّمه؟ فأجابته يسوع: «الذي أعمس أنا اللقمة وأعطيه». فغمس اللقمة وأعطاهها ليهوذا سمعان الإسخريوطي، فلما أخذ يهوذا اللقمة خرج للوقت وكان ليل.

بعد هذا الاغتسال الطقسي كانوا يتقدمون إلى المائدة لأكل ما قد أعدَّ عليها من الأعشاب المرّة والفطير والخروف المشوي والمرق المصنوع من البلح والبلوز والتّين والزّبيب والخل والقرفة وغيرها من البهارات. فيأخذ رئيس الجماعة شيئاً من الأعشاب ويغمسها في المرق ويأكل شاكرًا الله الذي أبدع خيرات الأرض، فيجاوبه باقي المتكئين.

وعقب ذلك يتقدّم ولدٌ، يسأل والده عن سبب حفظ هذه الفريضة، فيجيب على ذلك بأنّ ذبح الخروف هو تذكّارٌ لمرور الملاك المهلك أمام بيوت العبرانيين، ولم يؤذهم. والفطير يشير إلى خبز الشدّة الذي أكلوه فطيراً وقت هروبهم من أمام فرعون. والأعشاب المرّة رمزٌ إلى العبوديّة التي كابدوها بمصر. والمرق المختثر يمثّل بلونه وختورته، طين مدينتي فيثوم ورعمسيس اللتين بناهما أسلافهم لفرعون بالتّسخير^(١٩).

ثمّ يقولون الجزء الأوّل من التّسبيح وهو المزموران (١١٣، ١١٤). وبعد ذلك يشربون الكأس الثّانية التي يدعوها كأس الفرح، ويطلبون البركة على كلّ نوع من الطّعام، فيأخذ الرّئيس الفطير ويكسره ويوزّعه على المتكئين، فيأكلونه بعد أن يغمسوه هو والأعشاب بالمرق حتى ينتهي. وأحياناً يغمس الرّئيس الكيسر في الصّحفة كما فعل مخلصنا له المجد، ويناولهم. ومتى فرغوا من ذلك يأكلون خروف الفصح، ولا يقبوا منه شيئاً، ولا يأكلون بعده طعاماً آخر. ثمّ يقدمون تشكّرات. ويشربون الكأس الثّالثة التي تُدعى كأس البركة^(٢٠). ثمّ يرتّلون ما بقى من ترنيمة التّسبيح وهي: «ليس لنا باربٌ، ليس لنا، لكن لاسمك القدّوس أعط مجداً» (مزمو ١١٥: ١١٨).

١٩- خروج ١١: ١؛ تثنية ٦: ٢٠-الخ

٢٠- انظر: ١ كورنثوس ١٦: ١٠

ويشربون الكأس الرابعة التي كانوا غالباً يجتمعون بها الاحتفال. وأحياناً كانوا يشربون كأساً خامسة بعد ترنيمة التَّسْبِيحَة العظيمة المحتوية على سبعة عشر مزموراً^(٢١).

وبعد أن اكتمل العشاء الفصحي بكل بنوده الطَّقْسِيَّة، أخذ السَّرْبُ خُبْزاً، وبارك وكسر وأعطى تلاميذه قائلاً: خذوا كُلوا هذا هو جسدي الذي يُبْدَلُ عنكم، اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء أي بعد العشاء الفصحي قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسْفِكُ عنكم، يُعْطَى لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا لذكري. وهكذا أيضاً لم يفهم التلاميذ شيئاً، ولم يدر كوا أنَّه أخذ أنهم يعاينون بعيونهم الانتقال النَّهَائِيَّ والأبدي من عهد إلى عهد. وهكذا دخل العهد الجديد تاريخ البشرية ليلغي وإلى الأبد عهداً قَدَمَ وشاخ، ولكن بلا مقدمات أو تمهيد. فالرَّبُّ الذي ينجع فيه كلُّ تاريخ الخلاص منذ آدم، هو الآن يَثْبُتُ عهد حَبِّه بدمه وروحه في كأس هو كأس الخلاص. المعاني تتزاحم هنا، والأسرار لا يُسِرُّ غورها، ولكنَّه الرَّبُّ الذي عند قدميه نجلس صامتين، ليلهج القلب بما لا يقدر الفم أن يعبر عنه، نقول له: ليس لك شبيه في الآلهة يارب، ولا من يصنع كأعمالك، فكلُّها بحكمة صَنَعَتْ.

وبعد أن خرج يهوذا ألقى يسوع خطابه الوداعي الطَّوِيلَ على تلاميذه، وابتدأ بقوله: «لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي» فتأمل. وهو خطابٌ سَجَّله يوحنا الإنجيلي على مدى ثلاثة إصحاحات كاملة من بشارته^(٢٢). وأعقب هذا الخطاب صلاة يسوع للآب والسيِّدِ دُونَهَا القُدَيْسِ يوحنا في إصحاح كامل هو الأصحاح السَّابِعُ عشر. هذه

٢١- مزمور ١٢٠: ١٢-١٣٧

٢٢- يوحنا ١٤، ١٥، ١٦

الصلاة التي كشفت حقيقة علاقة الابن بالآب، ومضمون رسالة الابن التي كلّفه بها الآب، هذه التي أكملها الابن على خير وجه، حينما أشرك بني الإنسان ليكون لهم نفس نصيب المجد الذي للابن الكلمة عند أبيه السماوي. وفيها بدأ يسوع بالتضرّع لكي يظهر مجد الآب، ثمّ صلىّ من أجل تلاميذه، وأخيراً طلب من أجل كل العالم، وهكذا يجب أن يكون تسلسل طلباتنا عندما نتضرّع إلى الله.

ثمّ توجه يسوع مع تلاميذه إلى جستيماي، وهناك صلىّ أيضاً بجهد عظيم، حتى تصبّب عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. كيف لا وهو يحمل في جسده الطاهر خطايا العالم كله، يحمل فيه وهو القدوس أوجاعنا وآماننا ومواتنا وهلاكنا. فكان لزاماً وقد تخلّت عنه الأرض كلها التي جاء لينقذها من هلاكها المحقق، ممثلة في شخص بطرس ويعقوب ويوحنا، الذين ناموا من الحزن رغم إلحاحه عليهم بالسهر والصلاة معه. كان لزاماً أن يظهر ملائكة من السماء يقويّيه. وبحسب التقليد القديم قال له الملاك: "لك القوة والمجد، لك البركة، لك العزة يا عمانوئيل إلهنا وملكننا". وهي ترنيمة الكنيسة في أسبوع البصخة المقدسة.

إذا فقد كانت أحداث هذا اليوم تتلخّص في النقاط الآتية الرئيسيّة:

- وليمة الفصح.
- غسل الأرجل.
- العشاء الأخير (٢٣).

٢٣- ويُسَمَّى في الكنيسة اليونانية "العشاء السري"، وهو اصطلاح طقسى يوناني حيث ورد هذا التعبير في صلاة تُقال عندهم في طقس هذا اليوم تقول: "في عشائك السري يا ابن الله اقبلني شريكاً، لأني لستُ مثل أعدائك أتكلّم سرّاً، ولا أعطيك قبلة مثل يوداس، بل مثل اللص اليمين أو من وأعترف لك. اذكرني يارب إذا جمعت في ملكوتك".

- الخطاب الوداعي الأخير وصلاة يسوع للآب.
- الخروج إلى حشيماني.

ولقد تَضَمَّنَتْ هذه النِّقَاطُ السَّابِقُ ذَكَرَهَا إِيمَاءَةً يَسُوعُ إِلَى مَسَلَّمِهِ يَهُوذَا، الَّذِي خَرَجَ مِنْ وَسْطِهِمْ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ الشَّيْطَانُ. وَإِنْبَاءَ يَسُوعُ لِبَطْرُسَ أَنَّهُ سَيَنْكُرُ مَعْلَمَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدَّيْكَ، رَدًّا عَلَى قَوْلِ بَطْرُسَ لَهُ: إِنْ شَكَّ فَيَكُ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشُكُّ.

أقدم العادات التي شاعت عن طقس خميس العهد

في العصور المسيحية الأولى وحتى القرن السابع الميلادي - ولاسيما في كنيسة شمال أفريقيا - شاعت عادة أفريقية وهي أن يأكل الشعب يوم الخميس الكبير بعض الأطعمة الشهية، بعد أن يكون قد مضى عليهم مدة طويلة، وهم لا يدوقون إلا الأنواع البسيطة من القوت، كالخبز والماء وبعض الخضر والحبوب، بدون زيت أو خمر. ثم يحتفلون بخدمة القُدَّاسِ الإلهي، ويتناولون الأسرار المقدسة، إقتداء بما فعله يسوع في يوم الخميس الكبير، عندما تناول أولاً العشاء حسب العادة، ثم أعطى الأسرار الإلهية للتلاميذ. ويظهر أن هذه العادة شاعت قبل الجمع المسكوني الثاني سنة ٣٨١م، لأنَّ جَمْعَ اللادِقِيَّةِ (٣٤١-٣٨١م) الَّذِي عُقِدَ قَبْلَهُ قَدْ انْتَقَدَهَا (٢٤).

أما الكنيسة القبطية فلا يوجد في نصوص صلواتها وألحانها في هذا اليوم ما يصف اسم هذا العشاء الأخير، ولكن تسميته عند الأقباط هي "العشاء الرباني".

٢٤- يقول القانون رقم (٥٠) لجمع اللاذقية: "لا يجوز حل الصيام الكبير في يوم الخميس من الأسبوع الأخير، أعني يوم الخميس الكبير المقدس. ففي ذلك احتقار وخرق للصوم كله، بل يجب أن نصوم كل فصل الصيام الكبير، ولا نتناول فيه إلا الأطعمة الخافتة".

كما نجد أيضاً إشارة إلى هذه العادة في مجمع قرطاجنة الذي عُقد سنة ٤١٩م، وقُنن ١٤٠ قانوناً، عُرفت باسم "مجموعة القوانين الأفريقية" يقول: "إنه لا يجوز أن يقدم الأسرار المقدسة على المذبح، إلا من كان صائماً، فيما عدا يوماً واحداً في السنة، وهو الذي نقيم فيه تذكار العشاء الأخير للرب".

فبرغم انتقاد مجمع اللاذقية (٣٤١-٣٨١م) لهذه العادة، إلا أن صداها كان لا يزال موجوداً بعد ذلك بحوالي نصف قرن في بعض الكنائس. ولما عُقد مجمع ترولو سنة ٦٩٢م، أشار في قانونه رقم (٢٩) معقياً على ما ذكره مجمع قرطاجنة سنة ٤١٩م بخصوص ذلك الأمر بقوله: "قد يكون أولئك الآباء القديسون قد استحسنوا السماح بذلك، لعل مفيدة للكنيسة، موافقة لظروف خاصة في بعض الأماكن، ولكن ليس من داع لإهمال المراعاة الدقيقة للصوم. فنحن نأمر باقتفاء تقليد الرسل والآباء، فلا يجوز أن نكسر الصيام في يوم الخميس من الأسبوع الأخير من الصوم الكبير، فنهتك بذلك حرمة الصوم كله".

ويُعقب العالم برسيفال على ذلك بقوله: "كان الصوم في استقبال سر الشكر (الإفخارستيا) عاماً في الكنيسة قبل مجمع ترولو سنة ٦٩٢م. وكل من درس هذه القضية ولم يتعمق في الدرس، لا يخامر في ذلك شك. وإني أقتبس هنا فقرة للقديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م):

إِنَّهُ مِنَ الْأُمُور الْوَاضِحَةِ، أَنَّ التَّلَامِيذَ عِنْدَمَا تَنَاوَلُوا جَسَدَ الرَّبِّ وَدَمَهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، لَمْ يَكُونُوا صَائِمِينَ، فَهَلْ يَجِيزُ لَنَا هَذَا أَنْ نَنْتَقِدَ الْكَنِيسَةَ الْجَامِعَةَ، لِأَنَّهَا لَا تَجِيزُ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَنْ يَتَنَاوَلَ هَذَا السَّرَّ إِلَّا مَنْ كَانَ صَائِماً؟ لَا عَلَى الْإِطْلَاقِ. لِأَنَّ الرُّوحَ

القُدس شاء من ذلك الحين أن يحدّد، أنّه تكريمًا لسرّ عظيم كهذا، يجب أن يُؤخذ جسد الرّب قبل كل طعام يتناوله المسيحي بفمه. وهكذا شاعت هذه العادة التي أشرنا إليها وصارت مرعيّة في كل مكان. وإذا كان الرّب قد وضع هذا السرّ بعد تناول أطعمة أخرى، فلا يعني ذلك أنّ الإخوة يجب أن يجتمعوا معاً لتناول هذا السرّ بعد أن يكونوا قد تغدّوا أو تعشوا. أو أن يتشبّهوا بالذين وبّخهم الرّسول ونبّههم إلى خطئهم، لأنّهم لم يميّزوا بين عشاء الرّب والطعام العادي.

بالحقيقة إنّ المخلص رغبة منه في أن يُبرز أعماق هذا السرّ لتلاميذه بصورة أشد نفوذاً، سرّ أن يطبعها في قلوبهم وفي أذهانهم بتأجيله تأسيسه إياه، ليكون آخر ما يقوم به من الأعمال قبل أن يغادرهم إلى الآمه. ولذلك لم يضع لهم النظام الذي يجب أن يُحفظ به هذا السرّ، تاركاً ذلك للرّسل. وقد شاء أن يرثب بواسطتهم كلّ ما يختص بكنيستهم. ولو أنّه أمر أنّ هذا السرّ يجب أن يُتناول دائماً بعد الطعام، فأعتقد أنّه لم يكن من يخالف أمره هذا. ولكن عندما يقول الرّسول متحدّثاً عن هذا السرّ «لذلك يا إخوتي عندما تجتمعون معاً لتأكلوا، لينتظر أحدكم الآخر. وإذا جاع فليأكل في البيت حتى لا يكون اجتماعكم لدينونة». ثمّ يضيف حالاً: «وما بقي سأضع له نظاماً عندما آتي» (١ كورنثوس ١٢: ٣٣-٣٥) يجب أن يفهم من قوله إنّّه كان يعسر عليه أن يسهب في رسالته في وصف ما تجب مراعاته في الكنيسة الجامعة في كلّ أنحاء العالم، ولكنّه في زيارته الشخصية، وضع لهم القواعد الواجب مراعاتها موحّدة الشكل، مع كل ما دخل من تنوع واختلاف إلى سواها من العادات].

وعلى الرّغم من صحّة هذا القول، فإنّنا لا ننكر أيضاً أنّه في قليل من الأماكن استمرّت العادة باعتبار يوم الخميس الكبير شاذّاً عن القاعدة، فتقام فيه وليمة عيد، تذكّاراً لعشاء ربّنا الأخير، وبعد ذلك تُقام خدمة القدّاس الإلهي. وهي العادة التي أشار إليها القانون رقم (٥٠) لجمع اللاذقيّة (٣٤١-٣٨١م) وأمر بمنعها. وحقيقة الواقع ظاهرة في نص القانون، وفي تفاسير الكتّاب اليونانيّين أنّ هذه العادة قد بُدّت، لا مجرد أنّها سبّبت قبول سرّ الشّكر بدون صيام، بل لأنّها تضمّنت أيضاً إقامة وليمة عيد، فكان ذلك كسراً للصّوم الكبير، وتدنيساً لكلّ ذلك الفصل المقدّس^(٢٥).

ومن بين العادات القديمة في هذا اليَوْم المقدّس، أنّه كان اليَوْم الذي يجري فيه تسميع قانون الإيمان غيباً للمرّة الأخيرة للمقبلين إلى المعموديّة، إذ كان اليَوْم التّالي مباشرة هو يوم الاستعداد لبدء مراحل التّعميد والتي تُستهل بجحد الشّيطان، فكان تسميع قانون الإيمان في يوم خميس العهد هو باب الدّخول لتكميل مراحل التّعميد.

فنقرأ في القانون رقم (٤٦) من قوانين مجمع اللاذقيّة (٣٤١-٣٨١م) ما يل: "إنّ المستنيرين (أي المستعدين للمعموديّة) يجب أن يحفظوا دستور الإيمان عن ظهر قلب، وأن يتلوه غيباً أمام الأسقف أو الكهنة في اليَوْم الخامس (الخميس) من كلّ أسبوع".

وبعد تسميع قانون الإيمان للمرّة الأخيرة في هذا اليَوْم، كان المستعدّون للمعموديّة يستحمّون بالماء في هذا اليَوْم، ليبدأوا الصّوم في اليَوْم التّالي مباشرة، وهو يوم الجمعة. فنقرأ في قوانين هيوليتس التي

٢٥- حانيا إلياس كساب (أرشيمندريت)، مجموعة الشّرع الكنسي، منشورات الثّور، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٢٣٣، ٢٣٤

وُضعت في القرن السَّادس الميلادي، وفي (القانون ٤:١٩) منها ما يلي:
 ”والذين يتعمَّدون فليستحمُّوا بالماء يوم الخميس من الأسبوع، ويأكلوا،
 ويصوموا الجمعة“.

طقس يوم الخميس الكبير في الكنيسة الجامعة

في القرون المبكرة

كان القُدَّاس الخاص بيوم الخميس الكبير في القرن الرَّابِع الميلادي في
 كنيسة أورشليم يُقام عشية هذا اليوم العظيم. وكان يتناول فيه جميع
 المؤمنين، ثمَّ يذهبون إلى جبل الزَّيتون ليقيموا هناك خدمة خاصة هي مزيجٌ
 من القراءات والتَّرانيم، إحياءً للوقت الذي قضاه يسوع هناك قبل أن يُقنَّبض
 عليه ليُسَلَّم للصَّلب، وكانوا يعودون إلى المدينة صبيحة يوم الجمعة.

وفي كنائس أفريقيا، كان يُحتفل بالإفخارستيا بعد عشاء يوم
 الخميس العظيم. لذلك سمح القانون رقم (٢٩) لجمع قرطاجنة بالأ
 يصوموا في ذلك اليوم قبل التناول، ولكن - وكما رأينا سابقاً - حاولت
 قوانين مجمعية أخرى إيقاف هذه العادة، كما في القانون رقم (٥٠) لجمع
 اللاذقية (٣٤١-٣٨١م)، والقانون رقم (٢٩) لجمع ترولو المنعقد سنة
 ٦٩٢م، ممَّا يوحي لنا بأنَّ هذه العادة استمرَّت رداً من الزَّمن امتد إلى
 عدَّة قرون.

وكانت - ولا تزال - كلُّ الكنائس شرقاً وغرباً تعتبر أنَّ هذا اليوم
 يختص ليتورجياً بتأسيس سرِّ الشُّكر فيه. وفي الغرب فإنَّ الاحتفال الخاص
 بتذكار تأسيس الرِّب لسر الإفخارستيا في هذا اليوم، قد تثبَّت في القرن
 الرَّابِع الميلادي، في مجمع هبو Hippo سنة ٣٩٣م.

وفي روما وفي القرون المسيحية الأولى، كان يُحتفل في هذا اليوم بإقامة ثلاثة قُدّاسات، ولكن القوانين الرومانية سمحت فيما بعد بإقامة إفخارستيا واحدة، أي قُدّاساً واحداً. ومنذ سنة ١٩٥٥ م صار يُحتفل بهذه الإفخارستيا الواحدة في المساء، حيث يُزيّن فيها المذبح بطريقة احتفالية قبل أن يبدأ القُدّاس.

حول طقس غسل الأرجل في خدمة هذا اليوم

مع مرور الوقت وبعد القرن الخامس الميلادي على الأقل تميّز يوم الخميس الكبير بطقوس أخرى، حيث أقيمت فيه خدمة خاصة بطقس غسل الأرجل، تذكراً لما فعله الرب في العلية مع تلاميذه القديسين.

وأنّ ما يدفعنا إلى هذا التأكيد هو أنّ القانون رقم (٦٦) من قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية، وهي القوانين التي تمّ تدوينها في أواخر القرن الخامس^(٢٦)، يتحدّث عن غسل الأسقف لأرجل كهنته ثلاث مرّات في السنة، وكان بالأولى أن تشير هذه القوانين إلى غسل الأرجل يوم خميس العهد إن كان هذا الطقس معروفاً في ذلك الوقت.

فيقول القانون رقم (٦٦): "ليأكل الأسقف مع الكهنة مرّات كثيرة في الكنيسة، حتى يبصر ترتيبهم إن كانوا يأكلون بهدوء وخوف من الله، ويقف يخدمهم. وإن كانوا ضُعفاء، فليغسل أرجلهم بيديه، وإن كان لا يقدر، فليدع رأس القسوس أو الذي بعده، يغسل أرجلهم. ووصية المخلص لا تتركوها عنكم، لأنكم تعطون جواباً عن هؤلاء جميعهم، لكي

٢٦- قد أثبت في كتاب "قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية"، أن مؤلف هذه القوانين هو البابا أثناسيوس الثاني (٤٨٩-٤٩٦ م)، وليس البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣ م)، فارجع إليه إن شئت.

هم أيضاً يروا تواضع المخلص فيكم.

لا يكسل الأسقف عن هذا جميعه ثلاث مرّات في السنّة، في عيد الفصح، وعيد البنديكستي، وعيد الغطاس الحادي عشر من طوبة. ولا يحضر في وسط جمعهم كاهن غير مؤمن، أو واحد من الغرباء من قبيلة أخرى إلا كاهن فقط“.

ويؤكد على ذلك الأمر القانون رقم (٦٨) من نفس هذه القوانين السابقة حين يقول: ”جميع كهنة القرى التي من أعمال المدينة، يجتمعوا بالأسقف في يوم واحد ثلاث مرّات في السنّة...“.

واضحٌ ممّا سبق ذكره، أنّ طقس غسل الأرجل في بداياته الأولى لم يكن طقساً يُمارَس أثناء الصلوات الطقسية الكنسية، ولكنّه كان يُمارَس عندما يجتمع الأسقف مع كهنته في اجتماع خاص بهم.

فهذا الطقس في أصوله القديمة كان يتم بين الأسقف وكهنته، حيث يغسل الأسقف أرجل كهنته غسلًا حقيقياً فعلياً، كما فعل المسيح له المجد مع تلاميذه. وذلك قبل أن يتحوّل إلى طقس شعبي.

ويُطلعنّا ابن سباع في القرن الثالث عشر عن ذلك التحوّل بقوله: ”وعند نهاية القدّاس الذي على اللّقان، يتقدّم كاهن آخر يهبيء نفسه لخدمة القدّاس، وضمن ذلك يكون الكاهن غسل أرجل الشعب من الكبير إلى الصّغير، كهنة وشمامسة وعلمانيّين وأطفال، وهو مشدود الوسط، كمثل ما فعل السيّد له المجد مع تلاميذه بذلك الاتضاع العظيم“ (٢٧).

ولازالت الكنيسة القبطية تحتفظ بالموضع التقليدي القديم لغسل الأرجل كما فعل الرب نفسه، أي قبل إقامة الإفخارستيا في هذا اليوم المقدس، حيث تتم هذه الخدمة أو هذا الطقس في كل الكنائس القبطية صغيرها وكبيرها، فيغسل كبير الكهنة أرجل الشعب، سواء كان هو البابا البطريرك أو الأسقف أو أكبر الكهنة الحاضرين.

ففي الكنيسة الكاتدرائية التي يُصلي فيها البابا البطريرك، كان هو الذي يقوم بغسل أرجل الشعب واحداً فواحداً؛ وهو ما نقرأه غير مرة - على سبيل المثال - في مخطوط رقم (١٠٠ عربي) والمحفوظ في المكتبة الأهلية بباريس. فنقرأ فيه ما يلي:

في زمن البابا ثيودوسيوس الثاني (١٢٩٤ - ١٣٠٠) نقرأ:

”... ثم خرج السيد البطريرك هو والأساقفة وقدسوا القصرية، وكان أسقف يحرس الهيكل. وغسل أرجل الشعب، ثم عاد إلى الهيكل، أعني السيد البطريرك، وقدس على الميرون، ثم قدس بعده الغاليليون...” (٢٨).

وفي زمن البابا يوانس بن القديس (١٣٠٠ - ١٣٢٠ م) نقرأ:

”... ثم خرج البطريرك والأساقفة إلى اللقان، وقدس عليه البطريرك وغسل أرجل الشعب كما جرت العادة...” (٢٩).

وفي زمن البابا بنيامين الثاني (١٣٢٧ - ١٣٣٩) نقرأ:

”ولما انتهى إلى المكان الجاري عادة الرهبان أن تعمل فيه مثال غسل أرجل السيد للتلاميذ، ابتداءً هناك بالصلاة على الماء، وخدم معه أنبا

٢٨ - مخطوط رقم (١٠٠ عربي) بالمكتبة الأهلية بباريس، عن صورة طبق الأصل منه.

٢٩ - نفس المرجع السابق.

بطرس أسقف ألقيس، وغسل أرجل الآباء الأساقفة والقسوس ومن هياً من الشعب، ولأجل ازدحام الشعب المجتمع لم يتهياً للجميع أن يحظوا بغسل أرجلهم، ثم انتقل إلى هيكل بنيامين وابتدأ بقُدَّاس الميرون ...“ (٣٠).

ومن سيرة البابا بطرس الخامس (١٣٤٠ - ١٣٤٨) الـ ٨٣ حين عمل الميرون في دير أنبا مقار سنة ١٣٤٠ م نقرأ ما يلي:

”... فلماً كان باكر يوم الخميس الكبير، تجمَّع الآباء الأساقفة، وصعدوا إلى قلاية السيّد البطريك، ونزلوا وهو صحبتهم إلى الكنيسة الجامعة، وصلّى كجاري العادة بالبصخة المقدّسة، الثبّوات أولاً، ثمّ خدم الصّلاة وقرأ الإبركسيس القمّص أنبا جاورجي. وبعد ذلك كملّ الصّلاة كالعادة ... إلى أن انتهى إلى موضع اللقّان فوقف هناك وابتدأ بالصّلاة على القصريّة، وخدم معه أنبا بطرس أسقف ألقيس وعند نهاية صلاة اللقّان غسل أرجل جميع من حضر من الآباء الأساقفة والرّهبان والعلمانيّين والعبيد والغلمان بتأن ورياضة إلى أن لم يبق أحدٌ منهم كبيراً ولا صغيراً. وبعد ذلك نهض قائماً والشّماسة ترثّل قدّامه **Δκβι** **Ἰησαῖος ἡλιωῦνης** الصّورة المختصّة بالبطريك في الذّكصولوجيّة الواطس بلحن **Πικεβερνιγτης**، فدخل من رواق هيكل بنيامين، الموضع الذي عمل فيه صلاة اللقّان إلى رواق هيكل أبو مقار، ومنه إلى رواق هيكل أبو شنوده، فصعد منه إلى الهيكل المذكور أعني هيكل أبو شنوده، فجلس هناك لحظة لطيفة جداً، ثمّ نهض قائماً، وغير تلك البذلة السوداء ببذلة أخرى سوداء، ودخل من هيكل أبو شنوده والقراءة قدّامه إلى

هيكل أبو مقار، ومنه إلى هيكل بنيامين...“ (٣١).

أمّا الآن، ونظراً للأعداد الغفيرة من جموع المصلّين في هذا اليوم، فقد اقتصرت الممارسة الطّقسيّة في الكنائس القبطيّة على أن يسمح الكاهن قديمي كلّ واحد من الشّعَب من الرّجال، بلفافة مبلّلة بماء اللّقان، بينما يرش من ماء اللّقان على النّساء.

وجدير بالذكر أنّ الكنيسة البيزنطيّة تحتفل بهذا الطّقس في الكاتدرائيّات فقط، أي في الكنائس التي يُصلّي فيها الأساقفة، حيث تتمم هذه الخدمة بعد القدّاس الإلهي، حيث يقوم الأسقف بدور المسيح، فيغسل أرجل اثني عشر كاهناً رمزاً للتلاميذ الاثني عشر. ومن ثمّ فهي ليست خدمة شعبيّة لدى الكنيسة اليونانيّة كما في الكنيسة القبطيّة.

أمّا في كنيسة روما فقد تثبت طقس غسل الأرجل Pedilarium في نهاية القرن السّابع، وبالتّحديد سنة ٦٩٤م في مجمع طليطلة السّابع عشر، حيث جعلت منه طقساً ضرورياً للخميس العظيم في كلّ كنائس أسبانيا وبلاد الغال أيضاً. وعندما أصبح الاحتفال بقدّاس خميس العهد في الصّباح في القرن الثالث عشر في روما، بقى طقس غسل الأرجل طقساً مستقلاً قاصراً على الكاتدرائيّات وكنائس الأديرة، يُمارس بمعزل عن القدّاس، حيث كان يبدأ بترتيل الإصحاح الثالث عشر من إنجيل القديس يوحنا البشير. وأثناء ترديد الأنتيفونات المختصّة بهذا الطّقس يدخل اثنا عشر من رجال الإكليروس إلى الهيكل، حيث يغسل المترس أقدامهم وينشفها، كلّ في دوره. وليس للشّعَب اشتراك في هذا الطّقس. ولكن في زمن البابا بيوس الثّاني عشر (١٩٣٩ - ١٩٥٨م) ضمّ هذا الطّقس ليصير بعد عظة

قدّاس خميس العهد، حيث عمّمه في جميع الكنائس (٣٢).

بعض السمات التي تميّز ليتورجية هذا اليوم في الكنائس المختلفة

يطرأ على الليتورجيا في هذا اليوم بالذات، بعض السمات التي تميّزها عن أي ليتورجية أخرى على مدار السنة الطقسية، وهو ما سأعرض له تفصيلاً فيما بعد فيما يختص بليتورجية كنيسة الإسكندرية. أمّا في كنيسة روما فيتميّز طقس قدّاس هذا اليوم بدق جرس مقدّس Solemn ringing باستخدام كلّ الأجراس الموجودة في الكنيسة، وذلك عند ترديد الجدلّة الكبرى Gloria in excelsis "المجد لله في الأعالي...". ومنذ هذه اللحظة، يتوقّف دق الأجراس حتى عشية عيد القيامة. كما يُستخدم في هذا القدّاس أيضاً نصّ خاصٌ بالتّقدّيس، لا يُستخدم في غير هذا اليوم.

وبعد انتهاء قدّاس هذا اليوم، تُنقل القدّسات التي تمّ تقديسها في موكب احتفالي إلى مذبح خاص يُسمّى "مذبح الرّاحة أو مذبح السّكون" (٣٣) Altar of Repose لاستخدامها في قدّاس القدّسات السّابق تقديسها، والذي يُتمّم في يوم الجمعة العظيمة.

وبعد ذلك تُعرى جميع المذابح من أغطيّتها، وتُفرّغ أجران الماء المقدّس من مياهها (٣٤).

ومن الملامح الطقسية أيضاً في هذا اليوم شرقاً وغرباً، تقديس الميرون المقدّس، فتستمر الكنيسة اليونانية واللاتينية حتى أيامنا هذه في إجراء

32- ODCC, 2nd edition, p. 1057.

٣٣- عُرف هذا المذبح أولاً في القرن الخامس عشر الميلادي.

34- ODCC, 2nd edition, p. 893.

هذا الطَّقس في يوم الخميس العظيم مع الفارق أن كلَّ أسقفٍ لايتني يمكنه تقديس الميرون لإيبارشيَّته، بينما يقوم بهذا العمل في الكنائس الأرثوذكسيَّة البطريرك أو رئيس أساقفة كلِّ كنيسة مستقلة. أمَّا في الكنيسة القبطيَّة فصار هذا اليوم أيضاً هو يوم تكريس الميرون - إقتداءً بالكنيسة البيزنطيَّة - بدءاً من نهاية القرن العاشر الميلادي^(٣٥). وكان تكريسه التقليدي القديم في الكنيسة القبطيَّة هو في يوم الجمعة السَّادسة من الصَّوم المقدَّس الكبير، أي يوم جمعة ختام الصَّوم^(٣٦).

وكان من الملامح الطَّقسيَّة لهذا اليوم أيضاً في روما - والتي أصبحت طقساً مهجوراً الآن - مصالحة التَّائبين.

وتوجز إحدى قطع صلاة السَّحر المسماة οἶκος (إيكوس) أي "البيت" في الكنيسة البيزنطيَّة معنى طقوس يوم الخميس العظيم، فنقول التَّرنيمة: "لنتقدَّم جميعنا بخوف إلى المائدة السَّرِّيَّة، ونتقبَّل الخبز المقدَّس بنفوس طاهرة، ولنمكث مع السيِّد، لكي نعاين كيف يغسل أقدام التلاميذ، وينشِّفها بالمنديل، فنقتدي به. ولنخضع بعضنا لبعض، ونغسل بعضنا أقدام بعض، لأنَّ المسيح نفسه هكذا أمر تلاميذه وصار قدوة لهم. إلَّا أنَّ يهوذا ذلك العبد الغاش الدَّافع أبي أن يسمع وأمسى عادم التَّقويم".

٣٥- باستثناء مرَّة في سنة ١٣٣٠م، حيثُ عمل في عيد القيامة، ومرتين في أوائل القرن العشرين سنة ١٩٣٠، و١٩٣١م، حيثُ عمل في منتصف الصَّوم الكبير. وست مرَّات في زمن البابا شنودة الثالث، حيثُ عمل في الخميس السَّابع من الصَّوم، وهو الخميس السَّابق مباشرة لخميس العهد.

٣٦- لقد شرحتُ بتفصيل مستفيض هذا الموضوع في كتاب "سرُّ الرُّوح القدس والميرون المقدَّس"، فارجع إليه إن رغبت.

الفصل الثاني

طقوس صلوات سحر خميس العهد

في الكنيسة القبطية

أولاً: طقس صلوات باكر خميس العهد عند ابن سباع

يقول ابن سباع في الباب المائة وثلاثة من كتابه "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة"، وهو بعنوان: "في ذكر يوم الخميس (كذا) العهد الجديد، والقصريّة، والقُدّاس" (١):

"فلما كان يوم الخميس الكبير، يوم ذبح الخروف الحقيقي، تُفتح أبواب الهيكل، موضع ذبح الخروف الحقيقي، على العادة، ويرفعون السّتر، ويتقدّم الكاهن الكبير الحاضر يغسل رجليه، لأنه كَلّه نقي، وهو حسب الرّسم الذي تقدّم ذكره (٢)، ويدخل إلى هيكل الله، ثم يقول صلاة الشُّكر، ويرفع البُخور على جاري العادة، ويدور على الهيكل وهو يقرأ في الصّلوات الجارية بها العادة (٣).

١- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسي، مؤلفات المركز الفرنسي-سكّاني للدراسات الشّرقيّة المسيحيّة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٣٣٠ - ٣٣٣

٢- يقصد ابن سباع هنا، الباب الثّاني والسّتون من كتابه "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة"، وهو بعنوان: "في ذكر تطهير أقدام الكاهن قبل طلوعه الهيكل". ويقول في مقدّمة هذا الفصل: "ثم إن الكاهن المقدّس، رئيساً كان أو مرؤوساً، ينبغي له قبل لباس البدلة، وطلوع الهيكل المقدّس، غسل قدميه فقط، لأنّه طاهر بالمعموديّة، ولقول الرّب في الإنجيل المقدّس: الذي يتطهّر لا يحتاج إلّا إلى غسل قدميه فقط، لأنّه كَلّه نقي. فلا ينبغي أن يطلع أحدٌ إلى قدس الأقداس إلّا مطهّراً كَلّه، أولاً بالمعموديّة، وثانياً بغسل قدميه ... الخ".

يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ١٧٦، ١٧٧

٣- وهي الأواشي الثلاثة الصّغار.

وبعد رفع البُخور وصلواته، يتدئ الكاهن بالصَّلاة ويقول:
 'ذُكِّصا ري، وأبانا الذي في السَّموات' إلى آخرها. ويقول بعدها
 'تعالوا نسجد تعالوا نطلب للمسيح إلهنا' الثلاثة بكما لها. وبعدها
 يقول مزموور الخمسين^(٤).

ويُقرأ الإبركسيس في غير اللحن السنوي، لكن بلحن يوم الخميس
 المعروف به ويفسرونه^(٥).

٤- هذا هو موقع صلاة باكر، أي مزامير صلاة باكر من داخل رفع البُخور،
 وذلك بحسب الطقس الذي ساد الكنيسة القبطية لما بعد القرن الرابع عشر الميلادي،
 وهو ما يذكره ابن سباع في كتابه "الجوهرة النفيسة..."، وابن كبر أيضاً في كتابه
 "مصباح الظلمة..." بحسب مخطوط أوبسالا الذي نُسخ سنة ١٥٤٦م، أي حتى
 منتصف القرن السادس عشر الميلادي. وهو نفس ما تمارسه الكنيسة القبطية حالياً في
 باكر سبت الفرح.

في حين كان البعض يُصلون مزامير صلاة باكر قبل رفع البُخور، ولكنّه لم يكن هو
 الطقس السائد آنذ.

٥- في أربعة مخطوطات من "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة" لابن سباع،
 أقدمها يعود إلى القرن السابع عشر الميلادي أي سنة ١٦٣٤م - وهو مخطوط رقم
 (١٥ طقس). بمكتبة البطريكية بالقاهرة (وبرقم مسلسل ١٨٠ بكتالوج مرقس سميكة
 باشا) يقول (بنصّه): "... وتعالوا نسجد ومزموور الخمسين والنبوه والابركسيس
 المخصوص بلحنه قبطيا وعريبا ويقول الشعب القطعه المتعلقة بالذي اهلك نفسه
 الذي هو يهوذا الاسخريوطي قبطيا بلحنها ويفسروها واجيوس ثلاثة بلحن الحزن
 وصلاة الانجيل ويقرا المزمور والانجيل والموعظه التي للقربان والطرح قبطيا وعريبا
 والطبحات المدونه في البصحه يكون ذلك مختصا بالقس الذي رفع البخور مع الموعظه
 وتختتم بعد قراءة الميمر..."

أما أحدث مخطوطة من مخطوطات "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة" وهي
 مخطوطة رقم (٣٥٣ لاهوت) بمكتبة البطريكية بالقاهرة (رقم ٥٥٠ في كتالوج
 المخطوطات لمرقس سميكة باشا)، وهي من القرن العشرين، فنقرأ فيها ما نصّه:

تقال أجيوس الثلاثة تقديسات على العادة، الاثنتين (الأوليين) للميلاد المقدس، والثالثة للصليب. ولا يذكر في هذا اليوم في التقديسات القيامة.

بعد هذا يقول صلاة الإنجيل. يُرفع البخور، ولا يُقبل الإنجيل في ذلك اليوم، ولا يدور في الكنيسة بالبخور لأجل قُبلة يهوذا.

ثم تُقرأ المزامير أدربيي، ويُقرأ الإنجيل، والطرح، على العادة، ويكملون الصلاة مثل سواعي جمعة البصحة لا غير.

ويصلون الثالثة والسادسة والتاسعة على العادة“.

تعقيب على طقس صلوات باكر خميس العهد عند ابن سباع

(١) لا ذكر لنبوة تُقال في باكر خميس العهد عند ابن سباع.

(٢) لا ذكر لتسبحة البصحة $\Theta\omega\kappa \tau\epsilon \dagger \chi\omicron\mu\iota$ (ثوك تي تيجوم)

في رفع بخور باكر خميس العهد.

(٣) لا ذكر لأرباع التاقوس بعد صلاة الشكر التي يصلّيها الكاهن،

لأنه واضح من كلام ابن سباع، أن الكاهن بعد أن ينتهي من صلاة الشكر، يقول الأواشي الثلاثة الصغار - وهو يدور حول المذبح - بصوت مسموع، حيث يشترك معه الشمّاس بالمرّدات، والشعب أيضاً. وهنا تأكيدٌ جديدٌ بأن أقدم مخطوطات الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة،

”ويقرى النبوه والابركسيس في اللحن المعروف به ويفسروه ويقول الشعب القطعه المتعلقة بالذي اهلك نفسه الذي هو يهوذا الاسخريوطي قبطيا بلحنها ويفسروها ويقال الثلاث (هكذا) تقديسات بلحن الحزن وصلاة الانجيل ويقرى المزمور والانجيل والموعظه التي للقران ويرفع البخور ولا يقبل الانجيل في ذلك اليوم“.

وهو مخطوط يعود إلى منتصف القرن الخامس عشر وبالتحديد إلى سنة ١٤٤٨م^(٦) لا زال يحافظ على الطَّقس القديم، قبل أن تُعرف أرباع النَّاقوس، والتي حوِّلت الأواشي التي يقولها الكاهن حول المذبح إلى صلوات سرِّيَّة، فبَطَلَ فيها دور الشَّمَّاس، وبالتالي مشاركة الشَّعب أيضاً.

(٤) بعد صلاة الشُّكر ودورة البُخور حول المذبح. بمشاركة كاملة من الشَّعب، يبدأ الكاهن بالصَّلَاة، حيث يقول ”المجد للآب ... الخ“، ثمَّ الصَّلَاة الرِّيَّة، ثمَّ ”تعالوا نسجد، تعالوا نطلب للمسيح إلهنا ... الخ“، ثمَّ المزمور الخمسون.

وهذا هو الطَّقس الذي ساد في معظم الكنائس، في صلوات رفع بخور باكر، حيث تكون صلاة مزامير باكر من داخل صلوات رفع البُخور، وفي هذا الموضع الطَّقسي تحديداً. وسأعود إلى شرح هذه النُّقطة مرَّة أخرى بتوضيح أكثر عند الحديث عمَّا يذكره ابن كبر عن طقس صلوات باكر خميس العهد.

(٥) لا يخرج الكاهن من الهيكل بالبُخور ليدور به في صحن الكنيسة، حيث يقول ابن سباع: إنَّ الكاهن لا يدور في الكنيسة بالبُخور لأجل قُبلة يهوذا. وعدم التَّقْبيل عنده هو عدم تقبيل الإنجيل في ذلك اليوم.

(٦) لا ذكر لأوشية القرابين، وهذه نقطة في غاية الأهميَّة، إذ يدعمها قانون كنسي قبطي يعود إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي. وهو ما سأشرحه تفصيلاً عند الحديث عن طقس قُدَّاس يوم خميس العهد.

(٧) لا ذكر لترتيل الذكصولوجيات، وهو ما اتفقت عليه كل المصادر الطقسية، وكافة المخطوطات قيد الدراسة، باستثناء كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، وهو خطأ طقسي وقع فيه الدلال المذكور، وهو ما سوف أشرحه فيما بعد.

(٨) لا ذكر لترتيل قانون الإيمان عند ابن سباع، ولا ذكر لقول الكاهن $\Phi\uparrow\text{ NAI NAN}$ (إفثوتي ناي نان)، ولا للحن $\Phi\alpha\iota\ \epsilon\tau\alpha\chi\epsilon\text{r}\epsilon\text{r}\epsilon\text{r}\epsilon\text{r}$. ولا يمكننا أن نقول إنها عناصر ليتورجية أغفلها ابن سباع، لأنه ذكر عناصر ليتورجية أخرى سنوية، برغم أنه يشرح رفع بخور باكر خميس العهد. ولكن كلامه يوضح لنا أن الطقس الذي استقر لدينا اليوم في سحر يوم الخميس الكبير، هو محصلة مجموعة ممارسات طقسية من أكثر من جهة من الجهات في أنحاء مصر.

وأظن أن كلام بن سباع السابق ذكره، يشرح لنا الطقس القديم جداً لباكر يوم خميس العهد، وربما يكون هو طقس كنائس الصعيد كما كان يُمارس في غضون القرن الثاني عشر أو قبله أيضاً.

(٩) فصل الإبركسيس بلحنه المعروف به، هو عنصر ليتورجي قديم، اتفقت عليه كل المصادر، قديمها وحديثها.

(١٠) لا وجود للقطعة الرومي المختصة بتبكيته يهوذا الإسخريوطي في معظم مخطوطات كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة لابن سباع وأكثرها قدماً. فقد ورد ذكرها في أربعة مخطوطات فقط من بين ثماني عشر مخطوط منتشرة في مكتبات ومتاحف القاهرة وبيروت والشرفة والفاثيكان وباريس. وأقدم هذه المخطوطات الأربعة هو مخطوط يعود إلى

القرن السابع عشر الميلادي، أي سنة ١٦٣٤م، وقد سبق الإشارة إليه.

(١١) عن الثلاثة تقديسات، يُقال الأولى والثانية "يا من وُلد من العذراء ارحمنا" والثالثة "يا من صلب عنا ارحمنا"، وهو غير ما نمارسه حالياً. وأمّا المدون في مخطوطات ترتيب البيعة فهو أن الأولى فقط "يا من وُلد من العذراء ارحمنا" وأمّا الثانية والثالثة فهي "يا من صُلب عنا ارحمنا."

(١٢) لم يذكر ابن سباع العظة التي تُقال بعد قراءة فصل الإنجيل المقدس في باكر خميس العهد، وهي العظة التي سبق أن أشرتُ بخصوصها بأن أقدم مخطوط يضم نصّها يعود إلى القرن الرابع عشر أي سنة ١٣٨٥م، ممّا يعني أن انتشار هذه العظات وعددها لم يكن بالتساوي والتوازي في كل الكنائس.

ثانياً: طقس صلوات باكر خميس العهد عند ابن كبر

"مخطوط أوبسالاً"

"الذي يُعتمد يوم الخميس الكبير. في الساعة الأولى منه، يُقرأ فصل من التّوراة، وبعده Θωκ τε ψουμ .

ويُفتح الهيكل، ويكسى كسوة سوداء، ويقول الكاهن (صلاة) الشُّكر، ويرفع البخور.

ويُقال Διωινη μαρενοτωψτ^(٧) ومزمور ٥٠، ويُبحر الشَّعب إيماء، ولا يُقبَل^(٨).

٧- أي: تعالوا فلنسجد ... الخ.

٨- أي الدّوران بالشُّورية حول المذبح والكنيسة. كالعادة، ولكن بدون تقبيل.

ويقال $\Pi\iota\epsilon\rho\sigma\iota\alpha\ \pi\iota\epsilon\rho\sigma$ ^(٩).

وفصل من الإبركسيس بلحن معروف به، وابرافاديته ^(١٠) في لحن إشعياء، ويُفسر.

ويقول الشعب أجيوس باللحن المعروف بعد الإبركسيس، باللحن المعروف بالكبير الثلاث تقديسات.

ويطرح المزمور أدريياً، أو تجنيزاً، ويُقرأ الإنجيل بلحن الحزن.

وتُكَمَّل الصلوة على العادة بالموعظة، والطرح، والطبحات، وكبير اليصون.

تعقيب على ما يذكره ابن كبر في ترتيب سحر خميس العهد

العناصر السابق ذكرها لابن كبر هي عن "مخطوط أوبسالا" الذي تمت نساخته في سنة ١٥٤٦م. وقد سبق أن ذكرت، أننا قد فقدنا الورقات التي تشرح طقس خميس العهد في "مخطوط باريس" المنسوخ بعد وفاة ابن كبر بأقل من خمس وعشرين سنة. وبمقارنة ما يورده المخطوطان المشار إليهما في شرح طقوس مناسبات أخرى، لاحظت أن ناسخ "مخطوط أوبسالا" يذكر عناصر ليتورجية حديثة لم يشر إليها "مخطوط باريس". وربما قد قد دوتت في هامش هذا الأخير، ونقلها ناسخ "مخطوط أوبسالا" إلى

٩- أي: أوشية القرايين.

١٠- يُظن أن المقصود بهذه الكلمة هي القطعة الرُومي التي تُقال بعد فصل الإبركسيس تبكيتاً ليهودا، والذي تدعوه هذه القطعة بلقب "مخالف التاموس" $\pi\alpha\rho\alpha\nu\omicron\mu\omicron\varsigma$ (أوبرانوموس).

ويرى الأخ ودع الفرنسيكاني أنها ترجمة الكلمة اليونانية $\pi\rho\omicron\phi\eta\tau\epsilon\iota\alpha$ (بروفيتيا).

الأخ ودع الفرنسيكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٣٠٥

المتن. وعلى ذلك فقد جاء النص في "مخطوط أوبسالالا" نصاً مطولاً أكثر مما ورد في "مخطوط باريس".

لكن من الواضح أن هناك عناصر ليتورجية قد استجذت عن تلك التي يشرحها الطقس القديم عند ابن سباع.

(١) قراءة فصل من التوراة - بحسب "مخطوط أوبسالالا" - هو ما يؤكده جميع مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة، ولاسيما "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، وهو أقدمها جميعاً. والفصل المعني هنا هو (خروج ١٧: ٨-الح).

(٢) إن عبارة "يكسى الهيكل بكسوة سوداء"، عبارة صعبة، لأنه هل يمكن أن تُجَلَّل السماء بالسواد؟ وهنا أشير إلى أن ابن سباع لم يرد عنده هذه العبارة مطلقاً، ولكنه يكتفي بالقول عند شرحه لرفع بخور باكر خميس العهد بعبارة: "تُفتح أبواب الهيكل ... على العادة، ويشيلوا الستر ...". وعند شرحه لصلاة البصخة في الخوروس الخارجي للكنيسة، يقول: "يدلى الستر على الهيكل، وتُغلق أبوابه، ويعود الكهنة إلى برا الخورس" (١١).

إذا فنحن الآن أمام طقس أكثر حداثة، في هذه الجزئية تحديداً. وسأعود إلى هذه الجزئية مرة أخرى بعد قليل.

(٣) نلاحظ أنه بعد صلاة الشكر، ورفع البخور حول المذبح، يذكر ابن كير - بحسب "مخطوط أوبسالالا" - أنه يُقال **Δευωμι μαρενοτωπτ** "تعالوا نسجد ..."، وبعدها المزمور الخمسون. وهو

نفس ما سبق أن ذكره ابن سباع حين قال: "وبعد رفع البُخور وصلواته، يتبدئ الكاهن بالصلاة ويقول: 'ذُكصابتري، وأبانا الذي في السّموات'، إلى آخرها. ويقول بعدها: 'تعالوا نسجد، تعالوا نطلب للمسيح إلهنا' الثلاثة بكماها. وبعدها يقول المزمور الخمسين".

وإليك قارئ العزيز، التطور اللّيورجي الذي طرأ على هذه الجزئية من طقس رفع بخور باكر.

فاين كبر - طبقاً "لمخطوط باريس" والمؤرخ في حرية البابا يوانس العاشر (١٣٦٣-١٣٦٩م) - وفي الباب السادس عشر، وهو الباب المختص بترتيب الصلوات النهارية والليلية، وعند شرحه لرفع بخور باكر، يذكر ما يلي: "... قوم يرون أن يُرفع البُخور أوّل الصلاة، وقوم يرونه بعد قراءة المزامير وما يتلوها. ولا تتبدئ الصلاة إلاّ بأوشية الشكر، ثم أوشية البُخور. وتقرأ بعد المزامير المختصة بباكر النهار، هذه الإبصالية ... الخ".

إذاً فحتى الثلث الأخير من القرن الرابع عشر على الأقل، كانت واحدة من الممارسات الطقسية السائدة، أن تبدأ مزامير صلاة باكر بكماها، بعد صلاة الشكر ودورة البُخور حول المذبح.

وإذا جئنا إلى ابن كبر نفسه - طبقاً "لمخطوط أوبسالا" المؤرخ بتاريخ ١٥٤٦م، وفي نفس الباب السادس عشر نقراً: "... قوم يرون رفع البُخور أوّل الصلاة، وقوم يرونه بعد قراءة المزامير وما يتلوها، كما سنبيّن. أمّا صلاة باكر فتبتدئ، ويُقال

Κε Κε Κυrie εν γλωσσησον αμην αλ. Δοξα πατρι.

Др҃итен њмѣѡа њ҃хос. Царенцѣрѣмот. Амѡини. Паг

ⲛⲏⲏⲓ Ⲫⲧ. Ⲡⲓⲣⲉⲧⲓⲛⲟⲥ ⲏⲧⲉ ⲃⲁⲛⲁⲧⲟⲩⲧⲓ ⲓⲡⲓⲉⲃⲟⲩⲧ. (12)

إذا فحقت منتصف القرن السادس عشر، وطبقاً "لمخطوط أوبسالا"، كانت مزامير صلاة باكر تُصلَّى بعد دورة البُخور حول المذبح.

وما يذكره "مخطوط أوبسالا" هنا، يشرح لنا ما سبق أن ذكره ابن سباع. ولكن ابن سباع ومعه ابن كبر، حين يتحدثان عن رفع بخور باكر يوم خميس العهد، يحدقان مزامير باكر، والتي لا تُقال في أسبوع البَصْحَة، ومن ثمَّ يذكران أنه تُقال "تعالوا نسجد ... الخ"، وبعدها المزمور الخمسون، وحسب.

وهكذا يتفق كلُّ من ابن سباع وابن كبر على هذه الجزئية من طقس رفع بخور باكر. وهنا لا ذكر لأرباع ناقوس، لأنها لم تكن قد عُرفت في كافة الجهات حتى ذلك الوقت. ولأنَّ أرباع النَّاقوس لا توافق طقس هذا اليوم الذي يخلو من تذكارات القديسين، وهو ما انزلت إليه مخطوطات ترتيب البيعة.

فإذا فهمنا ما سبق ذكره، يكون من السَّهل علينا أن نفهم ما تقصده مخطوطات ترتيب البيعة، وباقي المخطوطات الأخرى قيد الدِّراسة، حين تذكر في هذه الجزئية من الطَّقس، ترتيب أرباع النَّاقوس - وهو الطَّقس المستحدث في هذا الوقت من صلوات رفع البُخور - ومن بعدها تذكر نفس العناصر الليتورجية لمقدمة مزامير صلاة باكر، كما ذكرها ابن سباع، وابن كبر أيضاً - طبقاً "لمخطوط أوبسالا" - ومن بينها المزمور

١٢- أي: يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك آمين هليلويا. الحمد للآب. اجعلنا مستحقين أن نقول. فلنشكر. تعالوا. ارحمني يا الله. تسبحة باكر النَّهار.

الخمسون، ولكن بدون أن تشير إلى قطعة "تعالوا نسجد، تعالوا نسال المسيح إلهنا ... الخ".

هنا يتّضح لنا بكلّ جلاء، الأحقاب التاريخية المتتابعة، التي خلّفت من ورائها طقساً، هو خليطٌ من أكثر من ممارسة طقسية، يرده الناس بدون معرفة تاريخية له، فيثقل كاهلهم بحمل، هم في غنى عنه، إن استوعبوا ما يمارسون. وهذا هو بعينه ما فعله كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، حين ذكر في رفع بخور باكر خميس العهد أنه تُقال أرباع الناقوس إلى آخرها كالعادة - خطأ^(١٣) - ثمّ المزمور الخمسين^(١٤). ثمّ يعود يذكر في باكر سبت الفرح ما يلي: "يقولون بالناقوس Πενήρωσις (وتعالوا نسجد، وارحمي يا الله كعظيم رحمتك)"، وكونه قد وضع "تعالوا نسجد، وارحمي ... بين قوسين ()، فهذا يعني أنه غير مستوعب لوجودهما هنا، وكان قد أغفل من قبل ذكرهما في رفع بخور باكر خميس العهد، بدون سبب معروف.

والخلاصة هي؛ أنه بعد دخول أرباع الناقوس لتحل محل مزامير صلاة باكر في هذه الجزئية من الطّقس، وانتقال مزامير صلاة باكر لتُقال قبل رفع البخور وليس من داخله، فقد سقط من طقس رفع بخور باكر خميس العهد طلبه "تعالوا نسجد ... الخ"، وما يسبقها من مقدّمة لصلاة باكر، بكافة عناصرها الليتورجية.

ولقد ترتّب على هذا الوضع أن أصبح طقس رفع بخور باكر، طقساً اختيارياً، أي يلزم رفعه إذا أعقبه قدّاس، ويمكن عدم رفعه إذا لم يعقبه

١٣- وهو ما سأشرحه فيما بعد.

١٤- كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، ص ١٠٨

قُدَّاس. ولكز الوضـع الطَّقسي الأصيل والقديم، والذي ذكره ابن كبر، هو أن رفع بخـر باكر هو طقس يومي حتمي، سواء أعقبه قُدَّاس أو لم يعقبه. ومن ثم فقد كان من الطَّبِيعي أن تكون مزامير باكر من داخل رفع البُخور، وهي إحدى الممارسات الطَّقسيَّة التي سادت في معظم الكنائس. كما كانت إبـصاليَّة اليوم وثيوطوكيَّة اليوم أيضاً من داخل رفع البُخور. وهو ما زلنا نمارسه حتى اليوم في رفع بخور باكر سبت الفرح، والسذي نظَّنه طقساً فريداً على مدار السنَّة الليتورجيَّة كلَّها، ولكنَّه في الحقيقة، كان هو الطَّقس اليومي المعتاد لرفع بخور باكر، لكلِّ أيام السنَّة الليتورجيَّة، ما خلا ثلاثة أيام البَصخة فقط، الاثنين والثلاثاء والأربعاء.

(٤) يذكر ابن كبر - بحسب "مخطوط أوبسالـا" - أن الكاهن يدور بالشُّورية على الشَّعب، بدون تقبيل. أمَّا ابن سباع فيقول بعدم دوران الكاهن بالشُّورية على الشَّعب.

(٥) يذكر ابن كبر - بحسب "مخطوط أوبسالـا" - أنه تُقال أوشية القرايين، ولكن ابن سباع قد أغفل ذكرها. وهو تطوُّر طراً على الطَّقس في هذه الجزئيَّة، في كنيسة المعلِّقة وغيرها من كنائس القاهرة. ولكن يبدو أن هذا التطوُّر لم يكن قد طال كنائس الصَّعيد بعد. وسأشرح فيما بعد لماذا لا تُقال أوشية القرايين في رفع بخور باكر خميس العهد، بحسب الطَّقس القديم.

بالإضافة إلى أن كلاً من ابن كبر وابن سباع لم يشيرا إلى أوشية المرضى. وهو نفس ما نجده في كافة المخطوطات قيد الدِّراسة.

(٦) نحن الآن في منتصف القرن السَّادس عشر، ولم يرد أيُّ ذكر عن

لحن Φαίεταρενϥ ” هذا الذي أصعد ذاته على الصليب ... الخ“.

(٧) يذكر ابن كير - بحسب ”مخطوط أوبسالا“ - القطعة الرومي التي تُقال تبكيثاً ليهودا، ولكن هل ورد ذكرها عند ابن كير، بحسب مخطوط باريس؟ والفارق الرّمني بين المخطوطين أكثر من ١٧٥ سنة، لا نعلم، لأنّ الورقات الضّائعة من هذا المخطوط الأخير قد أفقدتنا حُكماً صائباً في هذه الجزئية من الطّقس. وقد سبق أن ذكرت، أنه لم يأت ذكرها في معظم مخطوطات ”الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة“ لابن سباع، وأن أقدم ذكر لهذه القطعة عند ابن سباع ورد في مخطوطات الثّلت الأوّل من القرن السّابع عشر الميلادي. ولكن هنا يرد ذكرها عند ابن كير في منتصف القرن السّادس عشر، بحسب ”مخطوط أوبسالا“.

ونلاحظ أنّ ابن كير يذكر هذه القطعة، ولكن بدون طقس يصاحبها، ويكتفي بالقول إنّها تُقال فقط بلحن إشعيا. ولست أعرف حتى الآن ما هو المقصود بهذا اللّحن. وسوف أعود للحديث عن هذه القطعة مرّة أخرى.

(٨) لا ذكر عند ابن سباع ولا عند ابن كير حتى منتصف القرن السّادس عشر لأرباع ”يا ملك السّلام ... الخ“ التي تُقال في ختام صلوات البصحة، ولكن يُقال فقط ”كير ياليسون“ بالتناوب بين جوقتين.

ثالثاً: ما يذكره ”مخطوط دلال حارة الرّوم (ق ١٥)“

سأوردُ هنا ترتيب باكر يوم الخميس الكبير، كما يصفه ”مخطوط دلال حارة الرّوم (ق ١٥)“، وهو ترتيب مختلف نوعاً عمّا تذكره باقي المخطوطات الأخرى، حيث سأوردُ في الهامش ما تذكره هذه

المخطوطات الأخرى، مقارنة بالمخطوط المذكور.

تحت عنوان "ترتيب باكر يوم الخميس الكبير عهد السيّد مع تلاميذه"، يورد "مخطوط دلّال حارة الرّوم (ق ١٥)" ما يلي^(١٥):

"يدخلون الخورس ويكونون قد كسوا الهيكل بكسوة ملوّنه^(١٦).

ويتدثّون **Θωκ τε τχομ** اثنتي عشرة مرّة، وبعدها **Βλεησον** **ημας**. يقول الكاهن أو شيّة الشُّكر، وأوشية البُخور لصلاة باكر، والشَّعب يرتل بالنّاقوس^(١٧):

Πενοωωτ ἠΨιωτ...

Χερε τεκκλησιὰ...

Χερε πιφε εταταωτ Παο̅ς ε̅ροϋ ωα ἠτερωτ
ἠμμον ε̅βολα̅εν πενηοβι.⁽¹⁸⁾

١٥- مع تصحيح الأخطاء اللَّفظية والنَّحوية، والاحتفاظ بالنص بكل تدقيق.

١٦- "مخطوط دلّال باريس": "تفتح أبواب الهيكل، وتكسى بكسوة سود إن وجد، أو غيرها ملوّنة".

"مخطوط دلّال أنبا شنوده (ق ١٤)" يقول: "يفتح أبواب الخورس، ويفتح أيضاً أبواب المذبح، ويكسى الهيكل كسوة سود إن كانت موجودة أو غيرها".

"مخطوط دلّال المعلقة" يقول: "يفتح باب الخورس والهيكل...".

"مخطوط دلّال لندن": "تفتح أبواب الخورس، وتفتح أيضاً أبواب المذبح...".

وعبارة "كسوة سوداء إن وجدت، أو غيرها" هو ما تذكره المخطوطات، باستثناء "مخطوط دلّال حارة الرّوم (ق ١٥)"، و"مخطوط باريس"، و"مخطوط دلّال لندن"، حيث ينفردون بكلمة "ملوّنة".

١٧- إن الملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا، هي أن كافة المخطوطات قيد الدِّراسة، حين أوردت أرباع النّاقوس، قد التزمت بالتقليد القديم الذي تختص به ليتورجية هذا اليوم، حيث لم يرد في هذه الأرباع، سوى ما تقرأه في المتن، فلا ذكر فيها للقديسين، باستثناء السيِّدة العذراء كلِّ حين، والدة الإله مريم. وقد شرحت هذه الجزئية مرّة أخرى في نفس هذا الفصل.

١٨- ينفرد "مخطوط دلّال حارة الرّوم (ق ١٥)" بإيراد هذا الرُّبع.

“ΖΙΤΕΝ ΝΙΠΡΕΒΙΑ...”

وبعدها يرتل الشعب

Κε ελεησον κε ελεησον κε ευλοσησον αμην αλ
λοζα πατρι... αριτεν... ναι νηι Φ†... αλ αλ λοζα ci
ο Θεος...⁽¹⁹⁾

Κε يقول القارئ النبوة قبطياً وعريباً⁽²⁰⁾، وبعدها يقول الشعب
Πιουσια⁽²¹⁾ يقول الكاهن أو شيّة القرايين (21)
وبعدها Παρενωσ⁽²²⁾ وبمسح البيعة من غير أن يكون الشعب يتقبل
(كذا)⁽²³⁾. وعند فراغ ذلك، يرتل الشعب بطريقته المعروفة لهذا الأسبوع
Φαι ετασηεν ε̅ψ̅ωσι...

١٩- هذه هي العناصر الليتورجية القديمة لمزامير صلاة باكر، قبل أن تُعرف
أرباع الناقوس.

٢٠- "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)"، يورد النبوة دائماً متأخرة عن
موضعها، والذي يأتي في البداية كما تذكر جميع المخطوطات الأخرى، ولاسيما
"مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)". ويضيف "مخطوط دلال حارة زويله (ق
١٧)" أن النبوة يقرأها رئيس الكهنة.

٢١- يضيف "مخطوط دلال المعلقة (ق-١٦٦)" كلمة "خاصة". ويشترك معه في ذلك
"مخطوط دلال لندن".

٢٢- وهي تسبحة الملائكة.

٢٣- هنا تذكر جميع المخطوطات قيد الدراسة مقدّمة قانون الإيمان، ثم قانون
الإيمان إلى عند "ولد من العذراء وتأنس..."، وبعدها "نعم نؤمن بالروح
القدس". ثم طلبية "اللهم ارحمنا Φ† ναι ναν". ثم لحن Φαι ετασηεν
وما يتبعه.

ولقد ذكرتُ غير مرّة، أن طلبية "اللهم ارحمنا"، لم تكن معروفة في الطقس القديم
في كل الجهات، فلم يكن ابن كبر مثلاً يعرفها. ولكنّها شاعت بعد ذلك في جميع
الكنائس، سواء في صلوات رفع البحور، أو في صلوات قدّسات اللقان. وهنا شهادة
لقدم الطقس الذي يورده "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)".

Δεψαλιψωλεμ εροφ...

Κςμαρωοττ αληωσ...

ثمَّ يُقال الإبركسيس بطريقته المعروفة بهذا النَّهار، ويفسر. وبعده القطعة الرُّومي تبكيتاً ليهودا الإسخريوطي^(٢٤). ثمَّ يُقال أجيوس الثلاثة بلحن الصَّلْبوت^(٢٥)، وذُكصابتري، وأوشية الإنجيل، والمزمور والإنجيل، والموعظة^(٢٦)، والطَّرْح، والطُّبْحَات، والميمر، وكيرياليصون. ويقول الكاهن البركة.

رابعاً: ترتيب سحر خميس العهد بحسب "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م"

أوردُ فيما يلي نصَّ ما يذكره "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م"^(٢٧) عن ترتيب سحر الخميس الكبير. ومقارنة ما يذكره المخطوط - في المتن - مع ما يذكره كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م - في الهامش - ومن المعروف أنَّ الدَّلال المذكور ذو تأثير طاغ على ما ورد بعده من كُتب كثيرة، تورد طقس صلوات أسبوع البصخة المقدَّسة.

تحت عنوان: "ترتيب سحر الخميس الكبير" يقول المخطوط المذكور:

- ٢٤- يورد المخطوط النَّص الكامل بالقبطيَّة فقط، وسوف أوردُه كاملاً فيما بعد.
٢٥- "مخطوط دلال باريس"، ومخطوطات دلال المعلِّقة: الأولى للميلاد، والثانية والثالثة للصَّليب. وبعدها:
٢٦- "مخطوط دلال باريس" يقول: "يقراً أحد الكهنة الخذاق موعظة القُرْبان ليوحنا لسان الذهب". وهو ما يذكره "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)" تقريباً.
٢٧- مع إضافة الهمزة والنَّاء المربوطة، وتصحيح الأخطاء اللَّفظيَّة، مع إيرادهَا في الهامش بحرفها كما وردت في المخطوط.

”يُفتح باب الخورس^(٢٨) وباب الهيكل، ويُكسى المذبح بكسوة سوداء إن كانت موجودة أو غيرها^(٢٩). وينتدئون^(٣٠) بصلاة^(٣١) الأولى كالعادة.

تقرأ التَّبوة قبطياً، وهي لرئيس الكهنة وتُفسَّر عربياً. ثم يُقال كالعادة
Θωκ τε τχομ^(٣٢).

وبعدھا يُقال Ελεησον ημας^(٣٣) وفي ضمن ذلك يكشف الكاهن رأسه. وإن كان رئيس الكهنة حاضراً يكشف رأسه والكهنة معه^(٣٤). ثم يتدئ بصلاة الشكر أمام المذبح كالعادة. ويرفع البخور بأوشية صلاة باكر، والشمامسة بأيديهم الشموع^(٣٥) ويرتلون^(٣٦) بالتاقوس

Πενορωστ ἰψιωτ...

Χερε τεκκλησια...

٢٨- باب الخوروس هو الباب الذي يفصل الخوروس الأول في الكنيسة عن صحن الكنيسة.

٢٩- حذف كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م عبارة: ”إن كانت موجودة أو غيرها“. (ص ١٠٨). ومن ثم فقد جعل كسوة المذبح هي الكسوة السوداء فحسب! أمّا كتاب ”خدمة الشماس والألحان“ فقد أغفل ذكر هذا الأمر كليّةً. وحدير بالذكر أنّ الكنيسة البيزنطية تستعمل أحياناً اللون الأحمر في الخدم المقامة من أجل الأموات أو على شرف الشهداء.

٣٠- في المخطوط ”وينتدوا“.

٣١- في المخطوط ”بصلات“.

٣٢- أي: لك القوّة ... الخ.

٣٣- أي: ارحمنا يا الله الآب ... الخ.

٣٤- حذف الدلال عبارة ”وفي ضمن ذلك يكشف الكاهن رأسه. وإن كان رئيس الكهنة حاضراً يكشف رأسه والكهنة معه“ (ص ١٠٨).

٣٥- حذف الدلال عبارة ”ويرفع البخور بأوشية صلاة باكر، والشمامسة بأيديهم الشموع“ (ص ١٠٨).

٣٦- في المخطوط ”ويرتلوا“.

ΣΙΓΤΕΝ ΝΗΠΡΕΣΒΙΑ...

وما يلائم^(٣٧) ذلك. وإذا انتهى ذلك يعطي^(٣٨) الكهنة البخور على باب المذبح لرئيس الكهنة.

وبعد ذلك يتدثون يقولون هكذا:

Κ̄ε̄ ε̄λε̄η̄σον̄ κε̄ ε̄λε̄η̄σον̄ κε̄ ε̄τ̄λο̄ση̄σον̄ ἀ̄μην̄⁽³⁹⁾.

Δ̄λ̄ λ̄ο̄ζ̄ᾱ πᾱτρῑ...⁽⁴⁰⁾

Κ̄ε̄ η̄τ̄η̄...⁽⁴¹⁾

Δ̄ρῑτε̄ν...⁽⁴²⁾

Χ̄ε̄ πε̄νῑω̄τ̄ ε̄τ̄ θ̄εν̄ η̄ῑ...⁽⁴³⁾

Κ̄ε̄ ε̄λε̄η̄σον̄...⁽⁴⁴⁾

Π̄αῑ η̄η̄ῑ Φ̄†...⁽⁴⁵⁾

Δ̄λ̄ ἀ̄λ̄ λ̄ο̄ζ̄ᾱ σ̄ῑ ὁ̄ θε̄ς̄ ἀ̄λ̄ ἀ̄λ̄ λ̄ο̄ζ̄ᾱ σ̄ῑ ὁ̄ θε̄ς̄ ἡ̄μ̄ων̄⁽⁴⁶⁾.

٣٧- في المخطوط "كما يلائم".

٣٨- في المخطوط "يعطوا".

٣٩- أي: يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك، آمين.

٤٠- أي: الليلويا، المجد للآب والابن والروح القدس.

٤١- أي: الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

٤٢- أي: اجعلنا مستحقين أن نقول بشكر.

٤٣- أي: أبانا الذي في السموات ... الخ.

٤٤- أي: يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك، آمين.

٤٥- أي: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك ... الخ (المزمور الخمسون).

٤٦- أي: الليلويا، الليلويا، المجد لله، الليلويا، الليلويا، المجد لإلهنا.

وكل هذه العناصر السابق ذكرها، هي مقدمة مزامير صلاة باكر، حين كانت مزامير باكر تُقال من داخل صلوات رفع البخور، وفي هذا الوقت من رفع البخور، وقبل أن تُعرف أرباع الناقوس، وهو ما سبق أن ذكرته من قبل.

وبعد ذلك يقول الكاهن أو شبيّة القرايين لا غير^(٤٧). يقول الشّعب تسبحة الملائكة كالعادة السنويّة في صلاة باكر. وفي ضمن ذلك يطوف الكاهن البيعة بالبُخور ولا يُقبّله أحد^(٤٨) لأجل قبلة يهوذا.

وهنا نلاحظ أن مخطوط ترتيب البيعة - ومعه باقي المخطوطات قيد الدّراسة - يمزجون طقسين معاً، فوضَعوا الطّقس الأحداث أولاً، وهو أرباع النّاقوس، ثم الطّقس الأقدم وهو مقدّمة مزامير صلاة باكر. ولكن مخطوط ترتيب البيعة قد أغفل أهم عنصر فيها وهو "تعالوا نسجد، تعالوا نسال المسيح هنا ... الخ". ولقد تجاهل الدّلال المطبوع سنة ١٩٢٠م كلّ العناصر الليتورجية السّابق ذكرها، حيث يكتفي بالقول: "يرتل الشّعب بالنّاقوس ΚΑΙ ΕΝΟΨΩΥΤ إلى آخرها كالعادة ومزمور الخمسين ارحمني يا الله كعظيم رحمتك" (ص ١٠٨). وإن تعبير الدّلال "... كالعادة"، يؤكد عدم درايته الكاملة باستقلاليّة طقس باكر خميس العهد.

٤٧- هنا ينبغي أن نلاحظ تركيز مخطوط ترتيب البيعة على ذكر أنه تُقال أو شبيّة القرايين لا غير. وهو يقابل ما سبق أن ذكرته بعض المخطوطات الأخرى قيد الدّراسة، في عبارة "أوشية القرايين خاصة". ممّا يعني احتمال تعديل قد طرأ على الطّقس في هذه الجزئية، لأن ابن سباع لا يشير إلى أية أو شبيّة تُقال في رفع البُخور. أمّا الدّلال المطبوع سنة ١٩٢٠م فيقول خلافاً لكل من سبقه من مصادر قديمة: "ويُصلي الكاهن أو شبيّة المرضى والقرايين" (ص ١٠٨).
٤٨- في المخطوط "أحداً".

والمقصود بالتقبيل هنا، هو تقبيل يد الكاهن بعد أن يضع الكاهن يده بالصليب على رأس كل واحد من المصلين، وذلك أثناء مروره بالبُخور عليهم.

Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967, p. 278.

وفي أقدم مخطوطات الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة لابن سباع: أن الكاهن حينما "يقول صلاة الإنجيل يرفع البُخور ولا يقبّل الإنجيل في ذلك اليوم ولا يدور في الكنيسة بالبُخور لأجل قبلة يهوذا".

وعندما ينتهون^(٤٩) في تسبحة الملائكة إلى عند **Κατα ἔχωρε** ^(٥٠) يُقال أجيوس دجماً^(٥١)؛ الأولى **Ὁ εκ παρθενου ...** والثانية والثالثة **Ὁ στα τρωης ...**^(٥٢).

وفي قراءة الأمانة تقرأ إلى عند **Βεν Παρια παρθενος** ^(٥٤) تُقال **Се теннарт** ^(٥٥) إلى آخرها كالعادة.

يرفع الكاهن الصليب ويقول **ϜϜ ναι ναη ...** ^(٥٦) يجاوبه الشعب كيرالييسون بالكبير بالناقوس كالعادة.

وبعدهم **Ϝαι εταφενϜ ετρωω ... ΚςμαρωοϜτ ...** ^(٥٧) ثم

يوحنا ابن زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٢، ٣٣٣
أما ابن كير - ومعه باقي المخطوطات قيد الدراسة - فيقول بدوران الكاهن بالبُخور في الكنيسة. فهما إذاً ممارستان طقسيتان في هذه الجزئية من الطقس، سادت إحداها، وتوارت الأخرى. ولكن ظلَّ عدم التَّقبيل هو السِّمة السَّائدة في خدمة هذا اليوم.

٤٩- في المخطوط "ينتھوا".

٥٠- أي: في كل ليلة.

وهنا يذكر مخطوط ترتيب البيعة - ومعه المخطوطات قيد الدراسة - أنه تُقال تسبحة الملائكة، ويعقبها مباشرة "تفضّل يارب أن تحفظنا في هذا اليوم ونحن بغير خطيئة ... جيّد هو الاعتراف للرّب والترتيل لاسمك أيها العالِي، أن يُخبر برحمتك في الغدوات وحقك في كل ليلة". وسوف أشرح هذه الجزئية بعد قليل.

٥١- في المخطوط "دمج".

٥٢- أي: الذي وُلد من العذراء ارحمنا.

٥٣- أي: الذي صُلب عنّا ارحمنا.

٥٤- أي: من مريم العذراء.

٥٥- أي: نعم تؤمن.

٥٦- أي: اللهم ارحمنا ... الخ.

٥٧- أي: هذا الذي أصدد ذاته ... الخ ثم مبارك ... الخ.

يبتدئ أحد الشماسة بقراءة الإبركسيس بلحنه المعروف به بهذا اليوم (٥٨).
ويقول في بدئه (٥٩) هكذا:

Πραξεων των ἀχιων ἀποστολων το ἀναγνωσμα⁽⁶⁰⁾.
ثم يُفسر الإبركسيس عربياً.

وبعد ثقال هذه القطعة الرومي بلحنها المعروف، وهي تبكيت ليهوذا وهي هذه:

Ιουδας ὁ παρανομος : ἀρστηριῶ ἐπραθησας χην τις
ιουδεις παρανομικ⁽⁶¹⁾.

وهذا يردون به على القارئ في آخر كل ربع (٦٢). ثم يُفسر عربياً وهذا

ويشد الدلال المطبوع سنة ١٩٢٠م عن النص الذي ينقله من مخطوطات ترتيب البيعة، ويقول عن لحن Φαι ἑταρενη ἐπιρωι إنه يُقال بلحن الحزن. وأيضاً عن قراءة الإبركسيس إنه يُقال فوق الأنبل بلحنه الحزائبي. إن تعبير "الألحان الحزائبي" هو استحداث، فرضه علينا الدلال المطبوع سنة ١٩٢٠م، وعنه نقلت كل الكتب التي طبعت عن صلوات البصحة المقدسة. وهو تعبير تخلو منه مخطوطات ترتيب البيعة، وكل المخطوطات قيد الدراسة، والتي حفظت لنا طقوس صلواتنا في هذا اليوم المقدس، من جيل إلى جيل.

٥٨- غير الدلال المطبوع هذه العبارة بقوله: "وبعد هذا يتقدم أحد الكهنة أو الشماسة بقراءة الإبركسيس فوق الأنبل بلحنه الحزائبي" (ص ١٠٩). فكيف تكون قراءة الإبركسيس بلحن حزائبي - كما يقول الدلال - وهو يحوي هزات ونغمات كاملة نقولها في مرد الإبركسيس على مدار السنة الليتورجية؟

٥٩- في المخطوط "بدوه".

٦٠- أي: فصل من أعمال الرسل الأطهار.

أما الدلال المطبوع سنة ١٩٢٠م فترجمها - خطأ - "قصص آباءنا الرسل الأطهار فصل" (ص ١٠٩).

٦١- أي: "يا يهوذا مخالف التاموس، بالفضة بعث المسيح لليهود مخالف التاموس".

٦٢- أورد المخطوط النص القبطي الكامل لهذه القطعة الرومي وقد أغفلت تدوينها

هنا في المتن، حيث سأورد النص اليوناني لها فيما بعد.

تفسيره: يا يهوذا مخالف التأموس، بالفضة بعث المسيح، لليهود مخالفين.
التأموس... (٦٣).

ثم يُقال أجيوس الأولى **Θ εκ παρθενου**... والثانية والثالثة **Θ**
στατηρωνε... بلحن الصليب وذكصابتري (٦٤).

ثم يقول الكاهن صلاة الإنجيل، ويطرح الزمور أدريسي كعادة
البصخة. ويقرأ (٦٥) الإنجيل بلحن التحنيز ويفسر عربياً (٦٦).

وتُقال الموعظة، ويُطرح الطرح ويفسر عربياً. وتُقال الطلبات. وإن
اختاروا فيقرعون (٦٧) الميمر.

وبعد كيراليسون بالكبير المشهور بهذا النهار، كلُّ صفٍ دفعتين.
الأوليان كاملان (٦٨) والثانية مختصرة (٦٩). ويُقال أبانا (٧٠). ويختتم الصلاة

وقد أغفل الدلال المطبوع سنة ١٩٢٠ م عبارة "وهذا يردون به على القارئ في
آخر كل ربع". أي أن الرد لكل ربع - بحسب مخطوط ترتيب البيعة، ومعه كافة
المخطوطات قيد الدراسة - هو: "يا يهوذا مخالف التأموس، بالفضة بعث سيدك
المسيح، لليهود مخالفين التأموس". وهو ما أغفله الدلال المطبوع مكتفياً بالقول:
"الرد: يا يهوذا" (ص ١١١).

٦٣- يورد مخطوط ترتيب البيعة النص العربي لهذه القطعة الرومي. وسوف أشير
إليه مرة أخرى بعد قليل.

٦٤- يضيف الدلال المطبوع سنة ١٩٢٠ م عبارة: "بلحن أجيوس" (ص ١١٢).
وهو يقصد بلحن الصليب.

٦٥- وردت - خطأ - في المخطوط "ويفسر".

٦٦- هذه العبارة وردت في الدلال المطبوع: "ويطرح الزمور أدريسي والإنجيل
كالعادة" (ص ١١٢).

٦٧- في المخطوط "فيقرأ".

٦٨- في المخطوط "الأوليين كاملين".

٦٩- واضح هنا أنه غير ما اعتدنا أن نردده اليوم في كنائسنا. بسبب أن الدلال لم
يذكر هذه العبارة كاملة.

بقراءة البركة ويستريحون^(٧١) قليلاً.

ثمَّ يحضر الشعب إلى البيعة^(٧٢) ويتدثون^(٧٣) بعمل صلاة الثالثة والسادسة والتاسعة بدري^(٧٤) كعادة البصحة لأجل عمل اللقان مثل ما فعله سيّدنا له المجد دائماً^(٧٥).

تعقيب على بعض العناصر الليتورجية لصلوات سحر خميس العهد

ما سبق ذكره، هو شرح للعناصر الليتورجية التي تشكل صلوات سحر يوم الخميس الكبير. أمّا السطور التالية، فهي تعقيب بسيط على بعض العناصر الليتورجية لسحر يوم الخميس الكبير.

أرباع الناقوس في سحر خميس العهد الجديد

يلاحظ القارئ المدقق، وبحسب معظم المخطوطات قيد الدراسة، أن أرباع الناقوس التي ترد بها، هي ثلاثة أرباع تقريباً، وحسب. أمّا تعبير "وما يلائم ذلك"، فلم أجده في معظم المخطوطات. وهو تعبير يتعارض مع طقس هذا اليوم الذي يخلو من تذكارات القديسين، باستثناء والدة الإله القديسة مريم، لأنه مخصّص لأحداث الخلاص التي أكملها الرب من أجلنا.

٧٠- أغفل الدّلال المطبوع عبارة "وبعد كيرالييسون بالكبير المشهور ... ويُقال أبانا".

٧١- في المخطوط "ويستريحوا".

٧٢- أغفل الدّلال المطبوع عبارة "ثمَّ يحضر الشعب إلى البيعة".

٧٣- في المخطوط "ويتدثوا".

٧٤- ذكر الدّلال المطبوع عبارة "وتقدم الصلاة قبل وقتها" (ص ١١٣) بدلاً من

كلمة "بدري".

٧٥- أغفل الدّلال المطبوع عبارة "مثل ما فعله سيّدنا له المجد دائماً".

ويورد كتاب اللّقان والسّجدة المطبوع سنة ١٩٢٠م ترتيب أرباع النّاقوس في يوم خميس العهد، بالمقدّمة الواطس للأرباع، كما تذكر مخطوطات ترتيب البيعة - وكلّ المخطوطات الأخرى قيد الدّراسة - ويضيف الرّبع التّالي: "يسوعُ المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد". ثمّ رُبعاً واحداً يختص بالرّسل القديسين، وهذه الإضافة الأخيرة هي خطأ يلزم تداركه، وقد سبق أن أشرتُ إلى ذلك غير مرّة. ثمّ الختام بأرباع "يا ملك السّلام ... الخ".

وفي سنة ١٩٤٨م أوردت أبصلموديّة جمعيّة نهضة الكنائس القبطيّة الأرثوذكسيّة لأوّل مرّة رُبعاً مختصاً بخميس العهد هو: "جسدك ودُمك هما لغفران خطايانا والعهد الجديد الذي أعطيته لتلاميذك". وهو ما لم يرد ذكره في أبصلموديّة أفلاديبوس بك لبيب المطبوعة سنة ١٩٠٨م في القاهرة، ولا في أبصلموديّة القس مينا اليراموسي المطبوعة في نفس السّنة في الإسكندريّة. ولا في أي مخطوط من المخطوطات قيد الدّراسة. وإنّ أرباع النّاقوس حين وُضعت في الكنيسة، قد وُضعت طبقاً لنظام محدّد، وهي ثلاثة أنواع، وهو ما شرحته بالتّفصيل في كتاب "صلوات رفع البُحور في عشيةً وباكراً"، ولكن هذا الرّبع الأخير لا يلتزم بأي منها.

وهنا نلاحظ أنّ "مخطوط دلال حارة الرّوم (ق ١٥)" حين أورد رُبعاً يُقال في باكراً هذا اليوم، قد التزم بواحد من أنواع أرباع النّاقوس، حين قال: "السّلام للصّليب الذي صُلب ربي عليه، حتى خلّصنا من خطايانا".

تسبحة الملائكة في باكراً خميس العهد الجديد

يذكر مخطوط ترتيب البيعة - ومعه معظم المخطوطات قيد الدّراسة - أنه يُقال تسبحة الملائكة، ويعقبها مباشرة "نفصلُ يارب أن تحفظنا في

هذا اليوم وحسب يعبر حقيقته ... جيد هو الاعتراف للرب والربيل لا تمت أيها العالي، أن يُخبر برحمتك في الغدوات وحقك في كل ليلة“.

وإن تسبحة الملائكة مقترنة بصلاة ”تفضل يارب ... الخ“ تُصلبها الكنيسة اليونانية في صلاة السحر وفي صلاة النوم أيضاً، وذلك ضمن المجدلة الكبرى والمجدلة الصغرى أيضاً. وإن نص صلاة ”تفضل يارب“ يشهد لنا، أنها تُقال في بداية اليوم حيث نجد تعبير ”تحفظنا في هذا اليوم **δεν παύεισθαι**“ وهو في اليونانية أيضاً: **εν τῇ ἑσπέρα ταύτῃ**.

وعلى ذلك فإن ”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م“ - ومعه معظم المخطوطات قيد الدراسة - يُطلعنا على طقس قديم عُرف في الكنيسة القبطية - كما هو حتى اليوم في الكنيسة اليونانية - وذلك قبل أن تنفصل هذه القطعة مؤخراً جداً عن تسبحة الملائكة لتقال في المساء فقط. وهو ما تذكره الأبصلموديات المطبوعة، والتي تضع عنواناً لها هو: ”وهذه تُقال في المساء“^(٧٦).

ولا ينبغي أن نغفل أن يذكره ”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م“ حيث يقول: ”يقول الشعب تسبحة الملائكة كالعادة السنوية في صلاة باكر ... وعندما ينتهون في تسبحة الملائكة إلى عند **Κατα ἔσπαρα ...**“ أي أنه هو الطقس السنوي المعتاد في هذه الجزئية بالذات في الكنيسة القبطية.

أما الدلال المطبوع سنة ١٩٢٠م فيكتفي بالقول: ”... وبعدها تُقال

٧٦- لشرح أوفر عن المجدلة الكبرى والمجدلة الصغرى، ونصيهما الكامل، انظر للمؤلف: الجزء الثاني من كتاب ”معجم المصطلحات الكنسية“، تحت كلمة ”دكولوجية“.

تسبحة الملائكة وما يجب قراءته من ذُكُصولوجيَّات ... الخ“ (ص ١٠٨). أليست هذه مأساة، أن الفارق الزماني بين ما يذكره ”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالذَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م“ وما يذكره الدُّلال المطبوع لا يتعدى عشر سنوات فحسب؟.

حول ترتيب الذُّكُصولوجيَّات في باكر يوم خميس العهد

إنَّ الملاحظة الجديرة بالاهتمام جداً، هي أن مخطوط ترتيب البيعة، ومعه كافة المخطوطات قيد الدِّراسة، لم يُشيروا إلى ترتيب الذُّكُصولوجيَّات، وهو ما يتفق تماماً مع طقس هذا اليوم المقدَّس، حين يُلغى مجمع القديسين في القدَّاس الإلهي، كما أنه لا وجود لتسبحة نصف الليل في هذا اليوم المقدَّس، ومن ثمَّ فلا وجود لمجمع القديسين في التَّسبحة أيضاً. ومن المعروف أن تذكارات القديسين تتوقَّف في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير بحسب قوانين مجمعيَّة قديمة من القرن الرَّابع الميلادي، كما لا يُقرأ فيها السنكسار أو الدُّفنار، فبالأولى أيام البصحة المقدَّسة، التي ينحصر الطُّقس فيها لإظهار ما فعله الرَّب من أجل خلاصنا.

وإنَّ تجاسُر كتاب دلال و ترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، في ذكره لترديد الذُّكُصولوجيَّات هنا، هو خطأ طقسي كبير، يلزم تداركه، ولاسيَّما حين يقول ما نصُّه: ”وما يجب قراءته من ذُكُصولوجيَّات العذراء والملائكة والرُّسل والشُّهداء والقديسين“ (ص ١٠٨).

وجدير بالذكر أيضاً أنه لا توجد حتى اليوم أيّ ذُكُصولوجيَّة تختص بيوم خميس العهد، لا في مخطوطات ترتيب البيعة، ولا في المخطوطات قيد الدِّراسة، ولا في الأبصلموديَّات المطبوعة، وهو شاهدٌ قوي على حرص

الآباء وفهمهم لمغزى طقوس صلوات هذا اليوم المقدّس.

حول فصل الإبركسيس ومقدّمته

هو من أقدم العناصر الليتورجية في خدمة باكر هذا اليوم. وقد اتفقت عليه كافة المصادر القديمة والحديثة.

يبدأ فصل الإبركسيس بمقدّمة تُقال كلها باليونانية وهي:

Πράξεων τῶν ἁγίων (N) ἀπόστολων τὸ ἀνάγνωσμα.

أي: "فصل من أعمال الرُّسل القديسين".

ويعقب هذه المقدّمة اليونانية مقدّمة أخرى بالقبطية هي:

πραξις πραξις ἵτε νεμιοῦ ἡ ἀποστολος ἐρε ποῦ
ἔμοῦ ἔθοῦταβ ὡπι νεμιαν ἀμην.

أي: "أعمالُ أعمالُ آبائنا الرُّسل، بركتهم المقدّسة تكون معنا، آمين".

أمّا فصل الإبركسيس الذي يُقال كلّه باللّحن فهو (أعمال ١: ١٥-٢٠)، وهو جزء من الأصحاح الأوّل من سفر أعمال الرُّسل، وهو عن خطاب بطرس الرّسول أمام مائة وعشرين اسماً عمّا فعله يهوذا بتسليمه للمخلّص، ثمّ شنقه لنفسه، حين سقط على وجهه وانشقّ من وسطه، وانسكبت أحشاؤه كلّها. وقد استشهد القديس بطرس بكتاب المزامير «لتصر داره خراباً، ولا يكون فيها ساكن ورئاسته يأخذها غيره». وقد جرت العادة في الكنائس أن تُكرّر عبارة "لتصر داره خراباً" ثلاث مرّات، وذلك إثر تسليم شفاهي برغم أنّه لم يدوّن كتابة في أي مصدر طقسي قديم أو حديث.

ولحن الإبركسيس بمقدّمته هو من الألحان المميزة لهذا اليوم المقدّس.

وبرغم أنَّ حادثة تسليم يهوذا للرَّب - والتي يتحدَّث عنها فصل الإبركسيس - قد حدثت بعد أن غربت شمس يوم الخميس الكبير، أي في بدايات يوم الجمعة العظيمة، إلاَّ أنَّ الكنيسة قد جعلت قراءة هذا الفصل متقدِّمة عن موعدها، أي في سحر يوم الخميس، لكي تفرِّغ الكنيسة في قدَّاس يوم الخميس الكبير للانحصار في حدث تأسيس الرَّب لسرِّ الإفخارستيا، سرِّ العهد الجديد، بدون أن تُشرك أحداثاً أُخرى معه. ولأنَّ المراحل الأولى لخيانة يهوذا كانت قد بدأت قبل تأسيس الرَّب لسرِّ جسده ودمه في العُلْيَة مع تلاميذه القدِّيسين. وهكذا سبقت الكنيسة فأعلنت عقاب خيانة الخلاص قبل أن تدخل مراحلهِ الأخيرة والتي أكملها الرَّب بموت الصَّليب.

فضلاً عن أنَّ القراءات الكتابية أيام الخميس والجمعة والسَّبْت من البصخة المقدَّسة - باستثناء سحر الخميس الكبير - تنحصر فقط في ثلاث قراءات، هي فصل من الثُّبُوتات، ثمَّ فصل من رسائل القدِّيس بولس الرُّسول، ثمَّ فصل من الإنجيل المقدَّس، يسبقه آية أو أكثر من المزامير مع هتاف هليلويا.

وجدير بالذكر هنا أنَّ فصل الإبركسيس في سحر الخميس الكبير يُكْمَل ويتمُّ ما سبق أن تحدَّثت عنه مزامير أناجيل ليلة الخميس الكبير من البصخة المقدَّسة، والتي تدور كلُّها حول يهوذا التلميذ الذي خان معلِّمه.

ففي السَّاعة الثالثة من ليلة الخميس الكبير «كلامه أَلين من الدُّهن وهو نصال. أنصت يا الله لصلاتي، ولا تغفل عن طلبي. هليلويا» (مزمر ١٨:٥٤). وفي السَّاعة السادسة «نُجِّي يارب من إنسان شرير، ومن رَجُل ظالم أنقذني. الذين يتفكِّرون بالظُّلم في قلبهم النَّهار كلِّه، كانوا يستعدُّون

للقِتال. هليلويا» (مزمور ١٣٩: ١، ٢). وفي السَّاعة التَّاسعة «أيها الرَّبُّ إلهي عليك توكلتُ، فخلصني، ومن أيدي جميع الطَّاردين لي نَجِّني، لئلا يخطفوا نفسي مثل الأسد. هليلويا» (مزمور ١٠٧: ٢). وفي السَّاعة الحادية عشرة «خلاصي ومجدي هما يلهي، إله معونتي، رجائي هو بالله، لأنَّه إلهي ومخلصي، ناصري فلا أترزع أبداً. هليلويا» (مزمور ٦١: ٤، ١). ثمَّ يأتي مزمور باكر خميس العهد ليقول: «لو كان العدو عيَّرتني إذاً لاحتملتُ، ولو أن مبغضني عظم عليَّ الكلام لا اختفيتُ منه. هليلويا» (مزمور ١٠٥: ٤). ويسبق هذه الآية اللَّحْن الطَّويل «كلامه ألين من الدَّهن وهو نصال».

قطعة رومية لتبكيث يهوذا

يعقب فصل الإبركسيس مباشرة قطعة رومية تُقال بلحنها المعروف تبكيثاً ليهوذا الإسخريوطي كما يقول مخطوط ترتيب البيعة، ذلك لأنَّ المرد الذي يتكرَّر عقب كلِّ رُبْع من أرباعها هو "يا يهوذا مخالف التَّاموس، بالفضَّة بعث المسيح لليهود مخالف التَّاموس". وبينما يذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م" النَّص الكامل لهذا المرد يكتفي كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م بجزء من بداية المرد فحسب وهو: "يهوذا مخالف التَّاموس".

والغريب في هذه القطعة أنَّها تخاطب يهوذا الإسخريوطي بصيغة المخاطب مباشرة، وهو شئ غريب عن روح التَّقليد القبطي^(٧٧).

٧٧- يتكرَّر نفس الشئ خارجاً عن صلوات يوم الجمعة العظيمة، تحت عنوان "أمانه اللص" حين تناجى الكنيسة اللص اليمين في صيغة مخاطبة مباشرة في أهم لحظات أحداث الصَّليب وموت المسيح على الصَّليب، ونزوله إلى الجحيم. وسأشير

إنَّها في الحقيقة قطعة رومِيَّة تتحدَّث عن تسليم الرَّبِّ لليهود بخيانة يهوذا، ثمَّ صلبه على الصَّليب، ودفنه في القبر، وقيامته من بين الأموات في اليَوْمِ الثَّالث، وهي إشارة مبكِّرة جداً عن القيامة. وهي إشارة تؤكِّد لنا أنَّ هذه القطعة تخالف التَّقليد القبطي الذي لا يشير إلى حدث القيامة في هذا الوَقْت عينه، فالتَّعليمات الطَّقسيَّة في كُتُبنا الطَّقسيَّة منذ القرن الثَّالث عشر الميلادي على الأقل تقول بأنَّ الثَّلاثة تقديسات لا يُقال فيها ما يختص بالقيامه، كما أنَّ قانون الإيمان يتخطَّى أيضاً الإشارة إلى القيامه كتعبير طقسي قبطي بديع يشد انتباه المصلِّين شداً إلى ترُقُّب قيامه الرَّبِّ من بين الأموات. فضلاً عن أنَّ نعمة أو طريقة هذه القطعة الرُّوميَّة غير مألوفة بين النِّعمات والطَّرائق القبطيَّة.

ولا زال التَّاريخ الطَّقسي لهذه القطعة الرُّوميَّة يكتنفه كثيرٌ من الغموض، ولعلَّ البحث يقودنا لمعرفة واضعها، والزَّمن الذي دخلت فيه إلى صلوات الكنيسة القبطيَّة.

وجديرٌ بالذِّكر هنا أنَّ أقدم مخطوطات "الجوهرة النِّفيسة في علوم الكنيسة" لابن سباع لم تشر إلى هذه القطعة الرُّوميَّة^(٧٨)، في حين أشارت إليها أربع مخطوطات فقط - من بين ثماني عشرة مخطوطة درسها الأب فيكتور منصور مستريح^(٧٩) - أقدمها يعود إلى القرن السَّابع عشر أي سنة

إلى هذه النُّقطة في موضعها، لكي أوضح أنَّها لم تكن من أصل نصوص الصَّلوات في هذا اليَوْمِ المقدَّس.

٧٨- أقدم مخطوط معروف لهذا الكتاب هو برقم (٢٢١ لاهوت) والمحفوظ في دار الكُتُب المصريَّة بالقاهرة ويعود إلى سنة ١٤٤٨ م.

٧٩- يوحنا ابن زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ب

١٦٣٤م^(٨٠)، وقد أشار إليها بقوله: "ويقول الشعب القطعة المتعلقة بالذي أهلك نفسه، الذي هو يهوذا الإسخريوطي قبطياً بلحنها ويفسروها"^(٨١).

أمّا ابن كير - بحسب "مخطوط أوبسالا" - فقد أشار إليها باقتضاب، قائلاً إنها تُقال بلحن إشعيا.١.

ولقد جرت العادة أن تُقال هذه القطعة الروميّة، بينما يدورون البيعة في اتجاه عكس الدورات الطقسيّة على مدار السنّة الليتورجيّة. وهي عادة لم تشر إليها مخطوطات ترتيب البيعة، ولا كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م. ولا "مخطوط دلال حارة الرّوم (ق ١٥)"، مع غيره من المخطوطات الأخرى. أمّا كتاب "خدمة الشمّاس والألحان" والذي طُبعت أوّل طبعة له في سنة ١٩٣٨م فقد انفرد بقوله: "... وهم يطوفون البيعة يساراً".

ولم أستدل حتى الآن على مصدر هذه القطعة، ووقت دخولها إلى الصلوات الطقسيّة في الكنيسة القبطيّة.

والقرار الذي يتكرّر لهذه القطعة هو الربع الأوّل منها، والذي يقول: "يهوذا مخالف النّاموس، بالفضّة بعت المسيح لليهود مخالف في النّاموس". وهو ما أوردته كافة المخطوطات، ولاسيّما "مخطوط دلال حارة الرّوم (ق ١٥)".

وفيما يلي نصُّ هذه القطعة الروميّة:

٨٠- وهو مخطوط رقم (١٥ طقس) بمكتبة البطريكية بالقاهرة (ويرقم مسلسل ١٨٠ في كتالوج المخطوطات لمرقس سميكة باشا).

٨١- يوحنا ابن زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣١

Ἰούδας ὁ παράνομος. ἀργυρίῳ . . .
 ἐπράθησας τὸν Χριστὸν τοῖς
 Ἰουδαίοις παράνομοις.

يهوذا مخالف التّاموس.
 بالفضّة بعث المسيح لليهود
 مخالفى التّاموس.

Ἰδὲ παράνομοι ἐπιλαβόμενοι τὸν
 Χριστὸν σταύρω προσηλώσαν ἐν
 τῷ κρανίῳ τόπῳ.

فأمّا مخالفو التّاموس أخذوا
 المسيح، سمّروه على الصّليب
 في موضع الإقرائيّون.

Ἰούδας ὁ παράνομος ...

يهوذا مخالف التّاموس ...

Βαραββάν τὸν κατάκριτον
 ἀπέλυσαν. αὐτὸν τὸν κριτὴν καὶ
 δεσπότην ἐσταύρωσαν.

Βαραβασ اللّصّ المُدان
 أطلقوه، والسّيّد الديّان
 صلبوه.

Εἰς τὴν πλευράν σου λόγχην
 ἐπιθέντες καὶ ὡς ληστήν σε ξύλω
 προσηλώσαντες ἐν μνημείῳ
 ἔθηκαν, ὁ ἐκ τοῦ τάφου ἐγείρας
 τὸν Λαζαρον.

في جنبك وضعوا
 حربة، ومثلّ لصّ سمّروك
 على خشبة، ووضعوك
 في قبر، يا من أقام لعازر
 من القبر.

Ἰούδας ὁ παράνομος ...

يهوذا مخالف التّاموس ...

Ὡσπερ γὰρ Ἰωνᾶς τρεῖς ἡμέρας
 ἔμεινεν ἐν κοιλίᾳ τοῦ κήτους
 οὕτως καὶ ὁ σωτὴρ ἡμῶν τρεῖς
 ἡμέρας ἔμεινεν μετὰ τῶν
 τεθνηκότων καὶ τὸν τάφον
 ἐσφραγίσαντο.

لأنه كما مكث يونان
 ثلاثة أيام في بطن
 الحوت، هكذا
 مخلصنا أقام ثلاثة
 أيام، بعد أن مات
 ختموا القبر.

<p>ὄντως ἀγέστη καὶ οὐκ ἔγαωσαν ἡ στρατία, ὅτι ὄντως ἐγέρθη ὁ σωτὴρ τοῦ κόσμου, ὁ παθὼν καὶ ἀναστὰς διὰ τὸ γένος ἡμῶν.</p> <p>Ἰούδας ὁ παράνομος ...</p> <p>Κύριε δόξα σοι ἄμην.</p>	<p>بالحقيقة قام والجنود لم يعلموا أنه حقاً هُض مُخَصَّص العالم، الذي تألم وقام لأجل جنسنا.</p> <p>يهودا مخالف التأموس ...</p> <p>يارب المجد لك. آمين.</p>
--	---

وهناك طروبارية تُقال باللحن الثامن في الكنيسة اليونانية تقول: " ... يا عاشق الأموال انظر إلى الذي من أجلها مارس الشقاق، واهرب من النفس الفاقدة للشعب، التي تجاسرت بمثل هذا على المعلم ... ". ويعقبها قنطاق باللحن الثاني يقول: "إن يهوذا العبد الغاش الخائن، لما أخذ الخبز بيديه، مدهما خفية، وأخذ ثمن الذي جبل الإنسان بيديه، ولبت عادم التقويم".

ترتيل المزمور باللحن الشامي وفصل الإنجيل المقدس

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م" ما يلي: "يطرح المزمور أدربي كعادة البصحة. ويُقرأ الإنجيل بلحن التحنيز ويُفسر عربياً. وتُقال الموعدة ... الخ". وهو نفس ما يذكره أيضاً الدلال المطبوع، بدون أن يشير أيُّ منهما إلى أن الإستيخون الأول من المزمور «لسانه ألين من الدهن وهو نصال» (مزمور ١٨:٥٤) يُقال باللحن الشامي، وهو اللحن المعروف باسم **ΔΥΘΩΝ** (أفتشون).

أما فصل الإنجيل المقدس فهو عن الإعداد للفتح.

عظة باكر يوم خميس العهد

سبق ان ذكرتُ في فصل سابق من هذا الكتاب، أنَّه تُقال عظة عن القُربان في باكر الخميس الكبير للقديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م). وسبق أن ذكرتُ أيضاً أنَّ "مخطوط دلال باريس"، و"مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"، قد ذكرا أنها عظة ليوحنا ذهبي الفم. أمَّا بدايتها فهي:

[هذا هو يوم التَّقَدُّم إلى المائدة الرَّهيبة، فلنتقدَّم كلُّنا إليها بطهارة، ولا يكن أحدُنا شريراً مثل يهوذا، لأنَّه مكتوب لَمَّا تناول الخُبز دخله الشيطان فسَلَّم ربَّ المجد ... الخ].

وكان أوَّل مخطوط ذكر نصَّها، هو المخطوط رقم (٩٨). بمكتبة الفاتكيان، وتاريخه ١١٠١ شهداء/ ١٣٨٥ ميلادية. كما وردت أيضاً في مخطوط رقم (٧٠٦) بالمعهد الكاثوليكي بباريس، وتاريخه ١٤٧٣ شهداء/ ١٧٥٧ ميلادية.

ومن الملاحظ أنَّ "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، ومعه "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، وأيضاً "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)"، لم يشيروا إلى هذه العظة. بل إنَّ قطمارس أسبوع البصخة المقدَّسة القبطي العربي المطبوع سنة ١٩٢١م لم يذكرها.

ولكن ابن سباع في القرن الثالث عشر قد أشار إليها وهو يتحدَّث عن طقس باكر خميس العهد بقوله: "ويُقرأ المزمور والإنجيل والموعظة التي للقُربان والطَّرح ..."^(٨٢). ممَّا يعني أنَّ هذه العظة لم تكن من بين العظات التي عُرفت في الطَّقس القديم، ولكنَّها كانت معروفة فقط في بعض الجهات دون بعضها الآخر.

وهناك خبرٌ لطيفٌ عن هذه العظة ورد في مخطوط رقم (٧٢ طقس) بكنيسة أبي سيفين بمصر القديمة^(٨٣)، ففي (ورقة ٧٢ ظهر) منه نقراً ما نصّه: "... موعظة القربان قراها الاب البطريك على باب الخورس كتبها التلميذ مسطرها ارميا لان نسختها لم تكن بالبيعه تم دونت من تاريخه في كتاب البسخه العربي بالبيعه المذكوره ...".

والأب البطريك المذكور هنا هو البابا متّأوس الثاني (١٤٥٢-١٤٦٥م) البطريك الـ ٩٠ من بطاركة الكنيسة القبطية، حيث قرأ العظة في يوم خميس العهد الذي وافق في هذه السنّة يوم ٧ برمودة سنة ١١٧٧ش/ ٢ أبريل ١٤٦١م.

وأما عن التلميذ إرميا الوارد ذكره في المخطوط المذكور، والذي نسخ هذه العظة في كتاب البصحة الخاص بكنيسة أبي السيفين بمصر القديمة، فهو القمّص إرميا النَّاسخ - وكان ناسخاً ماهراً لكثير من المخطوطات - وهو ابن القمّص العَلَم صدقه، أحد كهنة بيعة الشّهيدين المكرّمين أبا كير ويوحنا بمصر القديمة، وأبو القس سر كيس^(٨٤). حيث خدم القمّص إرميا في نفس هذه الكنيسة المذكورة خلال الفترة من سنة ١٤٢١-١٤٣٢م، ثمّ انتقل لخدمة المذبح القبطي بكنيسة القيامة بالقدس خلال الفترة من سنة ١٤٤٤-١٤٦١م. وإثر مرض أصابه في عينيه عاد من

٨٣- وهذا المخطوط موجود حالياً بالمقر البابوي بدير القديس الأنبا بيشوي بوادي النطرون.

٨٤- القس سر كيس (+ ١٤٩٢م) هو مؤلّف مديح الثلاث فتية المعروف باسم "أريصالين"، المدوّن في كتاب الأبصلمودية السنوية المقدسة، وكان هذا المديح يُقال قبلاً في شهر كيهك. والقس سر كيس هو أيضاً مؤلّف التّفسير الرّومي التي تُقال على قطع ثيوطوكية السبت في تسبحة عشية آحاد شهر كيهك.

الْقُدُس واستقرَّ به الحال بكنيسة السَّيِّدة العذراء بجارة زويله، والتي كانت هي المقر البابوي يومئذ حتى يوم نياحته. أي أن سنوات عطاؤه كانت حوالي أربعين سنة، تنحصر بين عامي ١١٣٨-١١٧٧ش/ ١٤٢١-١٤٦١م. وقد رقد في الرَّب قبل سنة ١٤٩٣م^(٨٥).

وتجدر الإشارة إلى أن كُتِب الطَّقْس القديمة، سواء مخطوطات ترتيب البيعة أو الدَّلالات القديمة، تذكر أن موضع العظة يكون دائماً بعد فصل الإنجيل المقدس وقبل الطَّرْح. أمَّا قطمارسات البَصخة الحديثة فقد وضعت العظات تُتقال بعد الثُّبوت مباشرة.

سواعي البَصخة المقدَّسة يوم الخميس الكبير

بعد باكر خميس العهد، يُصلُّون الثالثة والسادسة والتاسعة من يوم الخميس الكبير، قبل اللقَّان، كعادة البَصخة.

ولا يرد في "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)" قراءات من العهد القديم في السَّاعتين الثالثة والسادسة، بحسب الطَّقْس القديم، ولكن "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، ومعه "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)"، قد أوردا قراءتين للسَّاعة الثالثة، واحدة من سفر الخروج (٣٢: ٣٠-٣٣: ٥)، والأخرى من سفر يشوع بن سيراخ (١٠: ٢٤-١٥).

أمَّا في السَّاعة السادسة فينفرد "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)"

٨٥- لتفصيلات أوفر انظر: الشَّماس الإكليريكي دكتور ماجد صبحي رزق، "شخصيات من تاريخنا (٢) القمُّص إرميا الناسخ والقمس سرقيس"، في مجلَّة "الكريمة الجديدة ٢٠٠٥م"، رابطة خرقيي الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ص ٢٣٣-٢٤١ أو في كتاب "صوم الميلاد والتسبحة الكيهكيَّة" للمؤلف.

وحده بإيراد نبوة من إرميا النبي (١٥-٢:٧)، وأخرى من سفر حزقيال (١٠:٢٠-٣٩:٤٤)، وثالثة من يشوع بن سيراخ (١٢:١٣-١٣:١٠).

وأما في الساعة التاسعة فتتفق جميع مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة على إيراد ثلاث قراءات من العهد القديم، هي: (تكوين ١:٢٢-١٩)، (إشعيا ٦١:٦-٦٠)، و(أيوب ١:٢٧-١٣:٢٨).

أما عن أناجيل هذه السواعي فتدور كلها حول إعداد التلاميذ للفصح، كما أمرهم يسوع. حيث فصل إنجيل الساعة الثالثة، هو نفسه فصل إنجيل الساعة التاسعة، وهو (متى ١٧:٢٦-١٩). وذلك في كافة مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة. وأما فصل إنجيل الساعة السادسة فهو من (مرقس ١٤:١٢-١٦)، حيث يشرح هذا الإعداد للفصح بطريقة أكثر وضوحاً.

لمحة عن يوم خميس العهد في الكنيسة الأرمنية

في صلاة الصبح ليوم الخميس الكبير في الكنيسة الأرمنية يُقرأ إنجيل يوحنا (١٢:٢٧-٤٣)، والذي يُسلط الضوء على ساعة المسيح الآتية.

أما في صلاة الغروب، فيقرأ من سفر التكوين (١٨-١:٢٢)، ومن سفر إشعيا (٧:٦١-٧)، ومن سفر أعمال الرسل (١٥:١-٢٦). وبحسب تقليد الكنيسة الأرمنية، تُقام الذبيحة الإلهية يوم الخميس بعد صلاة الغروب. وفيها قراءتان من العهد الجديد، الأولى من رسائل بولس الرسول (١ كورنثوس ١١:٢٣-٣٢)، والثانية فصل من الإنجيل المقدس (متى ٢٦:٢٧-٣٠) والذي يروي تهمة العشاء الأخير.

الفصل الثالث
ترتيب لقان خميس العهد

معنى كلمة "لَقَان" - Λακανη - κολυμβήθρα font

"لَقَان" من الكلمة القبطية Λακανη (لقاني) أي "مِغْسَل". وهي الكلمة التي وردت في إنجيل القديس يوحنا (٥: ١٣) حيث يقول: «ثم صبَّ (يسوع) ماءً في مِغْسَل Λακανη وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ، ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها».

أما كلمة Κολυμβήθρα (كوليمفثرا) اليونانية، والتي دخلت إلى القبطية، فقد وردت في إنجيل القديس يوحنا (٧: ٩). بمعنى "بركة"، وهي الكلمة المستخدمة في نصوص الصَّلوات الليتورجية في الكنيسة القبطية.

ويُسمى "اللَقَان" في الإنجليزية font من الكلمة اللاتينية fons .

واللَقَان في أصله، إناءٌ كبيرٌ، يحتوي على ماء المعمودية للتعميد. وهو يُصنع عادةً من الحجر، ونادراً جداً من المعدن. وفي العصور المبكرة للمسيحية حينما كانت المعمودية تُمارَس بالتَّغطيس شرقاً وغرباً، كان اللَقَان عبارة عن حوض كبير basin مدفون في الأرض، وحافته على مستوى سطح الأرض، وحجمه وعمقه يكفيان لينزل فيه المعمد البالغ، واقفاً على أرضيته، حيث يغمره الماء حتى أعلى رأسه.

وبعد أن صار تعميد الأطفال أمراً شائعاً في الكنيسة، بقى هذا اللَقَان كما هو، ولكنه ارتفع عن سطح الأرض، حتى يتمكن الكاهن المعمد من حمل الطفل وتغطيسه فيه.

وكان المكان الطَّقسي للقَّان في غرب الكنيسة، إمَّا في بناء خاص به يُسمَّى "جرن المعموديَّة" baptisery أو يُسوَّر حوله في مكان جانبي معزول. وبناتقال جرن المعموديَّة من هذا المكان في الكنيسة الشَّرقيَّة، ودخول طقس التَّعميد بالرَّش في الكنيسة الغربيَّة، تقلَّص حجم اللقَّان حتى صار صغيراً، ولكنَّه ظلَّ محتفظاً بمكانه الطَّقسي القديم غربي الكنيسة، مدفوناً في أرضيَّة الكنيسة بمستوى الأرض، كما هو حادث حتى اليوم في كنائس مصر القديمة.

وصارت قُدَّاسات اللقَّانات تُجرى على ماء يوضع في إناء (لقَّان) صغير في نفس هذا الموضع من الكنيسة، مرَّة في عيد الغطاس، وأخرى في عيد تأسيس سرِّ الإفخارستيا في يوم خميس العهد. إمَّا في الكنيسة القبطيَّة فهناك قُدَّاس لقَّان ثالث بها، يُجرى في يوم عيد استشهاد الرُّسولين بطرس وبولس، وقد دخل هذا الطَّقس إليها في القرن الثالث عشر.

أمَّا طقس روما الحالي ومنذ سنة ١٩٦٩م، فأصبح من الممكن وضع اللقَّان في أيِّ مكان في الكنيسة، حيث تُحفظ به بعض مياه المعموديَّة^(١).

وفي القرون الوُسْطى، استُخدم اللقَّان بعد وضع الماء فيه، لغسل اليدين والرَّجلين قبل طلوع الهيكل^(٢).

أولاً: ترتيب صلوات لقَّان خميس العهد عند ابن سباع
 "... ويُصلُّون الثالثة والسادسة والتاسعة على العادة. ويتقدَّم كبير

1- ODCC., (2nd edition), p. 521.

٢- البابا غبريال الخامس، التَّرتيب الطَّقسي، مطبوعات المركز الفرنسيكاني للدراسات المسيحيَّة الشَّرقيَّة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٦١

الكنيسة إلى اللقآن وقرأ ما تضمنته^(٣) كتاب البصحة على اللقآن بترتيبها على العادة. وعند نهاية القدّاس الذي^(٤) على اللقآن يتقدّم كبير الكهنة ويغسل أرجل الشعب واحداً واحداً، ووسطه مشدود. بمندبل كشبه المسيح له المجد في تواضعه وتعليمه تلاميذه، ثم ينشّفهم بالمندبل الذي هو متّزر به^(٥)

ثانياً: ترتيب اللقآن بحسب مخطوطات القطمارسات قيد الدّراسة

في السطور التّالية سأوردُ ما يذكره "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، مقارنةً بما يرد ذكره في "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)". مع ملاحظة أنّ "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)" هو أقدم مخطوط معروف لدينا حتى الآن في الكنيسة القبطيّة، يشرح هذا الطّقس، ومن ثمّ فهو يعتبر شهادة وثائقيةً غالية القيمة على الطّقس القديم لقدّاس لقآن خميس العهد الجديد، وهي الشّهادة التي يدعمها "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)". وإنّ ما سيرد ذكره هنا، يُنشر لأول مرة بالعربيّة.

وفي المتن، سأوردُ ما يذكره "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، وأمّا الاختلافات بينه وبين المخطوطين السّابق ذكرهما، فسأوردها في الهامش.

يقول "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"^(٦):

"كملت صلاة التّاسعة من يوم الخميس. يتلو ذلك صلاة القصريّة.

٣- حرفياً: نظمته.

٤- حرفياً: التي.

٥- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٣

٦- مع تصحيح الأخطاء اللغويّة والنّحويّة. وإضافة الشّدّة والهمزة والتّاء المربوطة.

الذي يجب قراءته على القصريَّة يوم الخميس الكبير^(٧).

صلاة موسى النبي^(٨): «وتراعى الله لإبراهيم عند شجرة البلوط... فتقدم إبراهيم وقال يارب أهلك البار مع الفاجر، لا يكون البار كالفاجر»^(٩).

وأيضاً من موسى بكر الأنبياء^(١٠): «حين عبر إسرائيل البحر الأحمر... وقالوا هذه التَّسْبِحة، نَسِّح الرَّبُّ لَأَنَّهُ بِالْمَجْدِ قَدْ تَمَجَّدَ».

فصل^(١١) من يشوع بن نون: «يوشع والشَّعب عبروا الأردن ووطئت أرجلهم الحجارة... وملكوا أعداءهم».

فصل^(١٢) من إشعياء النبي: «في ذلك اليوم ينير الله بالكرامة والمجد على الأرض... والرَّبُّ يغسل أولاد صهيون».

فصل^(١٣) من حزقيال النبي: «هذا الذي قاله الرَّبُّ، قال سأنضح الماء النقي وأطهركم من خطاياكم كلها... وأنا أكون لكم إلهاً، وأطهركم من كل آثامكم».

٧- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "ما يقرأ على القصرية".
"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "هذا ما يجب قرايته على القصرية يوم الخميس الكبير اعملوا كالعاده المعروفة".

٨- المكتوب بالبُنيط الثقيل، هو عنوان في المخطوط المذكور، يرد في منتصف الصَّفحة.
"مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "فصل توراها موسى النبي". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "من موسى النبي".

٩- يورد المخطوط النص كاملاً.
١٠- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "فصل من موسى النبي ايضاً". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "من موسى النبي".

١١- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "فصل".

١٢- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "فصل".

١٣- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "فصل".

وأيضاً فصل^(١٤) من حزقيال النبي: «ثم حملي وأدخلني من باب البيت ... يكون حيث بيدد ماء هذا البحر من كل شيء يتطهر ويحيا».

... (١٥)

فصل من رسالة البولس إلى طيماتاوس الأولى رابع فصل^(١٦):
«والكلمة صالحة^(١٧) تستحق القبول بكل قبول^(١٨) ... وفرجت^(١٩) عن المضيقين، وسعت^(٢٠) في كل عمل صالح».
ثم يُقال أجيوس وأوكية^(٢١) الإنجيل.

فصل من مزموح خمسين: «انضح عليّ زوفك فأنتقى، واغسلني به^(٢٢) فأبيض أكثر من^(٢٣) الثلج. قلباً طاهراً أخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدده في أحشائي^(٢٤)».

فصل من إنجيل يوحنا: «وقبل عيد الفصح، لما رأى يسوع أن ساعته

١٤- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": - فصل.

١٥- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "عظه لابينا انبا شنوده".

وهي الموجودة في كتب الطقس المطبوعة.

١٦- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "رساله من بولس الاولى الى طيماتاوس".

١٧- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)":

"صادقة".

١٨- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "ويجب ان نقبلها بكل القبول". "مخطوط

قطمارس باريس (ق ١٤)": "تستاهل ان نقبلها لبنا بكل قبول".

١٩- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "ونفست".

٢٠- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "وسلكت".

٢١- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "واوشيه".

٢٢- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": - به.

٢٣- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "كمثل". "مخطوط قطمارس باريس (ق

١٤)": "أفضل".

٢٤- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "داخلي".

قد أتت لينتتَن عن هذا العالم ... إن كنتم تعرفون هذا، فطوباكم إذا عرفتموه (٢٥)».

ومن بعد هذا يقول الكاهن أووشية الأبراسات الصغار. والثلاثة الكبار. ثم يقول الشعب الأمانة المستقيمة. ثم يُقال بعد ذلك هذه الطُّبِحَات (٢٦):
الذي اشتد بمنديل كعبد، الذي ستر (٢٧) كلِّ عورة آدم (٢٨)، ووهبنا حُلَّةَ البنوَّةِ الإلهية، نطلب إليك يارب إلهنا، اسمعنا وارحمنا.
يقول الشعب كله: كرياليصن. يارب ارحم (٢٩).

(٣٠)...

يقول الكاهن على القصريَّة هذه الأوشيات (٣١): السيد الرب يسوع المسيح إله (٣٢) خلاصنا، نطلب ونعظم ونزيد عظمة (٣٣) إلى رَأْفَةِ

٢٥- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "... فطوباكم إذا فعلتموه". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "... فإن علمتم هذه فطوباكم إذا عملتم بها".
٢٦- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "... وبعدها يقول الشعب الامانه. ويقول الكاهن الطُّبِحَاتِ واوشيه القصريه. ويقول الكاهن هذه الطُّبِحَاتِ على القصريه".
"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "ثم يقول الكاهن السبع اواشي واوشيه السلامه والبابا والاجتماع. والامانه. ومن بعدها تقول هذه الطُّبِحَاتِ على القصريه، والشعب يقول في كل يارب ارحمنا".

٢٧- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "وستر".

٢٨- المخطوط: "أكرم". "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "كل ادم".

٢٩- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "يارب ارحم".

٣٠- يورد المخطوط النص الكامل. وسوف أعود إلى هذه الطلبة الهامة فيما بعد.

٣١- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "يقول الكاهن هذه الاوشيه على اللقان".

"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "صلاه على القصريه. يقول الكاهن".

٣٢- المخطوط: "الاه".

٣٣- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "تعظيم".

وفيدنا "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)" بإيراده النص القبطي إلى حوار العربي.

غناك^(٣٤) التي لا يُنطق بها. إذ قد ردتنا^(٣٥) لما ضللنا^(٣٦) بحسد الحيّة
الاحتال^(٣٧)، عرفتنا طريق الخلاص، وأصعدتنا دفعة أخرى باتضاع إلى
عظمة الأوائل^(٣٨)، ووهبتنا سرّ البشرية^(٣٩). ثم نطقت^(٤٠) بمنديل،
وسكبت^(٤١) ماء في قصريّة^(٤٢)، وغسلت أرجل تلاميذك قائلًا^(٤٣):
إني^(٤٤) أنا الربّ معلّمكم^(٤٥)، أغسل^(٤٦) أرجلكم. وأنتم^(٤٧) أيضاً
واجب^(٤٨) عليكم^(٤٩) أن تغسلوا أرجل أقدام^(٥٠) بعضكم بعضاً^(٥١)، مثلاً

٣٤- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "... نطلب ونسال فضل رافتك الغنية".

٣٥- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)", "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "لأنك
لم تردنا".

٣٦- المخطوط: "ظللنا". "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "ظلينا". "مخطوط
قطمارس باريس (ق ١٤)": "ضللنا".

٣٧- المخطوط: "الجمال". "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)", و"مخطوط قطمارس
باريس (ق ١٤)": - الاحتال.

٣٨- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "... الى الارتفاع الاول". "مخطوط
قطمارس باريس (ق ١٤)": "وأصعدتنا دفعة اخرى الى العلو الاول بالاتضاع".

٣٩- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)", و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)":
"سر محبة البشر".

٤٠- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)", و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)":
"اشتديت".

٤١- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "وصيبت".

٤٢- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "مطهره". "مخطوط قطمارس باريس (ق
١٤)": "لقان".

٤٣- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "وقلت".

٤٤- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "أذ كنت".

٤٥- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "أذا كنت أنا سيدكم ومعلمكم".

٤٦- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)", و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)":
"غسلت".

٤٧- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "فاتتم".

٤٨- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "يجب".

٤٩- المخطوط: "واجبا لكم".

٥٠- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٣)": - أقدام.

٥١- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "أن يغسل بعضكم أرجل بعض".

فعلته لكم. كما فعلت افعلوا ببعضكم بعضاً^(٥٢).

يقول الشماس: صلّوا.

يقول الكاهن: الآن نقصد^(٥٣) ونطلب من صلاحك، قوّننا لنكمّل فعل وصاياك^(٥٤) باستحقاق. ولأنك^(٥٥) ينبوع الرّحمة، وعمق البشرية^(٥٦)، بدء^(٥٧) طريق^(٥٨) الحياة، طهرّ أنفسنا وأجسادنا من كل خطيئة^(٥٩). ثبت أقدامنا أيها الإله^(٦٠) بهذا السرّ. أهدنا^(٦١) إلى أراذك الصّالحة، لننال الجزاء والنصيب مع إرث^(٦٢) القديسين في النور والبركة^(٦٣)، كي نمجّدك^(٦٤) كل حين^(٦٥)، لأن اسمك^(٦٦) مملوء

- ٥٢- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "... متالا صنعته لكم ان تصنعوا ببعضكم بعضاً". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "متالا فعلته لكم. اصنعوه انتم ايضاً ببعضكم لبعض".
- ٥٣- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "نسال". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "نتقدم".
- ٥٤- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "... قونا لنعمل عمل وصيتك". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "قونا لنكمل عمل وصاياك".
- ٥٥- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "لأنك انت". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "لأنك".
- ٥٦- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "مجبه البشر".
- ٥٧- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "بدء".
- ٥٨- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "وطريق".
- ٥٩- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "من كل الخطايا". $\epsilon\beta\omicron\lambda \epsilon\lambda\nu\omicron\beta\iota \nu\iota\beta\epsilon\lambda$.
- ٦٠- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "أيها الإله".
- ٦١- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "واهدينا". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "وارشدنا الى النهاية".
- ٦٢- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "في ميراث". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "لنبلغ جزو ونصيب".
- ٦٣- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "لنباركك".
- ٦٤- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "ونمجّدك".

بركة^(٦٧). ولابنك^(٦٨) الصّالح^(٦٩)، وروحك القدّوس^(٧٠) إلى الأبد، آمين.
وفيما يلي النّص القبطي مترجماً إلى العربيّة^(٧١).

<p>Οτοϑ μαρε ποτηνβ χω ναιετχη εχεν τλακαλη:</p> <p>Φνηβ Ποϑ Ιηϑ Πχϑ πενωτηρ: τενηρο οτοϑ तेनेρροτὸ бисι: ἡνεκμετψενρητ ἡραμαδὸ ἡατσαχι ἡμωοτ : χε ἡπεκτασθον εβολθεν ἡχινεροτερδαλ ἡμον : ϑιτεν πιφθονοϑ ἡτε πιροϑ : αλλα ακταμον εφωιωτ ἡτε πιουχαι : εακεντεν επρωιω</p>	<p>ثم يقول الكاهن هذه الصلوات على اللقّان:</p> <p>السيد الرب يسوع المسيح مخلّصنا: نطلب وتُعظم (ونزيد تعظيماً إلى)^(٧٢) رافات غناك التي لا يُطَقُّ بها: لأنك لم ترُدِّنا لما خُدعنا بحسد الحيّة: بل عرّفتنا طريق الخلاص: وأصعدتنا دُفعة أخرى</p>
---	--

- ٦٥- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "مباركين وممجدين لك كل حين".
- ٦٦- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "المقدس". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "القدس".
- ٦٧- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "مجّد".
- ٦٨- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "مع ابيك".
- ٦٩- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "مع ابيك الطاهر".
- ٧٠- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "روح قدسك". "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "والروح القدس".
- ٧١- ولأن هذه الصلوة القديمة، والتي هي بمثابة قدّاس اللقّان، قد سقطت من كتبنا الطقسيّة، فقد أوردتُ نصّها القبطي في المتن، نقلاً عن "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، مع ترجمة النّص القبطي إلى العربيّة.
- ٧٢- عبارة "ونزيد تعظيماً إلى" وردت في نص المخطوط، ولكن لا وجود لمقابل لها في النّص القبطي.

Ἰκεσον ἐπιβίσι ἡαρχεοσ ζιτεν
 οὔθεβιο : ἕακερχαριζεσθε ἡαν
 ἡουμυεστηριον ἡτε
 οὔμετμαρωμι : ἕακμορκ
 ἡουλεντιον ακριονι ἡουμωοὔ
 ἕουλακακη : ἕακιωι ἡnenβαλαγχ
 ἡνεκμαθητης εκχω ἡμοσ : κε
 ισχε ἡνοκ πετενοσ οὔοθ
 πετενρεφτσβω αηωι
 ἡνετενβαλαγχ ἕβολ : ἡνωτεν
 ζωτεν ἕεμπωα ἡωτεν
 ἕιαρατοὔ ἡνετενερνοὔ ἕβολ :
 οὔσμοὔ γαρ πεταιαιφ ἡωτεν :
 ζινα κατα φρητ εταιαις
 ἡωτεν : ἡνωτεν ἡτετεναις
 ἡνετενερνοὔ .

Ο διακων : Προσευζασθε

Ο ιερευεσ εκχοσ :

† ἡου οη τενη ἡπενοτοι
 εντχο ἡτεκμεταγαθοσ : μαχομι
 ἡανἡρενηωκ ἕβολ ἕπερωβ
 ἡτεκεντολη ζεν οὔἡπωα :
 ἡθοκ γαρ πετμοὔμι ἡτε πιναι :
 φνοὔη ἡτε τμετμαρωμι :

باتضاع إلى الارتفاع
 الأول : ووهبتنا سر
 محبة البشر : إذ
 اشتديت بمنديل :
 وصبت ماء في اللقآن :
 وغسلت أرجل
 تلاميذك وقلت : إذا
 كنت وأنا سيّدكم
 ومعلّمكم غسلت
 أرجلكم : أنتم أيضاً
 يجب عليكم أن تغسلوا
 أرجل بعضكم بعضاً :
 مثلاً صنعت لكم :
 لكي كما صنعته لكم :
 تصنعونه ببعضكم
 بعضاً .

يقول الشماس : صلّوا

يقول الكاهن :

الآن نسأل ونطلب
 من صلاحك : قوّننا
 لنعمل عمل وصيّتك
 باستحقاق : لأنك أنت
 ينبوع الرّحمة ، وعمق
 محبة البشر ، وطريق

ΠΙΜΩΙΤ ἸΤΕ ἸΩΝΘ : ΜΑΤΟΥΒΟΝ
 ἸΝΕΝΨΥΤΧΗ : ΝΕΜ ΝΕΝΩΜΑ
 ἘΒΟΛΘΕΝ ΝΟΒΙ ΝΙΒΕΝ : ΟΥΟΘ
 ΜΑΤΑΧΡΟΝ ἸΝΕΝΤΑΤΣΙ ΣΙΤΕΝ
 ΠΑΙΜΥΤΣΤΗΡΙΟΝ : ΟΥΟΘ ΒΙΜΩΙΤ
 ΝΑΝ ΨΑ ἘΒΟΛ ἘΘΟΥΤΗ ἘΠΕΚΟΥΨ
 ἸΑΣΑΘΟΝ : ΣΙΝΑ
 ἸΤΕΝΕΡΚΑΤΑΝΤΑΝ ἘΠΙΜΕΡΟΣ ἸΤΕ
 ΠΙΚΛΗΡΟΣ : ἸΤΕ ΝΙΑΣΙΟΣ ΘΕΝ
 ΦΟΥΤΩΝΙ ἸΣΜΟΥ ΟΥΟΘ ἸΤΨΟΥΤ
 ΝΑΚ ἸΣΗΟΥ ΝΙΒΕΝ : ΧΕ ΨΜΕΣ
 ἸΨΟΥ ἸΧΕ ΠΕΚΡΑΝ ΕΘΟΥΑΒ : ΝΕΜ
 ΠΕΚΙΩΤ ἸΑΤΘΩΛΕΒ : ΝΕΜ ΠΙΠΝΑ
 ΕΘΟΥΑΒ ΨΑ ἘΝΕΣ ΔΑΜΗΝ.

الحياة: طهر أنفسنا
 وأجسادنا من كل
 الخطايا: ثبت أقدامنا
 بهذا السر: وأهدنا إلى
 إرادتك الصالحة إلى
 التمام: لننال الجزاء
 والنصيب في ميراث
 القديسين في النور:
 لنباركك. وتمجّدك
 كل حين: لأن اسمك
 المقدس مملوء مجداً:
 مع أيك القديس
 والروح القدس إلى
 الأبد آمين.

(عودة إلى "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)")

يقول الشعب: أبانا الذي في السموات.

يقول الكاهن التحليل (٧٣).

يقول الشمّاس: ماطافبوا (٧٤).

الكاهن يرشم الماء رسم الصليب (٧٥).

٧٣- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "يقول الكاهن اوشيه التحليل". "مخطوط
 قطمارس باريس (ق ١٤)": "يقول الكاهن نعم يارب يارب. وانت ايها الرب. والتحليل."
 ٧٤- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "ماتافبوا μεταφοβα".
 ٧٥- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "والكاهن يرسم الماء بالصليب". "مخطوط
 قطمارس باريس (ق ١٤)": "تم يقس الكاهن الماء بالصليب تله دفعوع".

يقول الشعب مزموراً ومائة وخمسون^(٧٦).

ثم يبتدئ الكاهن يغسل أرجل الكهنة^(٧٧).

وتُقال هذا الأبسطليَّة^(٧٨) على لحن الواطس: الرب^(٧٩) وضع ثياب ٤،
وتمنطق بمنديل، وسكب ماء في قصريَّة، وغسل أرجل تلاميذه. أتى إلى
سمعان بطرس ليغسل رجليه...^(٨٠).

أو كية بعد الغسل تُقرأ على القصريَّة^(٨١): السيد الرب الإله ضابط
الكل، نشكرك في كل حين^(٨٢)، إذ جعلتنا مستحقين في هذه الساعة أن
نكمل مثال اللقان المقدس، هذا الذي علم به^(٨٣) تلاميذك، ابنك الوحيد،
ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي له المجد إلى الأبد آمين.

يقول الشماس: صلوا.

- ٧٦- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "يقول الشعب باركوا الله في جميع قديسيه".
٧٧- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "+ وبقية الشعب". "مخطوط قطمارس
باريس (ق ١٤)": "+ والشعب كله".
٧٨- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "الكلمة نخير واضحة بالمخطوط، ولكن الكلمة
القبطية المقابلة لها هي $\Psi\alpha\lambda\lambda\acute{\iota}\alpha \beta\alpha\tau\omicron\varsigma$ أي: إِبصاليَّة واطس. "مخطوط قطمارس باريس
(ق ١٤)": "الإبصاليه".
٧٩- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "سيدنا" والنص القبطي Πενθοίς . وقد
أغلقت باقي المقارنة لهذا النص، لأنها اختلافات طفيفة، حفظها النص القبطي من التغيير.
٨٠- يورد المخطوط النص الكامل. وسأعود إليها مرّة أخرى.
٨١- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "صلاة تقال بعد الغسل على القصريه".
"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "صلاه من بعد القصريه".
وهذه الأوشية والتي تليها، تأتي في الكتب المطبوعة، كنص متصل، بعنوان: "صلاة شكر
بعد اللقان".
٨٢- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "نشكرك في كل شيء، ومن اجل كل شيء
وعلى كل شيء".
٨٣- المخطوط: "هذه التي علم بها". والمقصود هنا هو اللقان.

يقول الكاهن صلاة الشكر^(٨٤): نسأل ونطلب من صلاحك يارب محبّ البشر، اترك كثرة خطايانا، وتراءف علينا بكثرة رأفتك، وأوهب سلامتكَ في كلّ بيعتك المقدّسة. احفظنا بسلام ومحبّة في خوفك، لنحترس بجميع وصاياك^(٨٥) في هذا الدَّهر^(٨٦) وفي الآتي^(٨٧). اجعلنا جميعاً أصحّاء بخيراتك الدهريّة^(٨٨)، بابنك الوحيد يسوع المسيح ربّنا، الذي له المجد إلى أبد الأبدين، آمين.

يقول الكاهن صلاة شكر أيضاً على القصريّة بعد الغسل^(٨٩): نشكركَ ياربُّ يا الله^(٩٠)، معطي كلِّ الصّلاح^(٩١)، الذي جعلتنا مستحقّين الآن لخدمتك هذه^(٩٢)، لنكون في شركة محبّتك، بابنك^(٩٣) الوحيد، كوصاياك^(٩٤) المقدّسة. احفظنا جميعاً بقوة روح قدسك. أوهبنا^(٩٥) في

٨٤- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": - صلاة الشكر.

٨٥- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "... خوفك، حافظين جميع وصاياك."

٨٦- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "+ الحاضر."

٨٧- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "وفي المستأنف."

٨٨- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "وأشركنا كلنا في خيراتك الأبدية."

"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "اجعلنا جميع شركاء خيراتك الدهرية."

٨٩- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "صلاة شكر من بعد الغسل." "مخطوط

قطمارس باريس (ق ١٤)": "صلاة أخرى بعد القصريّة."

٩٠- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "نشكركَ ايها الربّ الاله."

٩١- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "الخيرات"

٩٢- "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)": "الذي اهلنا الان ايضا بهذه الخدمة"

"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "الذي جعلنا مستحقين الان من قبل هذه الخدمة"

٩٣- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "ان نكون شركاء لمحبة ابنك"

٩٤- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "كوصايا"

٩٥- "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)": "وانعم"

ἸΝΤΕ ΠΕΚΜΟΝΟΨΕΝΗΣ ἸΨΗΡΙ: ΠΕΝΟΣ
 ΟΥΟΣ ΠΕΝΝΟΥ† ΟΥΟΣ ΠΕΝΨΩΤΗΡ:
 ἸΗΣ ΠΧΣ: ΦΑΙ ΕΤΕ...

البشر التي لابنك
 الوحيد ربنا وإلهنا
 ومُخلصنا يسوع
 المسيح: هذا الذي ...

هذا هو الطّقس القديم لصلوات لقّان خميس العهد، والذي ينحصر في العناصر الليتورجية التّالية، مع مراعاة أنّ البند المكتوب بالبُبط الثّقيل، غير موجود في الطّقس الحالي، أو تغيّر موضعه:

- ست قراءات من العهد القديم.

- عظة لأنبا شنوده رئيس المتوحّدين، لم ترد سوى في "مخطوط

قطمارس باريس (ق ١٤)".

- فصل البولس.

- أجيوس وأوشية الإنجيل.

- المزمور والإنجيل.

- أوشية الإبروسات الصّغار، بحسب كلٍّ من "مخطوط قطمارس

أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)".

أو السّبع أواشي بحسب "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".

- الثّلاث أواشي الكبار.

- قانون الإيمان.

- طلبية "يا من اشتد بمنديل كعبد ...".

- أوشية على اللّقان، يتخلّلها مرد الشّمّاس: صلّوا^(٩٩).

٩٩- لاحظ هنا قارئ العزيز، أنّ هذه الأوشية، هي التي حلّ محلّها الآن، قُدّاس الماء، وهو مأخوذ من الطّقس البيزنطي لسر المعمودية، كما سنرى فيما بعد. ولاحظ أيضاً أنه لا وجود لأي رشومات على الماء إلاّ في نهاية الخدمة، وهي ثلاث رشومات

- الصَّلَاة الرَّبِّيَّة.
- التَّحْلِيل.
- مرد الشمَّاس: "نصبت بخوف الله".
- رشَم الماء بالصَّليب. ويحدِّد "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)" أنه ثلاث دفعوع.
- ترتيب المزمور الـ ١٥٠
- يغسل الكاهن أرجل الكهنة فقط، بحسب "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، وبقية الشَّعب، بحسب "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".
- إبصاليَّة واطس بعد اللقَّان.
- أوشية أو صلاة شكر بعد اللقَّان، يتخلَّلها مرد الشمَّاس: "صلُّوا".
- صلاة شكر أخرى على اللقَّان بعد الغسل.

ثالثاً: ترتيب صلوات لقان خميس العهد عند ابن كير

"مخطوط أوبسالا": "ويعجن فيم كل كنيسة خميراً، ويفرِّقه على الكهنة والجماعة، مع قربان مخبوز، تذكاراً للفصح المجيد الجديد، الذي

بحسب طقس القرن الرابع عشر. كما لاحظ أيضاً التسلسل الطبيعي الذي يورد الثلاثة أواشي الكبار، يعقبها قانون الإيمان، يعقبها الطلبة الشهيرة "يا من اشدت بمنديل كعبد..."، ثم الأوشية الرئيسية على اللقَّان، والتي تنتهي بالصلاة الربِّيَّة. وفيما يلي من السطور سنتبين كيف حدث التطور الطقسي لكثير من العناصر الليتورجية لقسَّاس الماء في يوم خميس العهد الجديد.

نحجه ربنا (له المجد) في مثله، وأبطل به فصح الفطير^(١٠١).

وتُصلى صلاة (الساعة) الثالثة والسادسة والتاسعة، ثم يُملأ اللقمان ماءً، وهو قصرية مبنية في وسط الكنيسة، ويجتمع الكهنة حولها، ويُبدأ بالصلاة بالشبهوت ورفع البخور، ويُقال^(١٠١) مزموور الخمسين.

وبعد فصول من السفر الأول من التوراة، أوله: «وتراءى الله لإبراهيم» $\Delta \Phi \dagger \lambda \epsilon \sigma \tau \omega \nu \eta \zeta \eta \Delta \nu \rho \alpha \alpha \mu$ آخره «البار كالمناق» $\pi \theta \omega \mu \eta \iota \mu \phi \rho \eta \dagger \mu \pi \alpha \sigma \epsilon \nu \eta \varsigma$ ^(١٠٢).

من التوراة أيضاً، أوله: «حين عبر إسرائيل» $\Delta \nu \epsilon \nu \eta \chi \iota \nu \theta \epsilon \rho \epsilon \pi \iota \sigma \lambda$ آخره «لأنه بالجد قد تمجد» $\chi \epsilon \delta \epsilon \nu \sigma \tau \omega \sigma \tau \epsilon \alpha \rho \alpha \psi \beta \iota \omega \sigma \tau$ ^(١٠٣).

فصل من سفر يشوع بن نون، أوله: «يشوع والشعب» $\text{I} \eta \sigma \sigma \tau$ آخره «وأبادوا أعداءهم» $\text{E} \tau \rho \alpha \psi \iota (\epsilon \tau \psi \alpha \rho \iota) \eta \nu \epsilon \mu \pi \iota \lambda \alpha \sigma \circ \dot{\eta} \nu \sigma \tau \chi \alpha \chi \iota$ ^(١٠٤).

ومن نبوة إشعياء النبي، أوله: «وفي ذلك اليوم» $\Delta \nu \epsilon \nu \eta \pi \iota \epsilon \theta \rho \circ \sigma \tau$ آخره: «ولأولاد صهيون» $\eta \nu \epsilon \mu \eta \nu \psi \eta \rho \iota \eta \nu \sigma \iota \omega \nu$ $\epsilon \tau \epsilon \dot{\eta} \mu \mu \alpha \tau$ ^(١٠٥).

من حزقيال النبي، أوله: «هذا ما يقوله الرب» $\eta \nu \epsilon \nu \eta \pi \alpha \iota \eta \epsilon \tau \alpha \psi \chi \omega$.

١٠٠ - لم يذكر هذه العادة سوى ابن كير بحسب مخطوط أوبسالا.

١٠١ - مخطوط الفاتيكان: ويُقرأ.

١٠٢ - النص من تكوين ١٥: ١٨-٢٣.

١٠٣ - مفهوم آيات من خروج ١٤، ١٥.

١٠٤ - مفهوم آيات من سفر يشوع ١، ٣.

١٠٥ - إشعياء ٤: ١-٤.

106) **ΕΒΟΛΔΕΝ ΝΕΤΕΝΑΝΟΜΙΑ** «من جميع آثامكم» آخره: **ἴμμος**

ΟΥΘΟΣ وأيضاً من حزقيال النبي، أوله: «ثم حملي وأدخلني»

107) **ΟΥΘΟΣ ΣΕΝΑΩΝΘ** «تتطهر وتحيأ» آخره: **αφολατ εδοτη**

الأبسطلُس: طيماتاوس الأولى عدد ٤ أوله: «والكلمة صادقة»

ΘΩΒ ΝΙΒΕΝ آخره «عمل صالح» **ΨΗΘΟΥΤ ἸΧΕ ΠΙΣΑΧΙ**

108) **ΕΘΑΝΝΕΥ**

ويقال أجيوس، وأوشية الإنجيل، ويُطرح الزمور الخمسين، ويُرد

دجاً، أوله **ΕΚΕΝΟΥΧΘ** **ἔχωι ἰπεκωενεγγοπον** والإنجيل

من يوحنا، عدد ٣٠ أوله «وقبل عيد الفصح» **ΒΑΧΕΝ ΠΩΔΙ ΔΕ**

ἔψωπ آخره «إذا ما فعلتموه» **ἸΤΕ ΠΙΠΑΣΧΑ**

110) **ΑΡΕΤΕΝΩΑΝΑΙΤΟΥ**. يُقال باللحن السنوي.

وإذا انتهى قارئ الإنجيل إلى قوله «شدّ وسطه بمنديل، وصبّ ماءً في

مطهرة»، فليشد الكاهن وسطه، ويتناول إناءً مملوءاً ماءً، ويصبّه في اللقّان

بمثال رشم الصليب ثلاثاً.

١٠٦- حزقيال ٣٦: ٢٥-٣٢

١٠٧- حزقيال ٤٧: ١-٩

وهذه الثبوتات فقط، هي التي وردت في كافة مخطوطات القبطيات قيد الدراسة، أي "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".

١٠٨- ١ تيموثاوس ٤: ٩-١٦ ، ١٠: ١-١٠

١٠٩- أي: تنضح عليّ بزوفك.

١١٠- يوحنا ١٣: ١-١٧

نُحجّه ربُّنا (له المجد) في مثله، وأبطل به فصيح الفطير (١٠٠).

وَتُصَلَّى صلاة (السَّاعَة) الثالثة والسادسة والتاسعة، ثمَّ يُملأ اللقَّان ماءً، وهو قصرية مبنية في وسط الكنيسة، ويجتمع الكهنة حولها، ويبدأ بالصلاة بالشبهوت ورفع البخور، ويُقال (١٠١) مزموّر الخمسين.

وبعدَه فصلٌ من السِّفر الأوَّل من التَّوراة، أوَّلُه: «وتراءى الله لإبراهيم» Δ Φ † Δ ε ο τ ω η σ ς η Δ β ρ α α μ (آخره «البار كالمناقض» π ῑ ὀ μ η ν ἰ μ ῆ ρ η † ἰ π ι α σ ε β η σ (١٠٢).

من التَّوراة أيضاً، أوَّلُه: «حين عبر إسرائيل» Β ε η π χ η ἰ ὄ ρ ε π ι σ λ (آخره «لأنَّه بالجد قد تمجدَّ» Χ ε δ ε η ο τ ω ο τ τ α ρ α ς β ἰ ω ο τ (١٠٣).

فصلٌ من سفر يشوع بن نون، أوَّلُه: «يشوع والشَّعب» Η σ ο τ (آخره «وأبادوا أعداءهم» Η μ η π ι λ α ο σ (١٠٤) ἠ ο τ χ α χ η

ومن نبوة إشعياء النَّبي، أوَّلُه: «وفي ذلك اليَوْم» Β ε η π ι ε ρ ο ο τ (آخره: «ولأولاد صهيون» Η μ η η ε ν ω η ρ ἰ ἠ σ ἰ ω η (١٠٥) ε τ ε ἰ μ μ α τ

من حزقيال النَّبي، أوَّلُه: «هذا ما يقوله الرَّبُّ» Η α ἰ η ε τ α ς χ ω

١٠٠- لم يذكر هذه العادة سوى ابن كبر بحسب مخطوط أوبسالا.

١٠١- مخطوط الفاتيكان: ويُقرأ.

١٠٢- النَّص من تكوين ١٨: ١-٢٣

١٠٣- مفهوم آيات من خروج ١٤، ١٥

١٠٤- مفهوم آيات من سفر يشوع ١، ٣

١٠٥- إشعياء ٤: ١-٤

ἄλλος آخره: «من جميع آتامكم» ΕΒΟΛΘΕΝ ΝΕΤΕΝΑΝΟΜΙΑ (١٠٦).

أيضاً من حزقيال النبي، أوله: «ثم حملني وأدخلني» Οτοε

آخره: «تنطهر وتحيأ» Οτοε σενάωνε (١٠٧).

الأبسطلُس: طيماتاوس الأولى عدد ٤ أوله: «والكلمة صادقة»

Θωβ νιβεν آخره «عمل صالح» Ψηροτ ηνε πασαχ

εθνανετ (١٠٨).

ويقال أجيوس، وأوشية الإنجيل، ويُطرح المزمور الخمسين، ويُرد

دجماً، أوله «أولاً» Εκενοτχδ έχω ιπεκωενεγτοσον (١٠٩) والإنجيل

من يوحنا، عدد ٣٠ أوله «وقبل عيد الفصح» Βαχεν πωα δε

آخره «إذا ما فعلتموه» εγωπ ηντε πιπασχα

αρετενωαναιτοτ (١١٠). يُقال باللحن السنوي.

وإذا انتهى قارئ الإنجيل إلى قوله «شدّ وسطه بمنديل، وصبّ ماءً في

مطهرة»، فليشد الكاهن وسطه، ويتناول إناءً مملوءاً ماءً، ويصبّه في اللقّان

بمثال رشم الصليب ثلاثاً.

١٠٦- حزقيال ٣٦: ٢٥-٣٢

١٠٧- حزقيال ٤٧: ١-٩

وهذه النبوءات فقط، هي التي وردت في كافة مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة، أي "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".

١٠٨- ١ تيموثاوس ٤: ٩-١٦، ١٥: ١-١٠

١٠٩- أي: تنضح عليّ بزوفك.

١١٠- يوحنا ١٣: ١-١٧

ويقول الكاهن في (أثناء) تفسير الإنجيل Πρεσβωτηνην^(١١١)
إلى حد Δ̄ ΝΕΜ̄ Ζ̄ ΝΕΜ̄ Ξ̄ ΝΕΜ̄ ρ̄ Δ̄^{(١١٢) (١١٣)}.

وبعد التفسير، يرفع الكاهن الصليب، ويقول الشعب كيراليصون،
عشرة، باللحن الكبير.

ثم تُقال السبع أواشي، والطلبات المختصة بالقصرية، وعُدتها ١٦
طلبة: α الذي اشتد بمندبل. β الذي بمحبته للبشر. γ الذي أعد لنا طريق
الحياة. δ المسيح إلينا. ε الذي التحف بالثور مثل الثوب. ς ارحمنا يارب
كعظيم رحمتك. ζ الرب إلينا ضابط الكل. η الذي جمع المياه مجمعاً. θ
الذي وضع المياه في يده، والسما في شبره. ι الذي جعل ينابيع الوادي
أثماراً. κ هكذا أيضاً المعطي الحق. λ أرو حرثها، وأكثر ثمارها. μ فرح
وجه الأرض. ν لتفرح جميع حدود أرض مصر. ξ خلص شعبك. ο
أعط الطمأنينة للملك.
وآخر كل طلبة منها يُقال κ̄ε.

وبعدها يقول الكاهن تمام الطلبات، ويقول الشعب كيراليصون
مائة مرة.

ثم تُقال الثلاث أواشي؛ السلامة والآباء والجماعة. والأمانة. ويقول
الشماس προσφερin يقول الكاهن: Ο̄ Κ̄ς^(١١٤) ويرشم الماء، هنا

١١١- أي: أيها الطويل الأناة.

١١٢- أي: (ونثمر فيها) بمائة وستين وثلاثين.

١١٣- هذه الملاحظة الطقسية، وهي صلاة سر الإنجيل "أيها الطويل الأناة" قد سقط
ذكرها تماماً من مخطوطات ترتيب البيعة، ومن كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد
الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، ومن كتاب اللقان والسجدة المطبوع سنة ١٩٢١م.

١١٤- أي: الرب (مع جميعكم).

يقول $\Phi\eta\eta\bar{\nu}\ \Pi\sigma\bar{\varsigma}\ \text{I}\eta\varsigma$ وأولها $\Delta\zeta\text{ION KE } \Delta\text{IKEON } \bar{\nu}$ ^(١١٥) وصلاة أولها $\text{I}\kappa\alpha\theta\eta\mu\epsilon\text{NI}$ ^(١١٧) وصلاة أخرى، ويقول الشمّاس: وإلى الشرق تنظروا، ويُقال أجيوس، أجيوس، أجيوس، وصلاة. وبعدها أبانا الذي في السمّوات.

ويقول الكاهن تحليل الابن، يقول الشمّاس: ماضا فوبو ^(١١٨)، ويرشم الكاهن الماء بالصليب ثلاثاً، ويقول: واحدٌ هو الآب القدّوس. ومزموه المائة والخمسون دمجاً.

ويغسل الكاهن أرجل الشعب، وأيديهم وجباههم ^(١١٩).

ويرتّل الشعب بهذه المديحة، في لحن واطس، كمثل $\text{Π}\epsilon\eta\sigma\ \alpha\psi\chi\omega\ \eta\ \eta\eta\epsilon\psi\bar{\epsilon}\beta\omega\varsigma$ ^(١٢٠) وهي هذه $\text{Π}\text{I}\kappa\epsilon\beta\epsilon\rho\eta\text{I}\tau\eta\varsigma$ ^(١٢٠) وعدة هذه المديحة ستة أرباع، وتُقال بلحن لبش تداكية يوم الخميس، وهو: $\text{Π}\text{I}\sigma\tau\alpha\ \epsilon\beta\omicron\lambda\delta\epsilon\text{N } \bar{\tau}\eta\rho\text{I}\alpha\varsigma$ وقد يقرأها بلحن الحزن، لأن ذلك

١١٥- أي: هنا يقول ثلاث مرّات: مستحقّ وعادل.

١١٦- أي: أيها السيّد الربّ يسوع المسيح الله مخلصنا.

١١٧- أي: أيها الجلوس (قفوا).

١١٨- أي: $\text{Μ}\epsilon\tau\alpha\ \phi\omicron\beta\omicron\upsilon\tau$ أي بخوف. وهو مرد: "نصت بخوف الله".

١١٩- هذه الإضافة التي وردت في "مخطوط أوبسالا" أي غسل الوجه واليدين، إلى جانب غسل الرّجلين، أظنّها كانت هي طقس كنيسة العذراء المعلقة في القرون الوسطى، لأنّ المؤمن بن العسال الذي كان كاهنا لهذه الكنيسة قبل ابن كبر (+ ١٣٢٤م) مباشرة قد أشار إلى هذا الطّقس في كتابه "مجموع أصول الدّين"، وهو الكتاب الذي تمّ تأليفه ما بين سنة ١٢٦٣م وسنة ١٢٦٥م. وسوف أعود إلى شرح هذه الجزئية مرّة أخرى في هذا الفصل.

١٢٠- أي: المدبّر. وهي الكلمة الأولى من ذكصولوجيّة القدّيس ساويرس الأنطاكي.

١٢١- أي: وضع ربّنا ثيابه ... الخ. وهي المدوّنة في كتاب اللقان والسجدة.

اليوم تذكّار سنة الفصح الجديد، والفرح العتيدي يغسل الأدناس، وتواضع رب المجد لخلاص جنس البشر.

وبعد ذلك تُقال أو شوية شكر على اللقّان وهي: **Φηνηβ Ποσ Φ†** ويقول الشمّاس: صلّوا. ويكّمّل الكاهن الصلّاة. ويدخل الكهنة إلى الهيكل لتقدمة القربان.

وإنما جعل الغسل قبل القربان، لأنّ سيّدنا غسل أرجل تلاميذه أولاً، ثمّ من بعد ذلك قسم الخبز، وبارك، وأعطاهم، ثمّ ناولهم بعده الكأس المقدّسة. وهذا قول الأناجيل المقدّسة؛ لأنّ بشائر متى ومرقس ولوقا لم تتضمّن غسل الأرجل، لكن ذكروا قسمة الخبز والكأس.

ويوحنا الإنجيلي ذكّر غسل الأرجل، ولم يذكر الخبز ولا الكأس، لكنّه بيّن أنه بعد (أن) غسل الرّب أرجلهم، رجع واتكأ. فظهر لنا أنه قام وغسل أرجلهم، ثمّ رجع واتكأ. وفي رجعته إلى المتكأ أعطاهم الخبز والكأس.

ويوحنا كتبَ هذا في إنجيله أنه «قام من المتكأ، وترك ثيابه، وشدّ وسطه بمنديل، وصبّ ماءً في مغسل»^(١٢٣)، وغسل أرجل تلاميذه، ونشّفها بالمنديل المشدود في وسطه». وبعد قليل من هذا الفصل، ذكر هذا الإنجيل المقدّس، أنه لما غسل أرجلهم، رجع ولبس ثيابه، واتكأ، وأعطاهم الخبز والكأس للميثاق الجديد.

١٢٢- أي: (نشكرك) أيها السيّد الرّب الإله ضابط الكلّ ... الخ. وقد وردت في كتاب اللقّان والسجدة.
١٢٣- حرفياً: سفّل (خطأ).

رابعاً: "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)"

فيما يلي سأورد ما يذكره "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)"، مع المقارنة بينه وبين باقي المخطوطات الأخرى في الهامش. وبذلك يتعرف القارئ العزيز على مجمل التعليمات الطقسية في قداس لقان الماء، ثم بعد ذلك سأورد شرحاً وافياً للعناصر الليتورجية المختصة بقداس اللقان.

فعن سواعي البصخة التي تسبق عمل اللقان، يقول "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)": "ترتيب الساعة الثالثة والسابعة والتاسعة. يقدمونها بدري لأجل اللقان والخدمة" (١٢٤).

وتحت عنوان "ترتيب اللقان"، يقول المخطوط (١٢٥): "ΕΛΕΗΣΟΝ" ημας يقول الكاهن أو شية الشكر، وأوشية البحور وهي Φ† πικρανεε والشعب يرتل كما فعلوا باكر النهار

Πενοψω†... Χερε τεκκλησια... Χερε πι†

Εθε φαι την†ωο† ναϭ ενωψ εβολ ενχω ιμοϭ κε
κςμαρωο†† ο παϭ Ιηϭ Χε αταϭκ αϭω† ιμον. (126)

Κε ελεησον ε... Δλ Δοζα πατρι... Δρι†τεν...
Μαι ηη† Φ†... Δοζα ϭ† ο θεοϭ... (127)

١٢٤- وهو نفس ما يذكره "مخطوط دلال لندن". أما "مخطوط دلال باريس" فيقول: "تعمل صلاة الثالثة والسابعة كالعادة وقت استحقاقهم. ويعجل بعمل صلاة التاسعة قبل وقتها، لأجل عمل اللقان".

١٢٥- كل المخطوطات - عدا "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)" تذكر في البداية ما يلي: يُمأ اللقان ماء حلو، وبجانبه أيضاً طاسة مملوءة ماء حلو يرسم غسل الوجه واليدين.

١٢٦- هذا الرُبع ينفرده "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)". وتعريبه هو: "من أجل نفعه صارخين قائلين: مبارك أنت ياربي، لأنك تأملت وخلصتنا".

١٢٧- هذه الفقرة هي عناصر صلاة مزامر باكر. وهي الوحيدة التي يذكرها "مخطوط

ثم يقولون الثبوتات قبطياً وعربياً^(١٢٨)، والموعظة لأبو شنودة قبطياً وعربياً ثم يضع الكاهن البخور يداً واحدة، والشعب يرتل **ΓΕΝΟΥΩΥΤ** ثم يقول البولس قبطياً وعربياً، وبعده أجيوس الثلاثة^(١٢٩)، وأوشية الإنجيل، والمزمور، والإنجيل.

ثم يشد الكاهن وسطه بستر كتان أبيض كما فعل مخلصنا^(١٣٠). وعندما يقول القارئ في الإنجيل، صب ماء في مطهرة، يأخذ الإبريق الذي للهيكل، فيه الماء، ويصب منه الماء في اللقان مثال صليب، مرة في اللقان، ومرة في الطاسة التي فيها الماء الحلو بجانب اللقان، والمرة الثالثة في اللقان أيضاً^(١٣١).

وعند فراغ تفسير الإنجيل، يرفع الصليب، والشعب يرتل بالناقوس بالكبير كيرياليصون عشر مرات. وبعد ذلك مرد الإنجيل **ΙΗΣ ΠΧΣ** ^(١٣٢) **ΝΣΑΥ ΝΕΜ ΦΟΥΤ** ويكملون الطُّبْحَات الجارية بها العادة؛ السيدة والرُّسُل والأب البطريرك^(١٣٣).

دلال لندن". حيث لم يذكر أرباع الناقوس. سأعود إلى شرح هذه العناصر بالتفصيل مرة أخرى عند الحديث عن هذا الطقس كما ورد في "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م".

١٢٨- تذكر جميع المخطوطات قيد الدراسة - باستثناء "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)" أن الكاهن يطوف البيعة بالبخور، ولا يقبله أحد.

١٢٩- كل المخطوطات الأخرى تذكر أن الأوبى للميلاد، والثانية والثالثة للصلب.

١٣٠- كل المخطوطات قيد الدراسة تذكر أن الكاهن يشد وسطه بستر كتان، أو بلين، أبيض أو صوف، وذلك عندما يقول القارئ عن المسيح له المجد، إنه قام عن العشاء، وترك ثيابه، وشد وسطه، وصب ماء في مطهرة ... الخ.

١٣١- هذه المرة الثالثة لم ترد في باقي المخطوطات الأخرى.

١٣٢- أي: "يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد". وهو المرد الذي تذكره

جميع المخطوطات قيد الدراسة.

ويضيف "مخطوط دلال باريس" مرداً تالياً للرُّسُل القديسين.

١٣٣- "مخطوط دلال باريس"، ذكر المرد الخاص بالرُّسُل فقط. و"مخطوط دلال أنبا

ثم يقول الكاهن السبع أواشي، وبعدهم الطلبة التي مردها كيرياييصون. وبعدها كيرياييصون مائة مرة. وبعدها يرشم الماء ثلاث مرّات. ثم يقول الكاهن الثلاث أواشي الكبار، وبعدهم **Βεν** ^(١٣٤) **ουμεθμη**.

وبعد ذلك الأسبسموس **Ραυι οτος θεληλ ω πτενος** ^(١٣٥) **ηνηρωμι...** ثم يكمل خدمة اللقّان على كل ما في الترتيب ^(١٣٦).

وبعد ذلك يقول الشعب **Πενιωτ** يقول الكاهن **Се Пос** ^(١٣٧) **Πос** وعند كمال أوشيّة التحليل، يصرخ الشّمّاس **Сωηс** **αμην** يقول الشعب **Ιс πατηρ αγιος** والكاهن يرشم ماء اللقّان والطاسة. ويتلوها **Δλ σμου εφ** ويتلوها الإبصاليّة المدوّنة في اللقّان، تُقال ضمن غسل الكاهن أرجل الشعب. وبعد ذلك الصّلوات المدوّنة آخر الكتاب. وتختتم بالبركة“.

شنوده (ق ١٤)“ ذكر مردي العذراء والرُّسل.
١٣٤- أي ”بالحقيقة“، وهي بدء قانون الإيمان.
وكل المخطوطات الأخرى قيد الدراسة تقتطع من قانون الإيمان، ذكر الصّلب والقيامة والصُّعود إلى السّماء والجلوس عن يمين الآب، والنجى الثاني.
١٣٥- أي: ”أفرحوا وهلملوا يا جنس البشر ... الخ“. يذكر المخطوط النّص القبطي بالكامل.

١٣٦- عند هذا الحد يتوقف ”مخطوط دلّال المعلقة (ق ١٦)“ عن الشّرح. إذ يذكر ما يلي: ”تكمل الخدمة على ما شرح في كتاب البصخة. ثم يبدأ الكاهن يغسل أقدام الشعب“. ثم يشير إلى ترتيب الإبصاليّة التي تُقال في نهاية هذه الخدمة.

١٣٧- أي: ”نعم يارب يارب ... الخ“.
”مخطوط دلّال باريس“، و”مخطوط دلّال أنبا شنوده (ق ١٤)“ تضيف تحليل الابن

Ποοκ Ποσ

خامساً: "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار

البطيريكية بالقاهرة لسنة ١٩١١م"

فيما يلي سأوردُ في المتن طقس عمل لقان خميس العهد كما يشرحه مخطوط ترتيب البيعة المذكور هنا، ومقارنة هذا الترتيب مع ما يذكره كلٌّ من كتاب دلال و ترتيب جمعة الآلام و عيد الفصح الجيّد المطبوع سنة ١٩٢٠م، وكتاب اللقان والسجدة^(١٣٨) المطبوع سنة ١٩٢١م، وذلك في الهامش. أمّا شرح بعض العناصر الليتورجية لهذا الطقس فتأتي في نهاية هذا الفصل.

يقول المخطوط^(١٣٩):

بملاون^(١٤٠) اللقان ماء^(١٤١) حلواً، ويضعون^(١٤٢) إلى جانبه طاسة مملوءة^(١٤٣) ماء^(١٤٤) برسم غسل الوجه واليدين^(١٤٥).

١٣٨- كتاب اللقان والسجدة المشتمل على لقان عيد الغطاس والخميس الكبير وعيد آباءنا الرسل وما يقرأ في صباح أحد العنصرة وثلاث السجّادات التي تنلى في عشية هذا اليوم كترتيب آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. طبع بأمر صاحب النيافة الأب الأقدس الأنبا يوانس مطران الإسكندرية والبحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية الكلي الاحترام، وذلك في عهد رب الخصائص القدسية الجالس على السدة الرسولية الأنبا كيرلس الخامس بابا وبطريك الكرازة المرقسية والثاني عشر بعد المائة من خلفاء القديس مرقس الرسول. عني بضبطه وتنقيحه القمص باخوم اليرموسي وكييل بطريركية الإسكندرية، والشماس عريان فرج مدرس اللغة القبطية بالمدارس المرقسية بإسكندرية، ١٦٣٧ للشهداء الأطهار/ ١٩٢١ مسيحية.

١٣٩- مع إضافة الهزمة والتاء المربوطة، وتصحيح الأخطاء اللغوية، والتحوية مع إيرادها في الهامش بحرفها كما وردت في المخطوط.

١٤٠- في المخطوط "بملاوا".

١٤١- في المخطوط "ما".

١٤٢- في المخطوط "ويضعوا".

١٤٣- في المخطوط "مملوه".

١٤٤- في المخطوط "ما".

ويتدئ الكاهن بصلاة الشكر ويرفع البخور بأوشيته إلى آخرها $\Phi\text{†}$
 $\pi\pi\omega\delta\epsilon\eta\epsilon\varsigma$ ^(١٤٦) ويقول الثلاث أوأشي الصغار والشمامسة ترتل
 كيرياливون $\text{Κ}\epsilon\iota\tau\alpha\text{ρ}\omega\omega\tau$ ^(١٤٧) بالناقوس^(١٤٨).

١٤٥- هذه الفقرة توضّح لنا أن ماء اللقّان هو برسم غسل الرّجلين، وماء الطّاس هو برسم غسل الوجه واليدين.

وهذه المقدّمة يشرحها كتاب اللقّان والسّجدة لسنة ١٩٢١م، فيقول: "بعد الانتهاء من صلاة باكر بالخورس الأول كحسب ترتيبه المدوّن بكتاب دلالّ جمعة الآلام، يتوجّهون إلى موضع الصّخرة ويصلّون سواعي التّهار الثالثة والسّادسة والتّاسعة. وعند انتهاء قراءة طروحاتها، ينظف اللقّان جيّدا ويملأ ماء عذبا ويوضع بجانبه طاس. وفي أثناء قراءة الطروحات يرتدي رئيس الكهنة ملابس الكهنوتية. وعند نهاية قراءة الطلبة، يتوجّه الكهنة والشمامسة والمرتلين بأيديهم الشّموع ويحضرونه إلى موضع اللقّان ... الخ" (ص ٦٠).

وقد أغفل كتاب اللقّان والسّجدة - في هذا الموضوع بالذّات - ذكّر أنّ الطّاس أو الطّاسة هي برسم غسل الوجه واليدين، وهو ما يذكره كل من "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدّار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م" والدّلالّ المطبوع سنة ١٩٢٠م. ولكنه - أي كتاب اللقّان - ذكرها في نهاية هذا الطّقس حين قال: "... ثمّ يعطوهم (الكاهن) البركة بيده من ماء الطّاسة ليمسحوا وجوههم بأيديهم" (ص ١١٥).

١٤٦- أي: "يا الله الأبدي" ويبدو أنّها أوشية للبخور غير معروفة لنا الآن، فلم يرد ذكرها في كتاب الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م. أمّا كتاب دلالّ جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م فقد تغاضى عنها مكثفيا بالقول: "يتدئ الكاهن بصلاة الشكر ويرفع البخور والشمامسة ترتل ... الخ" (ص ١١٣). وأمّا كتاب اللقّان والسّجدة لسنة ١٩٢١م فيقول: "ويرفع البخور بقراءة سرّ بخور باكر" (ص ٦١).

١٤٧- أي: "نسجد".

١٤٨- هنا إشارة طقسية هامة في قول مخطوط ترتيب البيعة "والشمامسة ترتل كيرياливون $\text{Κ}\epsilon\iota\tau\alpha\text{ρ}\omega\omega\tau$ بالناقوس"، وبين قول كتاب الدّلالّ لسنة ١٩٢٠م "والشمامسة ترتل $\text{Κ}\epsilon\iota\tau\alpha\text{ρ}\omega\omega\tau$ بالناقوس" وهو نفس ما يذكره أيضاً كتاب اللقّان والسّجدة لسنة ١٩٢١م. فقول مخطوط ترتيب البيعة هنا هو الأكثر دقة بذكره كلمة "كيرياليسون" قبل بدء أرباع الناقوس. وهو ما ترتله حتى اليوم حين نبدأ

وبعد ذلك يقول الشعب:

Κε ἐλεησον κε ἐλεησον κε εὐλοσησον ἀμην⁽¹⁴⁹⁾.

Δλ λοζα πατρι...⁽¹⁵⁰⁾

Κε ντην...⁽¹⁵¹⁾

Δριπτεν...⁽¹⁵²⁾

أرباع التاقوس بهذه الكلمة. أمّا أهميّة ذلك الأمر فهي، أن كلمة "كيريايسون" كانت هي المراد أو اللحن الذي يُقال أثناء دوران الكاهن حول المذبح بعد صلاة الشكر قبل أن تُعرف أرباع التاقوس في الكنيسة في القرن الخامس عشر الميلادي، وبعد أن أُلغيت صلاة باكر التي كانت تُقال في هذا الوقت من رفع البخور، وانتقلت إلى ما قبل رفع البخور. وهو نفسه "لحن كيريايسون" الذي يُقال حالياً في رفع بخور باكر أيام الصوم المقدس الكبير، والذي نسميه اليوم "كيريايسون الصّيامي"، فلمّا حلت أرباع التاقوس محل هذا اللحن، احتفظ الأقباط بكلمة "كيريايسون" قبل أرباع التاقوس كأثر للحن قديم احتفظ به الصوم الكبير فحسب. وجدير بالذكر أن كل الأبصلموديات تذكر أرباع التاقوس بدون ذكر كلمة "كيريايسون" التي تسبقها، ومن هنا كانت أهميّة ما يشير إليه "مخطوط ترتيب البيعة رقم ١١٨ طقوس) بالذّار البطيريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١ م".

١٤٩- أي: يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك، آمين.

وقد أغفل كتاب الدّلال لسنة ١٩٢٠ م، ومع كتاب اللّقان والسّجدة لسنة ١٩٢١ م هذا العنصر الليتورجي.

١٥٠- أي: الليلويا، الجد للآب والابن والروح القدس.

وقد أغفل كتاب دلالّ جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠ م هذا العنصر الليتورجي، أمّا كتاب اللّقان والسّجدة لسنة ١٩٢١ م فقد ذكره.

١٥١- أي: الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدّهور آمين.

وقد أغفل كتاب دلالّ جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠ م هذا العنصر الليتورجي، أمّا كتاب اللّقان والسّجدة لسنة ١٩٢١ م فقد ذكره.

١٥٢- أي: اجعلنا مستحقين أن نقول بشكر.

وقد أغفل كتاب دلالّ جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠ م، ومع كتاب اللّقان والسّجدة لسنة ١٩٢١ م هذا العنصر الليتورجي.

Χε πενωτ ετ ζεν νι... (153)

Παι νηι Φ†... (154)

Δλ αλ λοζα ci ò Θεος ημων (155).

وفي ضمن المزمور الخمسين يطوف الكاهن بالبُخور. وفي نسخة أخرى ما يدور بالبُخور، إلاّ في ضمن قراءة البولس قبطياً، ولا يُقبَله

- ١٥٣- أي: أبانا الذي في السَّموات ... الخ. وقد أغفل كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م هذا العنصر الليتورجي، أمّا كتاب اللقّان والسَّجدة لسنة ١٩٢١م فقد ذكره.
- ١٥٤- أي: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك ... الخ (المزمور الخمسون). هذا هو العنصر الليتورجي الوحيد الذي ذكره كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م. وقد ذكره أيضاً كتاب اللقّان والسَّجدة لسنة ١٩٢١م.
- ١٥٥- أي: الليلوياء، الليلوياء، المجد لك يا إلهنا. وقد أغفل كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م هذا العنصر الليتورجي. أمّا كتاب اللقّان والسَّجدة لسنة ١٩٢١م فقد ذكره بنفس كلماته القبطية ولكن بترجمة عربية خاطئة حيث قال: "الليلوياء المجد لك يارب" (ص ٦٢).
- ولقد سبق أن ذكرتُ أنّ هذه العناصر الليتورجية التي يقولها الشَّعب، قبل أن يطوف الكاهن بالبُخور، هي مقدّمة مزامير صلاة باكر، والتي كانت تُقال في هذا الوقت من رفع البُخور، قبل أن تُعرف أرباع التَّاقوس. ولكن نلاحظ هنا أن مخطوط ترتيب البيعة قد أغفل ذكر عنصر ليتورجي في مقدّمة صلاة باكر، وهي: "تعالوا نسجد، تعالوا نسأل المسيح إلهنا ... الخ"، وهو ما ذكره مخطوط أوبسالا.
- ومن ثمّ وبعد انتقال مزامير باكر إلى خارج رفع البُخور كما نمارس اليوم، فليس ثمة ما يُلزمنا أن نكرّر عناصرها الليتورجية هنا مرّة أخرى. ولأنّ هذه العناصر الليتورجية لم يكن مفهوم سببها وأصلها عند واضعي كُتب الصَّلوات الكنسيّة، فقد وردت التَّعليمات الطقسيّة بسببها متضاربة بين كل من كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد لسنة ١٩٢٠م، وكتاب اللقّان السَّجدة لسنة ١٩٢١م. برغم أن الفارق الزمّني بين الكتابين لا يتخطى سنة واحدة كما ترى.

أحد^(١٥٦) لأجل قبلة يهوذا^(١٥٧).

ثم تُقرأ الثبوتات قبطياً وعربياً، وهي مدوّنة^(١٥٨) في كتاب البصخة. وتُقرأ الموعدة^(١٥٩).

وتُقال Πεντηκωστή بلحن البولس. ثم يرفع الكاهن البخور يداً واحدة، وإن اختار فيقول Πὸς ἡντε ἡζῆνωσις ^(١٦٠) لأن أوشية البخور قرئت أولاً^(١٦١). ثم يُقرأ البولس دجماً سنوياً^(١٦٢) ويُفسر.

وبعد يُقال أجيوس دجماً^(١٦٣) نظير باكر، وبعدهم صلاة الإنجيل، ويُطرح الزمور دجماً^(١٦٤)، ويُرد سنوياً^(١٦٥) مثل مرد القدّاس^(١٦٦).

١٥٦- في المخطوط: "أحداً".

١٥٧- هذه الفقرة لم ترد بكاملها في كتاب دلالّ جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م، أمّا كتاب اللقّان والسجدة لسنة ١٩٢١م فلم يذكرها هنا، ولكنه ذكر - فيما بعد - أن الكاهن يدور بالبخور في أثناء قراءة فصل البولس.

١٥٨- في المخطوط "وهم مدونين".

١٥٩- أغفل كتاب دلالّ جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م عبارة "وتُقرأ العظة". أمّا كتاب اللقّان والسجدة لسنة ١٩٢١م فقد أورد نص هذه العظة وهي للقدّيس أنبا شنودة رئيس المتوحّدين، وبدايتها هي: "فلنستح الآن أيها الإخوة من الذي تألم عتاً، ونخف من الذي اشتد بمنديل وصبّ ماء في مطهرة وغسل أرجل تلاميذه بيديه الطاهرتين ... الخ" (ص ٨١).

١٦٠- أي: "يارب المعرفة ... الخ"، وهي أوشية سرّ البولس.

انظر الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، ص ٢٤٤

١٦١- أغفل كتاب دلالّ جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م عبارة "ثم يرفع الكاهن البخور ... لأن أوشيته قرئت أولاً". أمّا كتاب اللقّان والسجدة لسنة ١٩٢١م فيقول: "ثم يرفع الكاهن البخور ويقول سرّ البولس ويعطي البخور بغير تقبيل".

١٦٢- في المخطوط "دمج سنوي".

١٦٣- في المخطوط "دمج".

١٦٤- في المخطوط: "دمج".

١٦٥- في المخطوط: "سنوي".

وإن كان الأب البطريرك حاضراً أو الأسقف فيقال
 Ὁ ἁγίου Πατριάρχου (١٦٧) واسطائيتا (١٦٨). وبعد ذلك يُقرأ الإنجيل قبطياً دجماً
 سنوياً (١٦٩)، ويُفسر عربياً.

وعندما ينتهي القارئ إلى قوله «قام عن العشاء ووضع ثيابه واشتد
 بمنديل وصب ماء في مطهرة»، يشد الكاهن وسطه ببيلين أبيض (١٧٠)،
 ويصب قليل ماء في اللقآن والطاسة ثلاث مرّات (١٧١) مثال الصليب (١٧٢).

وعند نهاية تفسير الإنجيل عربياً يرفع الكاهن الصليب ويقول الشعب
 كير ياليسون بالكبير بالتناقوس عشر (١٧٣) دفوع (١٧٤). وبعدهم يردّون

١٦٦- أغفل دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠ عبارة "مثل مرد القدّاس".

١٦٧- أي: فليرفعوه ... الخ.

١٦٨- أي: Σταθόντε (إسطائيتي) أي: "قفوا" وهو مرد الشّماس الذي يسبق
 قراءة فصل الإنجيل المقدّس وهو: "قفوا بخوف الله لنتسمع الإنجيل المقدّس". ولقد
 أغفل كتاب الدّلال ذكر هذا المرد، بل أغفل ذكر ما يُقال في حضور البطريرك أو
 الأسقف، كما شرح مخطوط ترتيب البيعة.

١٦٩- في المخطوط: "دمج سنوي".

١٧٠- وردت في كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠ م "يشد الكاهن وسطه

بيلين (مئزر) صوف أو كتان" (ص ١١٣).

١٧١- في المخطوط: "ثلاثة مرار".

١٧٢- هذه الفقرة وردت بكاملها في كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠ م، أما
 الأمر العجيب حقاً أن كتاب اللقآن والسجدة لسنة ١٩٢١ م قد أغفل ذكرها، وهو
 خطأ طقسي معيب.

١٧٣- في المخطوط: "عشرة".

١٧٤- ذكرها كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠ م "أثني عشر دفعة".

أما كتاب اللقآن والسجدة لسنة ١٩٢١ م فقد انفرد بذكر أنه بعد تفسير الإنجيل
 عربياً، يرفع الكاهن الصليب وعليه الشّموع موقدة ويقول $\Phi \dagger \text{ NAI NAN}$ فيجابه
 الشعب كير ياليسون بالكبير عشرة دفوع بالتناقوس.

الإنجيل هكذا بلحن بيكاورنيدس (١٧٥)

ΙΗΣ ΠΧΣ Ἰσαϥ ΝΕΜ ΦΟΟΥ : ἸΘΟΥ ἸΘΟΥ ΠΕ ΝΕΜ ΨΑ
 ΕΝΕΞ : ΔΕΝ ΟΥΘΥΠΟСТАСΙС ἸΟΥΥΤ : ΤΕΝΟΥΨΥΤ ἸΜΟΥ
 ΤΕΝΨΟΥΤ ΝΑϥ⁽¹⁷⁶⁾.

وما يتلوه كالعادة، وبعده **Χε ἑςμαρωουτ** (١٧٧).

ثم يقول الكاهن السَّبَّح (١٧٨) أو اشي الكبار، وهم المرضى والمسافرين
 والثمار والملك والأموات والقرايين والموعوظين.

وبعدهم الطلبات المدونة في كتاب البصخة قبطياً وعربياً^(١٧٩). وبعدهم

ولقد شرحتُ في كتاب آخر أن حشر طلبة **ΦΨ ΝΑΙ ΝΑΝ** في هذا المكان كان
 بسبب أنها إحدى الممارسات الطقسية التي عُرفت في إحدى الجهات، ولم تكن هي
 الممارسة الشائعة آنذ، ولكنّها انتشرت بعد طباعتها في كتاب اللقّان والسجدة لسنة
 ١٩٢١م. وإن صمت كل من "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالذّار
 البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م" وكتاب الدلال لسنة ١٩٢٠م عنها هو دليل
 يؤكّد ذلك.

ومن جهة أخرى فإنه في قدّاس لقّان عيد الغطاس، وقدّاس لقّان عيد الرُّسل، وفي
 أثناء ترديد الشَّعب كيرياليسون عشر مرّات، يرشم الكاهن ماء اللقّان بالصَّليب
 ثلاث مرّات، ولكن هذه الرُّشومات الثلاثة سقط ذكرها هنا في لقّان خميس العهد.

١٧٥- هذه الكلمة هي تعريب للكلمة القبطية **Πικεβερνιτης** وهي الكلمة
 الأولى من ذكصولوجيّة الأنبا ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٤٣٨م)، أي: "المدبّر"،
 حيث تبدأ الذكصولوجيّة بالرُّبع الذي يقول: "المدبر الثابت المحارب جيّدًا، الغالب في
 الحروب، السَّراج المنير". والمقصود هنا هو أن مرد الإنجيل يُقال بالطريقة السنويّة.

١٧٦- أي: يسوع المسيح هو أمسًا واليوم وإلى الأبد، بأقنوم واحد نسجد له ونمجده.

١٧٧- أي: "مباركٌ ... الخ".

١٧٨- في المخطوط: "السبعة".

١٧٩- وهي الطلبات التي تبدأ بعبارة: "يا من اشتد بمنديل كعبيد وستر عري آدم،
 وأنعم علينا بلباس البنوّة الإلهية. نطلب إليك أيا المسيح إلهنا اسمعنا وارحمنا"، حيث
 يجب الشَّعب بعد كل طلبة "يارب ارحم".

يرفع الكاهن الصليب (١٨٠) ويقول الشعب كبير ياليصون مائة مرة دمجاً (١٨١).
 ثم يقول الكاهن الثلاث (١٨٢) أو اشي الكبار وهم السّلامه والآباء
 والجماعة. ثم تُقرأ الأمانة إلى عند $\eta\mu\epsilon\beta\omicron\lambda\ \delta\epsilon\eta\ \Pi\alpha\rho\iota\alpha$
 يقولون (١٨٣) $\text{†}\ \eta\ \text{παρθένος}$ (١٨٤). إلى آخرها يقولون
 بالنّاقوس (١٨٥)

<p>$\text{Ραυι οτος θεληη : ω̄ η̄πενος}$ $\eta\eta\eta\rho\omega\mu\iota : \chi\epsilon\ \text{παιρη†} \ \delta\ \Phi\text{†} : \mu\epsilon\eta\rho\epsilon$ $\eta\pi\kappa\omicron\sigma\mu\omicron\varsigma.$</p> <p>$\text{Θωστε η̄τε†} : \eta\pi\epsilon\psi\omega\eta\rho\iota$ $\eta\mu\epsilon\eta\rho\iota\tau : \delta\alpha\ \eta\eta\epsilon\theta\eta\delta\ \epsilon\ \epsilon\rho\psi :$ $\epsilon\epsilon\rho\psi\omega\eta\delta\ \psi\alpha\ \epsilon\ \eta\epsilon\delta.$</p>	<p>افرحوا وتهلّلوا يا جنس البشر، لأنّه هكذا أحبّ الله العالم.</p> <p>حتى بذل ابنه الحبيب عن المؤمنين به، لكي يحيوا إلى الأبد.</p>
--	---

وإنّ تعبير "اشتد بمنديل كعبد" يحوي فيه مضمون هذا السرّ كلّه، ولاسيّما كلمة
 "كعبد - ζως βωκ "

١٨٠- يضيف كتاب اللّقان والسّجدة لسنة ١٩٢١م "وهو مضاء بالشّموع".

١٨١- في المخطوط: "دمج".

١٨٢- في المخطوط: "الثلاثة".

١٨٣- أي: "ومن مريم العذراء".

١٨٤- أي: "نعم نؤمن".

١٨٥- أورد المخطوط النّص القبطي فقط. أمّا كتاب دلالّ جمعة الآلام لسنة

١٩٢٠م فقد أورد النّص القبطي وترجمته العربيّة، باستثناء ربعين في نهايته.

ومّا يؤسف له، أنّ كتاب اللّقان والسّجدة لسنة ١٩٢١م لم يورد هذا
 الأسبسموس، البديع المعنى جداً، والمناسب جداً لهذه المناسبة العظيمة المقدّسة، بمعناه
 العميق والشّامل في آن معاً، وأورد بدلاً منه الأسبسموس التّالي: "آباؤنا الرّسل
 كرزوا في الأمم بإنجيل يسوع المسيح، خرجت أصواتهم إلى الأرض كلّها، وبلغ
 كلامهم إلى أقطار المسكونة" (ص ١٠٠، ١٠١).

ΘΙΝΑ ἸΤΕΝΘΩΣ ἔΡΟΚ...

لكي نسبحك... (١٨٦)

Χε ἸΟΥΑΒ ἸΟΥΑΒ...

قدوس "قدوس"...

Πενοτωπτ ἰμοκ ويكملون (١٨٧) كالعادة المرسومة إلى آخر
 ὦ Πῆς... يقول الشماس إبروسفارين (١٨٨) كالعادة

يقول الشعب: (١٨٩) Ἐλεος ἡρηνης...

يقول الكاهن: (١٩٠) Ἡἄγαπη...

ويرشم الماء (١٩١) خاصة بعلامة الصليب ثلاث (١٩٢) دفع. ثم يكمل
 خدمة اللقان على ما في كتاب البصحة.

ويقول الشعب: (١٩٣) Πιχεροῦβι...

وعندما يقول (الكاهن) أجيوس أجيوس يرشم الكاهن الماء بعلامة
 الصليب ثلاث مرات (١٩٤)، ويقول نظير قُدَّاس غريغوريوس

١٨٦- لم يورد كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م هذا الربع ولا الذي يليه،
 وأحل بدلاً منهما زبع آخر هو ΘΙΤΕΝ ἸΠΡΕΣΒΙΑ... أي: "بشفاعات".

١٨٧- في المخطوط: "ويكملوا".

١٨٨- في المخطوط: "إبروسفارين".

أي: "قدموا على الرسم ... الخ"، وهو بدء الأنافورا.

١٨٩- أي: "رحمة السلام ... الخ".

١٩٠- أي: "حبة ... الخ". وهي بدء قُدَّاس الماء.

١٩١- في المخطوط: "المأ".

١٩٢- في المخطوط: "ثلاثة".

١٩٣- أي: "الشَّاروييم ...". وهو المرء الذي يسبق قول الكاهن "أجيوس".

وقد أغفل كتاب الدلال ما هو مذكور في المتن بدءاً من هذا المرء، وحتى قول
 الشعب الصلاة الربية.

١٩٤- في المخطوط: "ثلاثة مرار".

وَيَكْمَلُ ذَلِكَ $\chi\omicron\upsilon\tau\alpha\beta \Pi\omicron\varsigma \sigma\upsilon\sigma \chi\omicron\upsilon\tau\alpha\beta \delta\epsilon\eta\lambda\omega\beta \eta\upsilon\beta\epsilon\eta$ (١٩٥) إِلَى أَنْ يَقُولُوا أَبَانَا يَقُول:

$\Gamma\epsilon \Pi\omicron\varsigma \Pi\omicron\varsigma \dots$ (196)

$\eta\theta\omicron\kappa \Pi\omicron\varsigma \dots$ (197)

وتحليل الابن. إلى آخره (١٩٨) يرفع الكاهن الصليب ويقول الشَّمَّاس

عند هذا الحد لا يذكر مخطوط ترتيب البيعة رشومات أخرى في قدَّاس الماء. ولكن قبل ترديد الصَّلَاة الرَّبِّيَّة، هناك رشومات أخرى تجري علي الماء. كما سيرد فيما بعد. ١٩٥- أي: "قدوسٌ قدوسٌ أيها الرَّبُّ وقدوسٌ في كل شيء ... الخ". ولأنَّ هذه المقدمة شبيهة بقدَّاس القديس غريغوريوس، لذلك ذكر المخطوط عبارة "ويقول نظير قدَّاس غريغوريوس". ولكن النَّصُّ الليتورجي لقدَّاس الماء مختلف عن نصِّ قدَّاس القديس غريغوريوس.

١٩٦- أي: "نعم يارب يارب ... الخ".

١٩٧- أي: "أنت يارب ... الخ".

١٩٨- عبارة "وتحليل الابن إلى آخره" المقصود بها هو التَّحليل الذي بدايته $\Phi\eta\eta\eta\beta \Pi\omicron\varsigma$ "أيها السيِّد الرَّبُّ ...". وهذا يتأكَّد لدينا ممَّا يذكره مخطوط ترتيب البيعة عن صلوات التَّحليل في قدَّاس يوم خميس العهد كما سنرى فيما بعد. أي أن المخطوط يقول بترديد الثلاثة تحاليل "نعم يارب ...، وأنت يارب ...، وأيها السيِّد الرَّبُّ ..."، ويعقبها قول الشَّمَّاس "خلصت حقاً".

ونفس هذا الأمر أيضاً يذكره كتاب دلالٍ وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد فيذكر (ص ١١٤) أنَّه تُقال الثلاثة تحاليل.

أمَّا كتاب اللقان والسَّجدة لسنة ١٩٢١م فيقول ما نصُّه (ص ١١٤): "... ويقول الكاهن التَّحاليل $\Gamma\epsilon \Pi\omicron\varsigma$ و $\eta\theta\omicron\kappa \Pi\omicron\varsigma$ ولا يُقال $\Phi\eta\eta\eta\beta \Pi\omicron\varsigma$ ".

وهكذا استطاع كتاب اللقان والسَّجدة - وبالكَاد - أن يحفظ لنا الطَّقْس القديم لعنصر ليتورجي شديد الدقَّة والأهميَّة، وهو بخصوص صلاة التَّحليل في يوم الخميس الكبير. ولكنَّه في ذات الوقت يقول بعد ذلك مباشرة إنَّ الشَّمَّاس يصرخ قائلاً: "حقاً خُصِّصتَ حقاً ومع روحك"، وهذا مخالف لما سبق أن قاله للتَّو من أنَّه لا يُقال تحاليل "أيها السيِّد الرَّبُّ"، وهو ما سأشرحه أيضاً في الفصل القادم مباشرة.

... **Ἐὐχὴ** ^(١٩٩) يقول الكاهن، و(هو) يرشم الماء بالصليب
ثلاث مرّات ^(٢٠٠) **Ἰς πατέρα ἁγίον...** ^(٢٠١) .

يرتلون ^(٢٠٢) عند ذلك قائلين: الليلويا **Ἐὐχὴ** ^(٢٠٣) .

ثمّ يتندى الكاهن يغسل أرجل الكهنة والشمامسة وسائر الشعب ^(٢٠٤) .

وبعد **Ἐὐχὴ** يقولون ^(٢٠٥) **Χε ὑμῶν** بطريقة
بيكاورنيداس. ويقرأون ^(٢٠٦) الإبصاليّة المدوّنة في كتاب اللّقان ^(٢٠٧) ،

فلماذا لا نُصليّ هذا التّحليل الثالث، وهل لذلك الأمر أصول قديمة؟ هذا ما
سوف أعرّض له وأشرح مغزاه الليتورجي بكلّ وضوح في الفصل القادم مباشرة، عند
الحديث عن طقس صلوات قدّاس الإفخارستيا في يوم الخميس الكبير.
١٩٩- أي: "خلصت حقاً".

٢٠٠- في المخطوط: "ثلاثة مرار".

٢٠١- أي: "واحد هو الآب القدّوس ... الخ". أمّا كتاب الدّلال لسنة ١٩٢٠م
فذكر أنّ الكاهن يقول: **Ἐὐλογητός** أي: "مبارك"، وهو نفس ما يذكره
كتاب اللّقان والسّجدة لسنة ١٩٢١م، ولكنه يضيف بقوله: "بجاوبه الشعب: واحد
هو الآب القدّوس، واحد هو الابن القدّوس، واحد هو الرّوح القدس آمين". وهو
النّص الذي ذكر مخطوط ترتيب البيعة أنّ الكاهن هو الذي يقوله.

٢٠٢- في المخطوط: "يرتلوا".

٢٠٣- أي: "سبّحوا الله". وهو المزمور المائة والخمسون.

٢٠٤- وهو نفس ما يذكره كتاب الدّلال لسنة ١٩٢٠م. أمّا كتاب اللّقان
والسّجدة لسنة ١٩٢١م فيقول: "ثمّ أنّ الكاهن الخادم الشّريك يبل الشّملة من ماء
اللّقان، ويغسل أرجل رئيس الكهنة، وينشّفها بشملة أخرى، وبعدها يأخذ الرّئيس
الشّملة من الكاهن ويبلها ويغسل وينشّف أرجل الكهنة أولاً ثمّ الشّماسة ثمّ الشعب
واحداً واحداً، وذلك مثلاً لما صنعه سيّدنا له المجد مع تلاميذه. ثمّ يعطيهم البركة بيده
من ماء الطّاسة ليمسحوا وجوههم وأيديهم" (ص ١١٥).

٢٠٥- في المخطوط: "يقولوا".

٢٠٦- في المخطوط: "يقروا".

وبعدها **Πρωτοπ δέν νη̅αποστολος**... (٢٠٨)

وعند انتهاء غسل أرجل الشعب يجتم الصلاة بقراءة أو شية الشكر المدونة في كتاب اللقان أو البصخة (٢٠٩).

وبعدها البركة كعادة البصخة (٢١٠).

تعقيب على بعض العناصر الليتورجية لصلوات اللقان

مما سبق شرحه يتضح أمامنا أن العناصر الليتورجية لطقس صلوات اللقان في يوم خميس العهد هي:

- | | |
|--------------------------------|-------------------------|
| - صلاة الشكر. | - السبع أو اشي الكبار. |
| - رفع البخور. | - الطلبة. |
| - الثلاث أو اشي الصغار. | - كير ياليسون مائة مرة. |
| - أربع ناقوس بعناصرها القديمة. | - الثلاث أو اشي الكبار. |
| - الثنوت والعظة. | - قانون الإيمان. |

٢٠٧- لم يذكر كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م شيئاً عن هذه الإبصالية. أما كتاب اللقان والسجدة لسنة ١٩٢١م فذكر نصها بالقبضية والعريية.

وتبدأ هذه الإبصالية بالرُّبع الذي يقول: "وضع ربنا ثيابه، واشتدَّ بمنديل، وصبَّ ماءً في لقان، وغسل أرجل تلاميذه ... الخ".

٢٠٨- أي: "الأول في الرُّسل ... الخ". وهي ذكصولوجية الآباء الرُّسل. ولم يشر إليها كلٌّ من كتاب الدلال المطبوع سنة ١٩٢٠م، وكتاب اللقان والسجدة المطبوع سنة ١٩٢١م.

٢٠٩- اتفقت كل المصادر الطقسية على ذكر هذه الأوشية، والتي يدعوها كتاب اللقان والسجدة لسنة ١٩٢١م "صلاة شكر بعد اللقان". وبدايتها "نشكرك أيها السيد الرب الإله ضابط الكل، نشكرك على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال، لأنك جعلتنا مستحقين في هذه الساعة أن نكمل مثال قصرتك المقدسة ... الخ".

٢١٠- أغفل كلٌّ من كتاب دلال جمعة الآلام لسنة ١٩٢٠م وكتاب اللقان والسجدة لسنة ١٩٢١م عبارة: "وبعدها البركة كعادة البصخة".

- الطواف بالبُخور في الكنيسة.
- الأسبسمس الآدام.
- فصل البولس.
- قُدَّاس الماء.
- فصل الإنجيل بعنصره الليتورجية.
- المزمور الخمسون.
- شد الكاهن لوسطه ببلين أبيض.
- غسل الأرجل بالماء.
- الطَّرح.
- الإبصالية.
- كير ياليسون بالكبير عشر مرَّات.
- أو شية الشُّكر.

وفيما يلي شرح لبعض هذه العناصر الليتورجية.

تجهيز اللقَّان والطَّاس

تحدَّث كُتُب الطَّقس القديمة عن لقَّان مملوء بالماء العذب، كما عند ابن سباع وابن كبر - طبقاً لمخطوط أوبسالا - أي حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي. وكان اللقَّان في أصله حوض ماء في مؤخرَة الكنيسة من جهتها الغربية، محفور في أرضية الكنيسة، ثم صار قصرية مبنية في وسط الكنيسة إلى جهتها الغربية.

أما مخطوطات ترتيب البيعة، ومعها المخطوطات قيد الدِّراسة، فتحدَّث عن لقَّان، موضوع إلى جانبه طاسة مملوءة أيضاً بالماء العذب.

وقد اعتادت الكنائس الآن وضع اللقَّان على منضدة في نهاية الخوروس الثاني وحوله شمعتان موقدتان^(٢١١).

وفي دير القديس أنبا مقار - حيث لا وجود للقَّان في أرضية الكنيسة مثل كنائس مصر القديمة - يضعون لقَّاناً قديماً صغير الحجم مصنوعاً من الحجر أسفل المنضدة. وفوق المنضدة يضعون طاسة مملوءة

ماءً عذباً، و حولها شمعتان موقدتان.

ويذكر دكتور بورمستر O.H.E. Burmester عن هذه الطاسة أن كُتِب الطَّقس القديمة قد ذكرت أنها ”برسم غسل الوجه واليدين“، ولكن كُتِب الطَّقس الحديثة حذفت هذه العبارة، لأنه قد بَطُلَ استخدام هذه الممارسة الآن، حيث يُكتفى بمسح رسغ القدم بالماء فقط^(٢١٢). وقد ذكرت كل المخطوطات قيد الدراسة، هذه الطاسة، برسم غسل الوجه واليدين.

وفي أثناء قراءة الطُّروحات، يرتدي رئيس الكهنة ملابسه الكهنوتية، وهي طرُوحات السَّاعات الثالثة والسادسة والتاسعة من يوم الخميس الكبير. وهذه السَّواعي لها شكلٌ خاص في أسبوع البصخة المقدسة^(٢١٣). ولاحظ هنا إدماج الطُّروحات لتُقرأ كلها مرة واحدة في نهاية الخدمة. وقد سبق أن أشرتُ إلى ذلك. إلا أن بعض المخطوطات قد أشارت إلى عمل سواعي الثالثة والسادسة في أوقاتها، أمَّا صلاة السَّاعة التاسعة، فتعمل مبكرة عن وقتها لأجل تميم خدمة اللقَّان.

وعند نهاية الطلبة يتوجَّه الكهنة والشمامسة والمرتلين وبأيديهم الشموع، ويحضرون رئيس الكهنة إلى موضع اللقَّان، مرتلين أمامه **Κςμαρωοντ αληνωσ** ”مبارك أنت بالحقيقة ... الخ“^(٢١٤).

212- *Ibid.*, p. 256.

213- Cf. Burmester, O.H.E. Khs, *Le lectionnaire de la Semaine Sainte*, in *Patrologia Orientalis* (PO), t. 25, fasc. 2, Paris, 1939, p. 191-206.

٢١٤ - كتاب اللقَّان والسَّجدة لسنة ١٩٢١م، ص ٦٠

ويقول دكتور بورمستر O.H.E. Burmester ”بعض الكهنة يرتدي ملابس الخدمة كاملة، أي ملابس خدمة الذبيحة“.

Cf. Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church...*, p. 257.

أرباع النَّاقوس

لا يذكر ابن كبر - طبقاً لمخطوط أوبسالا - وحتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي أيُّ أرباع للنَّاقوس تُقال على اللقَّان. ولكنَّه يذكر بدلاً منها أنه يُقال المزمور الخمسون أمَّا "مخطوط دلال لندن"، فلم يذكر هو الآخر أرباعاً للنَّاقوس تُقال على اللقَّان، لكنَّه ذكر العناصر الليتورجية المختصةً بصلاة باكر.

ويتفق كلُّ من "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالذَّار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م"، مع كتاب الدَّلال المطبوع سنة ١٩٢٠م، بأنَّه تُرثَل **Τενορωυτ** بالنَّاقوس، بدون أن يوردا نصَّ أرباع النَّاقوس هذه.

أمَّا كتاب اللقَّان والسَّجدة المطبوع سنة ١٩٢١م، فقد أورد مقدِّمة أرباع النَّاقوس الواطس، ثمَّ رُبِع "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ... الخ"، وهو الرُّبِع الذي يتكرَّر حالياً في الأعياد السَّيدية في الكنيسة. ثمَّ رُبِع الآباء الرُّسل، ثمَّ يُقال رُبِع لرئيس الكهنة إذا كان حاضراً، ثمَّ "يا ملك السَّلام ... الخ". وهو نفس ما سبق أن ذكرته بعض المخطوطات قيد الدِّراسة، دون بعضها الآخر.

وهنا لا بد لنا أن نعرف أنَّه طبقاً للتَّقليد القديم، لا ذكر للشُّهداء والقديسين في صلوات هذا اليوم باستثناء والدة الإله القديسة الطاهرة مريم التي لا تُستثني من صلوات الكنيسة أبداً في أيِّ مناسبة كنسية، حتى في

أمَّا الآن فيرتدي كلُّ الكهنة المشتركين في خدمة قدَّاس اللقَّان ملابس الخدمة، سواء في حالة وجود رئيس الكهنة أو في حالة عدم وجوده.

ساعة الصليب ذاتها.

فلا تُقال ذُكُصولوجيَّات لأيٍّ من الرُّسُل أو الشُّهداء أو القديسين في سَحَر يوم الخميس الكبير، باستثناء ذُكُصولوجيَّة السيِّدة العذراء إن قيلت. ولا ذكر لمجمع القديسين سواء في التَّسبحة التي لا تقام أصلاً في هذا اليوم، أو في مجمع القُدَّاس الإلهي. كما أنه لا يُقال التَّرحيم أيضاً.

ومن ثمَّ فإنَّ أرباع النَّاقوس في هذا اليوم، سواء كانت في باكر يوم الخميس أو في قُدَّاس اللقَّان، هي مقدِّمة الأرباع الواطس، وما يختص بالعذراء، ورُبع ”يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ... الخ“، ثمَّ الختام ”يا ملك السَّلام أعطنا سلامك ... الخ“.

ولقد أوردتْ أبصلموديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة رُبعاً حديثاً يختص بخميس العهد، لا ذكر له في أيِّ مصادر طقسِيَّة قديمة، ولا يخضع لأنواع أرباع النَّاقوس الثلاثة^(٢١٥). ونصُّه هو: ”جسدك ودمك ودمك هما لغفران خطايانا، والعهد الجديد الذي أعطيته لتلاميذك“. وهو بالطبع لا يصلُّح رُبعاً يُقال في صلوات لقان خميس العهد.

وسبق أن ذكرتُ غير مرة أنَّ أرباع النَّاقوس قد عُرفت في الكنيسة في بعض الجهات مع حلول القرن الخامس عشر الميلادي، فلم يرد ذكرها لا عند ابن سباع في القرن الثالث عشر، ولا عند ابن كير (+ ١٣٢٤م)، وحتى نساخة مخطوط أوبسالا في منتصف القرن السادس عشر. أمَّا العناصر الليتورجيَّة الأكثر قدماً في هذه الجزئيَّة من الطَّقس والتي عُرفت قبل أرباع النَّاقوس، فهي مرد ”كيريايسون“ فحسب. ومن قبله عُرفت

٢١٥- لشرح هذه الجزئيَّة انظر للمؤلف كتاب: ”صلوات رفع البُخور في عشية وباكر“.

العناصر الليتورجية القديمة جداً، والتي هي عناصر مقدّمة مزامير صلاة باكر التي كانت تُقال في داخل رفع البخور في هذا الوقت عينه. وقد أشرتُ إليها غير مرّة هي الأخرى، والتي لم يتبق منها الآن سوى المزمور الخمسين، وفي ختامه $\delta\acute{o}\xi\alpha\ \sigma\omicron\iota\ \acute{o}\ \Theta\epsilon\acute{o}\varsigma\ \eta\mu\acute{\omega}\nu$ "المجد لك يا إلهنا".

النّبوات والعظة

وهي بحسب ابن كبر - طبقاً "لمخطوط أوبسالا" - وطبقاً لكافة مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة^(٢١٦)، هي ستّ نبوّات. وأمّا في كتاب اللّقان والسّجدة، فهي ثماني نبوّات، اثنتان منها مفهوم لآيات وليست آيات بنصّها من العهد القديم. والنّبوات التي أمامها علامة هي النّبوات المضافة حديثاً.

النّبوة الأولى: من سفر التّكوين (١٨:١-٢٣) وهي عن ضيافة إبراهيم لله وشفاعته أمام الله من أجل سدوم وعمورة. وهو الفصل الذي يقول فيه إبراهيم لضيوفه (الله والملاكان): «يا سيّدي إن كنتُ قد وجدتُ نعمة لديك، فلا تتجاوز عبدك، فليؤخذ قليلُ ماء واغسلوا أرجلكم، ثم استريحوا تحت الشّجرة ... الخ».

فقد كان من واجبات الضيافة الأساسية في العهد القديم، أن يغسل الضيف رجليه من عناء السّفَر. ورسالة البولس لهذا اليوم تتحدّث أيضاً عن استمرار هذه العادة القديمة في العهد الجديد، حينما يضع بولس الرّسول ضمن شروط اختيار الأرملة أن تكون قد غسلت أرجل العالم القديمين. وإلى عهد قريب، عندما كانت الأديرة معزولة عن العالم

٢١٦- أي "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، و "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".

الخارجي، بدون طرق ممهّدة تصل إليها، كان الرهبان يغسلون أرجل القادمين، وقد رأيتُ ذلك بعيني في أديرة وادي التطرون. فكان من الأمور العادية أن يغسل الإنسان قدمي إنسان آخر. وأمّا أن ينحني الله نفسه ليغسل أرجل خليفته، كعبد يخدم سادته، فهذا هو سرُّ الكنيسة في هذا اليوم العظيم.

■ **النُبوة الثانية:** من أمثال سليمان (١:٩-١١) «تعالوا إليّ وكلُّوا من خُبزي واشربوا من خمري التي مزجتها لكم ... أعط الحكيم سبباً فيزداد حكمة، علمٌ صديقاً فيزداد قبولاً»^(٢١٧).

النُبوة الثالثة: من توراة موسى النبي (خروج ١٤، ١٥). وهي ليست نُبوة بنصِّ كتابي من هذين الإصحاحين من سفر الخروج، بل هي اختصارٌ لما ورد فيهما عن عبور البحر الأحمر^(٢١٨).

فالماء الذي داسه بنو إسرائيل بأرجلهم فنحوا من الهلاك، هو الذي نقوله تماماً في صلوات اللقّان لهذا اليوم، بأن يكون مياهه خلاصاً وصحّةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا.

النُبوة الرابعة: من يشوع بن نون (ص ١، ٣). وهي أيضاً ليست نُبوة بنصِّ كتابي من هذين الإصحاحين من سفر يشوع بن نون، بل هي اختصارٌ لما ورد فيهما عن عبور الأردن^(٢١٩).

ومن كلماتها: "ووطعتُ أرجلهم الحجارَةَ التي في المياه، فتوتّقت

٢١٧- لم ترد هذه النُبوة عند ابن كبر، طبقاً لمخطوط أوبسالا.

٢١٨- فهي ٣٧ كلمة لا غير.

٢١٩- فهي ١٥ كلمة لا غير.

أقدامهم وأهلكوا أعداءهم“.

وهي نفس الطلبة التي نقولها في قُدَّاس اللقَّان لهذا اليوم: ”فلتهرب من هذا الماء كلَّ قوَّة المضاد بعلامة صليبيك المقدَّس ... طهَّر هذا الماء بقوَّة روحك القدُّوس، لكي يُبطل قوَّات المضاد المقاتل لنا، وينتهر كلُّ الأرواح النَّجسة“.

النُّبوءة الخامسة: من إشعياء النَّبي (ص ٤-١:٤) «... يُكتب للحياة كلُّ من في أورشليم، لأنَّ الرَّبَّ يغسل أعمال بني البشر وأولاد صهيون». وهنا رمزٌ مبدعٌ لفعل مياه اللقَّان، عندما نقول في قُدَّاس اللقَّان في طقسه الحالي: ”ماءٌ لغفران الخطايا، آمين. أظهره ماء مغفرة الخطايا، آمين. أنعم علينا بجواس حكيمة وسلوك ذات وقار وأمان“.

■ **النُّبوءة السادسة:** من إشعياء النَّبي (١:٥٥-١٣ - ١:٦٥) «أيها العطاشى هلمُّوا إلى المياه، والذي ليس له فضَّة، تعالوا اشترُوا وكُلُّوا واشربوا بلا فضَّة وبلا ثمن، حمراً ولبناً ... أطيعوني فتحيا نفوسكم بالخيرات». ونقول في قُدَّاس اللقَّان ”عندما نغسل أرجل بعضنا بعضاً لنستحق أن نكون في ميراث تلاميذك الأَطهار، آمين“ (٢٢٠).

النُّبوءة السَّابعة: من حزقيال النَّبي (٣٦:٢٥-٣٢) «ويصير أن كلَّ نفس حيَّة تدبُّ حيثما يتبدَّد ماء هذا النَّهر عليها، تتطهَّر من كلِّ شيء. وكلُّ ما يأتي عليه ماءُ هذا النَّهر يطهر ويحيا (٢٢١)». فهذا النَّهر الآن حاضر بيننا، ماءُ لقَّان خميس العهد، فيقول الكاهن: ”أظهره ماء الطَّهارة، آمين.

٢٢٠- وهذه النَّبوءة لم ترد عند ابن كير، طبقاً لمخطوط أوبسالا.

٢٢١- وهذه النَّبوءة الأخيرة تُقال أيضاً كآخر نبوءة في لقَّان عيد الغطاس.

ماء الخلاص، آمين“ .

النُبوة الثامنة: من حزقيال النبي أيضاً (١:٤٧-٩) «... وإذا ماء خارج من المشرق، من تحت أسكفة الباب الشرقي ... وكل ما يأتي عليه ماء هذا النهر يطهر ويحيا» .

إذاً فقد جاءت النبوات متطابقة كلَّ التَّطابق مع ما نقوله في قُدَّاس لقان هذا اليوم، مع فارق واحد جوهري وفاضل، هو أنَّ النبوات تتكلم عن رموز عتيده أن تكون، وها قد تحقق الرَّمز أمامنا الآن، ماءً مقدسٌ يحمل فيه كلَّ ما تنبأت به النبوات من مفاعيل الخلاص الذي كان عتيدها أن يكون، وقد تحقَّق الآن بسبب حلول الرُّوح القُدَّس على المياه. آمن فقط فُتشفَى.

وأما العظة التي تلي النبوات - وكان موضعها القدام بعد الإنجيل المقدَّس - فهي لأبينا القُدَّيس أنبا شنوده رئيس المتوحِّدين، بدايتها: ”فلنستح الآن أيها الإخوة من الذي تألم عَنَّا، ونخف من الذي اشتدَّ بمنديل وصب ماءً في المغسل، وغسل أرجل تلاميذه بيديه الطَّاهرتين ... الخ“. وفي ختامها يقول القارئ: ”فلنختم موعظة أبينا القُدَّيس أنبا شنوده، الذي أثار عقولنا وعيون قلوبنا باسم الآب والابن والروح القُدَّس، الإله الواحد، آمين“. وهذا الختام الذي يقوله القارئ بالعربيَّة، يعود الخوروس فيرثله باللَّحن بالقبطيَّة.

وهذا هو اللقَّان الوحيد من الثلاثة لقانات الذي يذكر عظة تعقب النبوات، وقبل البولس، إقتداءً بترتيب سواعي البصخة، ولكن ابن كبر - طبقاً ”لمخطوط أوبسالا“ - لم يشر إلى هذه العظة. وبرغم أنه قد

أشارت إليها كلُّ المخطوطات قيد الدراسة^(٢٢٢)، إلا أنه لم يرد ذكرها لا في "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، ولا في "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، ولكن "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)" هو الوحيد الذي أوردها.

الطواف بالبُخور في الكنيسة

سبق أن أشرتُ إلى أن هناك ثلاث ممارسات في هذا الشأن: الممارسة الأولى تقول بدوران الكاهن بالبُخور في الكنيسة أثناء ترديد المزمور الخمسين، أو أثناء ترتيل أرباع الناقوس بعد أن عُرفت في الكنيسة. والممارسة الثانية تقول بدوران الكاهن بالبُخور في الكنيسة أثناء قراءة فصل البولس. أما الممارسة الثالثة، فهي الصمت التام عن أي دوران بالبُخور في الكنيسة. وهذه الممارسة الثالثة هي التي ذكرها ابن سباع حيث يقول: "... ويقول (الكاهن) صلاة الإنجيل، (و) يرفع البُخور ولا يُقبل الإنجيل في ذلك اليوم، ولا يدور الكنيسة بالبُخور لأجل قبة يهوذا"^(٢٢٣)، ويُظنُّ أن هذه الممارسة الثالثة هي الأقدم بين هذه الممارسات الثلاثة. وهو نفس ما نجده في "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)".

والمهم هنا هو اتفاق كلِّ المصادر الطقسية القديمة على عدم التقبيل في هذا اليوم، حيث تتفق على القول: "ثم يرفع الكاهن البُخور بغير تقبيل". يعني أن الكاهن إذا مرَّ بالبُخور على الشعب كما في أي ليتورجية، فيكون ذلك بدون أن يضع يده بالصليب على رأس كلِّ واحد

٢٢٢- ينبغي أن يفرق القارئ العزيز دائماً بين تعبير "المخطوطات قيد الدراسة"، وتعبير "مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة".

٢٢٣- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٣

من المصلين. ثم يُقبَّل كل فرد من أفراد الشَّعب يد الكاهن. فالقبلة الممنوعة هنا هي القبلة الطَّقسيَّة أثناء المرور بالبحور، وهي ممنوعة في هذا اليوم، أي يوم خميس العهد، ويوم سبت الثَّور أيضاً.

كما أنَّه في هذين اليَومين تُمنع القبلة المقدَّسة بين أفراد الشَّعب وبعضه بعضاً في أثناء الصَّلوات اللَّيتورجيَّة (٢٢٤). وهذه القبلة لا تتم بحكم طقس صلوات هذين اليَومين، إذ لا وجود لمرد الشَّماس "قبِّلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدَّسة ... الخ".

بل إنَّ هذا المرد السَّابق ذكره مباشرة، كان يقتصر في خدمة هذا اليوم بحسب الطَّقس القديم جداً - أي منذ ما قبل القرن الحادي عشر الميلادي على الأقل - على قول الشَّماس: "قفوا بخوف وإلى الشَّرق انظروا، نصت". ثمَّ بعد عدَّة قرون - أي بعد القرن الثالث عشر الميلادي أو الرَّابع عشر الميلادي - سبق هذا المرد الأخير قول الشَّماس: "تقدَّموا على الرَّسم". وأظنُّ أنَّ هذه الإضافة الأخيرة قد جرت على مرد الشَّماس، بعد أن ضاع مفهوم المرد كونه مرداً يختصُّ بتقديم قرابين، وليس التقدُّم إلى التَّناول، ومن ثمَّ فقد أصبح الشَّماس يقول: "تقدَّموا على الرَّسم" بدلاً من قوله "قدَّموا على الرَّسم". وسوف أعود إلى هذه الجزئيَّة مرَّةً أخرى.

إذا فالقبلة الممنوعة هنا هي القبلة الطَّقسيَّة في الكنيسة القبطيَّة في هذين

٢٢٤- وقد تحوَّل هذا الطَّقس عند بعض العامة من الأقباط إلى عدم التَّسليم على الكاهن أو على بعضهم البعض خلال الفترة من أربعماء أيوب إلى عشية عيد القيامة حتى في خارج الكنيسة، وهذا أمرٌ خارجٌ عن التَّنبهات الطَّقسيَّة الكنسيَّة، فالممنوع هنا هو القبلة أو السَّلَام الطَّقسي، وليس القبلة أو السَّلَام العادي خارج الكنيسة.

اليومين، وهي كذلك أيضاً في الكنيستين اليونانية واللاتينية (٢٢٥). أمّا الكنيسة السريانية الأنطاكية فتمنع هذه القبلة طيلة أسبوع البصحة المقدسة.

المزمور والإنجيل

يُطرح المزمور باللحن السنوي. وأمّا نصّه فهو: «تنضح عليّ بزوفاك فأطهر، وتغسلني فأبيض أكثر من الثلج. قلباً نقياً أخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدّد في أحشائي. الليلويا» (مزمور ٧: ٥٠، ١٠).

ولقد أورد دكتور بورمستر O.H.E. Burmester نصاً آخر للمزمور نقلاً عن بعض المخطوطات، وهو: «استر وجهك عن خطاياي، وامح كلّ آثامي، رد لي بهجة خلاصك، وبروح منتدبة أعضدني. الليلويا» (مزمور ٩: ٥٠، ١٢) (٢٢٦).

أمّا فصل الإنجيل المقدّس، فهو من بشارة القديس يوحنا (يوحنا ١٧: ١٣-١٧) «... قام (يسوع) عن العشاء، وخلع ثيابه، وأخذ منشفة وأترز بها، ثمّ صبّ ماءً في مغسل، وابتدأ يغسل أرجل تلاميذه، ويمسحها بالمنشفة التي كان مؤترزاً بها...».

وعندما يصل القارئ إلى هذا القول السابق من الإنجيل، ينفذ كبير الكهنة ما يسمعه طقسياً، حيث يخلع البرّس الذي يرتديه فوق الثوبية، ثمّ يأخذ شملة ويأترز بها حول وسطه حتى نهاية الخدمة. وقد سبق أن ذكرت

225- Cf. Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church*....p. 257.

226- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967.,p. 257.

أنه لما يؤسف له أن كتاب اللقّان والسجدة المطبوع سنة ١٩٢١م قد أغفل ذكر هذه الممارسة، ومن ثم فقد أغفلها أيضاً نفس الكتاب في طبعته سنة ١٩٩٠م. مطرانيّة بني سويف، برغم أنها وردت عند ابن كبر طبقاً لمخطوط أوبسالا، حيث يقول: "وإذا انتهى قارئ الإنجيل إلى قوله «شدّ وسطه بمنديل، وصبّ ماءً في مطهرة»، فليشد الكاهن وسطه، ويتناول إناءً مملوءاً ماءً، ويصبّه في اللقّان بمثل رشم الصليب ثلاثاً". كما أنها وردت أيضاً في "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالذّار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م". كما وردت أيضاً في جميع المخطوطات قيد الدّراسة. ولو لم يحتفظ كتاب "خدمة الشّمس والألحان" بذكرها، فرمّا كانت قد سقطت من الطّقس مع توالي السنين.

الأواشي السبع الكبار

وهي أواشي المرضى - المسافرين - أهوية السّماء - رئيس أرضنا - الرّاقدين - القرايين - وأخيراً الموعوظين.

ويقول دكتور بورمستر O.H.E. Burmester في حديثه عن لقّان عيد الرّسل، والذي سيأتي ذكره في موضعه: إن هذه السبع أواشي لم توجد في مخطوط رقم (١١٥٩) بالمتحف القبطي بالقاهرة، والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر^(٢٢٧). ومن المعروف أن لقّان عيد الرّسل الذي وضعه أنبا بطرس أسقف البهنسا في القرن الثالث عشر قد اعتمد للغاية على

227- Burmester, O.H.E., *The Two Services of The Coptic Church Attributed to Peter, Bishop of Behnasa, ...*, p. 5.

Cf. also, Brightman, F.E. M. A., *Liturgies, Eastern and Western*, vol. 1, *Eastern Liturgies*, Oxford, 1967, p. 160, 161.

نفس ترتيب لقان خميس العهد (٢٢٨).

وإن عدم ذكر مخطوط القرن الرابع عشر السابق ذكره لهذه السبع أو اوشي يوضح أنها من وضع متأخر. وهو أمرٌ يتماشى مع التقليد الليتورجي العام في خدمة هذا اليوم.

إذ كيف يمكن مثلاً أن نُصلي أوشية المسافرين في عيد سيدي مثل يوم خميس العهد، وهو أحد الأيام التي يتوقف فيها المسيحيون عن العمل، ولا زال هذا الوضع قائماً حتى اليوم؟. وكان الأصل في ذلك هو توقف المسيحيين عن العمل طيلة أسبوع البصحة المقدسة للتفرغ لصلوات الكنيسة.

بالإضافة إلى أن المصادر الطقسية القديمة - أي ابن سباع، وابن كير - لا تذكر أن تُقاز أوشية المرضى في رفع بخور باكر هذا اليوم. إلا أن ابن كير - وطبقاً لمخطوط أوبسالا - في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، يعود ويذكر أنها تُقال في صلوات اللقان، مما يعني أن هذا التضارب في التنبهات الطقسية، ربما يعني تدوين أكثر من طقس لأكثر من جهة، أو يكون تطوراً طرأ على الطقس، ولكنه لم يمارس كاملاً في داخل الخدمة الليتورجية لهذا اليوم. وهو ما نجده واضحاً في كتب الطقس المطبوعة، متمثلة في كتاب دلال جمعة الآلام، وكتاب اللقان والسجدة، اللذان يقولان بترديد أوشية المرضى في خدمة هذا اليوم.

وإن الدليل الأكثر أهمية، والذي يؤكد أن هذه الأوشي قد أضيفت بغير حذق طقسي، هو أنه من أهم الملامح الطقسية في هذا اليوم، عدم وجود تذكارات للقديسين أو للرأقدين. فلا وجود لجمع القديسين في

القُدَّاسُ الإلهي، ولا لأرباع النَّاقوس التي تذكر أسماء قديسين، ولا ذكر
لذُكُوصولوجيات القديسين، ولا يُعمل ترحيم في القُدَّاس الإلهي في هذا
اليوم، ولا يُقول الكاهن في القُدَّاس "أولئك يارب الذي أخذت نفوسهم
نُحِهم في فردوس النعيم ... الخ". ناهيك عن عدم ترديد للهِتَنِيَّاتِ،
وهي العنصر الأكثر حداثة بين كافة العناصر الليتورجية السابق ذكرها.

ومن ثمَّ فإنَّ وجود أوشية الرَّاقدِين ضمن هذه الأواشي التي تُقال في
صلوات اللقَّان، هو ما يُوَكِّد أنَّ هذه الأواشي هي إضافة طقسية غير حاذقة،
وخارجة عن التَّقْلِيدِ القَدِيمِ الذي ساد في طقوس صلوات هذا اليوم المقدَّس.

ولكن يبقى سؤال ذو شقين؛ لماذا لا نُصَلِّي عن الرَّاقدِين في خدمة
هذا اليوم؟ وماذا إذاً بخصوص الأواشي التي تُقال في قُدَّاس الإِفخارِسْتِيَا
لهذا اليوم؟
هذا سؤال سأرجئ الإجابة عليه للفصل التالي مباشرة.

ومن أهم الملامح الطَّقْسِيَّةِ في خدمة هذا اليوم أيضاً، أنه - بحسب
الطقس القديم - أنه لا تُقال أوشية القرايين. وأُعرفُ مسبقاً استغراب
القارئ ممَّا قرأه للتو، ولكنَّه هو تقليد الكنيسة المحفوظ فيها بقانون كنسي
للبابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)، في منتصف القرن الحادي عشر
الميلادي، وهو البطريرك رقم (٦٦) من بطاركة الكنيسة القبطية، وهو ما
سأشرحه أيضاً في الفصل التالي مباشرة.

والخلاصة هي أن هذه الأواشي قد أضافتها جهة من الجهات فيما
بعد القرن الثالث عشر الميلادي، حيث وجدت طريقها إلى المخطوطات،
وصارت تُنسخ من ناسخ إلى آخر، حتى انتقلت إلى كُتُب الطَّقْسِ المطبوعة.

ولكنّها ليست من التّفليد الطّقسي القديم في خدمة هذا اليوم المقدّس.

ولتأكيد نهائي لما سبق ذكره، فإنّ "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، لم يذكر عنها شيئاً، ويتّفق معه في ذلك "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)". أمّا "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)" فقد أوردّها.

الطلّبة

وهي ست عشرة طلّبة تُختتم كلُّ منها بعبارة: "نطلب إليك (أو نسألك) أيّها المسيح إلهنا، اسمعنا وارحمنا"، حيث يجب الشعب عقب كلُّ طلّبة منها "يارب ارحم".

وتبدأ هذه الطلّبات بقول الكاهن: "يا من اشتد بمنديل كعبد^(٢٢٩) وستر عُري آدم، وأنعم علينا بلباس البُنوة الإلهية ...".

وفيها يقول الكاهن:

- يا مَنْ مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ لِلبَشَرِ صَارَ إِنْسَانًا، وَمَحَبَّتِهِ لَنَا اشْتَدَّ بِمَنْدِيلٍ وَغَسَلَ أَدْناسَ خَطايانا.

- يا مَنْ أَعَدَّ لَنَا طَرِيقَ الحَيَاةِ بِوِاسِطَةِ غَسْلِ أَرْجُلِ رِسلِهِ المِخْتارينِ الأَطْهارِ.

- أيّها المسيح إلهنا، يا مَنْ ... بِمَحَبَّتِهِ لِلبَشَرِ غَسَلَ أَرْجُلِ تلاميذه.

٢٢٩- لقد سقطت كلمة "كعبد" من كتاب اللّقان والسّجدة المطبوع بمطرائيّة بني سويف سنة ١٩٩٠م برغم ورود الكلمة في النّص القبطي لنفس الكتاب. وهي كلمة ذات أهميّة بالغة في شرح معنى ما فعله المسيح له المجد في هذا اليوم. وهي تفسّر قول بولس الرّسول عن المسيح «آخذًا صورة عبد ... الخ».

- يا من التحف بالثور كثوب، واشتدَّ بمئزر وغسل أرجل تلاميذه،
ومسحها ... الخ.

حيث تتابع الطلبات بعد ذلك طلب الرحمة، واصفة السيّد المسيح بأنه "رازق المواهب الإلهية، الذي يعول الكُل ويقوّمهم، الذي جمع المياه إلى مجمع واحد، الذي كال الماء بيده وقاس السّماء بشبره والأرض كلّها بقبضته، الذي صيّر ينابيع الأودية أنهاراً بإرادته المقدّسة، الذي أعدّ كلّ شيء لخدمة البشر محبّته لهم، المعطي الحق وعظّم الغنى، إله الرحمة". ولقد وُصف السيّد المسيح في هذه الطلبات بأنه "الضّابط الكُل". وهذا يذكرنا بأيقونة المسيح البانطوكراتور - أي الضّابط الكُل - التي توضع في شرقية الهيكل في الكنيسة، أو في القبة الرئيسيّة في صحن الكنيسة.

وتنتهي هذه الطلّبة بطلب شفاعاة وصلوات العذراء الطاهرة مريم، وهذا أمرٌ طبيعي. أمّا أن تتطرق إلى طلب صلوات القديّس يوحنا المعمدان، وكافة آبائنا الرُّسل، فأظنّها إضافة من أحد التُّساخ في إحدى المخطوطات، حيث انتقلت هذه الإضافة بدورها إلى كثير من المخطوطات الأخرى. وإن بحثاً دقيقاً في الأصول الأولى لهذه الطلّبة الهامة، وأقدم مخطوطات أوردت نصّها، ربما يقودنا إلى التأكّد ممّا سبق قوله للتو (٢٣٠).

وجدير بالذكر هنا، أنه لدينا منذ القرن السابع الميلادي في تاريخ البابا يوحنا الثالث (٦٨٠ - ٦٨٩ م) إشارة إلى خدمة لقان خميس العهد. فعندما أُطلق سراحه من الحبس بواسطة عبد العزيز في يوم خميس العهد،

٢٣٠- جدّير بالذكر أنّ هذه الطلّبة عينها تُقال في لقان عيد الرُّسل، حيث نُقلت بكاملها من لقان خميس العهد.

اصطحبه الشعب بالتَّرتيل والغناء حتى دخل إلى البيعة، وصلى على القصرية، وغسل أرجل الشعب، ثمَّ قدَّس (٢٣١). وتعدُّ هذه الإشارة من أقدم الإشارات الطَّقسية في الكنيسة القبطية عن لقان خميس العهد.

مقدمة عن قُدَّاس اللقَّان

قُدَّاس اللقَّان يُسمَّى أيضاً قُدَّاس الماء. ولقد أولت الكنيسة القبطية لهذا القُدَّاس أهميةً قصوى، فكلُّ التَّعليمات الطَّقسية والقوانين الكنسية تصبُّ في هذا الاتجاه عينه. فالذي يخدم قُدَّاس اللقَّان هو كبير الكهنة، حيث يوكل للكهنة الذي يليه في التَّرتيب خدمة قُدَّاس الإفخارستيا.

فيذكر القانون السَّابع ضمن مجموعة العشرة قوانين، للبابا غبريال الثاني بن ثريك (١١٣١-١١٤٥م) ما يلي:

”قُدَّاسات الأعياد تكون للكهنة في كلِّ كنيسة على ما يأتي ذكره: للقس الكبير وللأرشيدياكون الكبير بكلِّ كنيسة، يكون لهم القُدَّاسات المبيَّنة وهي: الميلاد، الغطاس، الشَّعانين، يوم الخميس على الماء، عيد الفصح، ثالث (يوم) العيد، عيد الأربعين (أي عيد الصعود)، يوم الخمسين، يوم عيد التلاميذ على الماء.

والثَّاني في الطَّقس: (له) ليلة الميلاد (٢٣٢)، إلا في كنيسة أبي سرجه فإنها للأرشيدياكون، ثاني (يوم) الميلاد، ليلة الغطاس (٢٣٣)، ثاني (يوم) الغطاس،

231- Burmester, O.H.E., *The Two Services of The Coptic Church Attributed to Peter, Bishop of Behnasa, ...*, p. 20.

Cf. also, *Patrologia Orientalis* (PO), tom. 5, fasc. 1, p. 271.

٢٣٢- أي برمون الميلاد The Eve of Christmas

٢٣٣- أي برمون الغطاس The Eve of Epiphany

الخميس الكبير "القُدَّاس"، يوم الاثنين ثاني (يوم) الفصح، عيد التلاميذ "القُدَّاس"، السَّبْت الكبير، ثالث (يوم) الميلاد، ثالث (يوم) الغطاس.

وهو نفس ما تذكره القوانين الكنسيَّة التي وُضعت في زمن البابا كيرلس الثالث بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م)، وهي قوانين في غاية الأهميَّة لسبب أنَّها قوانين مجمع أساقفة الكنيسة القبطيَّة في هذا الوقت، وقد دوَّنوها كتابة، بمساعدة الصَّفي ابن العسال، لتقنين تقليد كنسي امتد من جيل إلى جيل حتى وصل إلى زمانهم^(٢٣٤). وتقول هذه القوانين:

"الأعياد الكبار المخصوصة لكبار القسوس وكبار الشمامسة اثنا عشر عيداً: البشارة في برمها، الميلاد، الغطاس، الشَّعَّانين، قُدَّاس الماء يوم الخميس الكبير ... الأعياد المخصوصة بالثاني في الطَّقْس خمسة أعياد: ليلة الميلاد المقدَّس، ليلة الغطاس وهو البرموني، قُدَّاس سبت لعازر، قُدَّاس الخميس الكبير داخل (الهيكل) ... الخ".

وهو نفس ما يذكره ابن سباع في القرن الثالث عشر، فيقول:

"يتقدَّم كبير الكهنة إلى اللقَّان ويقرأ ما تضمَّنه كتاب البصَّحة على اللقَّان بترتيبها على العادة. وعند نهاية القُدَّاس الذي على اللقَّان، يتقدَّم كبير الكهنة، ويغسل أرجل الشَّعب واحداً واحداً، ووسطه مشدود بمنديل كشبه المسيح له المجد ... وبعد ذلك الكاهن الذي دونه يقَدِّم خدمة

٢٣٤- نقرأ في مستهلها ما يلي: "الطَّقوس المرتبة على العادة الجارية في البيعة القبطيَّة يعقوبية المؤلف العمل بها والاعتماد عليها، التي جازت عليها الأزمنة (وهي قائمة) منذ وقت الأئمة الهادين النيرين، وحسن استقرارها في البيعة القبطيَّة بالديار المصريَّة، التي يتصرَّف فيها كهنتها بترتيب، (و) يتداولونها خلف عن سلف. والواجب استعمالها فيما يأتي من الزَّمان، ليقف كل واحد من الكهنة والشمامسة عند الحد المرسوم له".

القُدَّاسُ الَّذِي لِلْعِشَاءِ السَّرِيِّ“ (٢٣٥).

وهذا يريك قارئ العزيز الأهميَّة الطَّقْسِيَّة لِقُدَّاسِ الْمَاءِ، فهل بعد ذلك نقدر ألا نعدّه سرّاً من أسرار الكنيسة؟. إنَّ نصوص الصَّلوات نفسها تجيب على هذا التَّساؤل، إذا لم يجب عليه تقليد الكنيسة وقوانينها.

وجدير بالذكر هنا أنَّ كلَّ قَدَّاسَات اللقَّانات موجَّهة للابن، سواء هنا في خميس العهد، أو في عيد الغطاس، أو في عيد الرُّسل.

هل يصلح أن يُقال أسبسموس آدام في قُدَّاسِ الْمَاءِ؟

الأمر البديهي هنا هو أنه بإلغاء نداء الشَّمَّاس ”قَبَلُوا بعضكم بعضاً“ - إذ لا وجود للقُبلة في خدمة هذا اليوم - فإنَّ الأمر الطَّبِيعِي أَلَّا يوجَد أيضاً أسبسموس آدام، لأنَّ الأسبسموس الآدام مرتبطٌ حتماً بندااء الشَّمَّاس بالقُبلة المقدَّسة.

ولكن ”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالذَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م“، ومعها المخطوطات الأخرى قيد الدِّراسة، قد أوردت أسبسموس آدام نصُّه-هو: ”أفرحوا وتهلَّلوا يا جنس البشر، لأنَّه هكذا أحبَّ اللهُ العالم، حتى بذل ابنه الحبيب عن المؤمنين به لكي يحيوا إلى الأبد. لكي نسبِّحك ... قدوسٌ قدوسٌ ...“.

ولم يكتف كتاب اللقَّان والسَّجدة المطبوع سنة ١٩٢١م، بهذا التَّراجع عن التَّقْلِيد القديم، فاستبدل - عن غير حدق ليتورجي - هذا الأسبسموس المذكور بأخر بدايته هي: ”أباؤنا الرُّسل كرزوا في الأمم

بإنجيل يسوع المسيح ... الخ“.

وهكذا يتّضح لنا مرّةً أخرى أنّ التّقليد العام الذي يسود صلوات هذا اليوم، والذي يخلو من أيّ تذكارات للقديسين، غائبٌ في كثير من مخطوطاتنا. ومن ثمّ تأتي بعض النُّصوص الليتورجيّة بعيدة عن الخط الرّئيسي الذي تجري فيه كلّ صلوات هذا اليوم المقدّس، وهو الانحسار التّام فيما فعله المسيح له المجد من أجلنا.

وإن الطّقس الصّحيح تماشياً مع التّقليد العام لخدمة هذا اليوم، هو ترديد الشّعب للمرد ”رحمة السّلام، ذبيحة التّسبيح“ مباشرة، بعد نداء الشّمّاس: ”قفوا بخوف وإلى الشّرق انظروا“. فمرد الشّعب هذا هو المرد الأصلي والقديم، الذي تبدأ به الليتورجيّة المقدّسة في الكنيسة القبطيّة.

ولكن ما نمارسه الآن هو نداء الشّمّاس ”تقدّموا على الرّسم، قفوا بخوف وإلى الشّرق انظروا“ فيقول الشّعب: بشفاعات والدة الإله القديسة مريم ... الخ، وهو جزء من أسبسموس آدام أورده القمّص عبد المسيح المسعودي البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م تحت عنوان: ”أسبسموس آخر“. وهو أسبسموس طويل يبدأ بعبارة: ”أيها المسيح مخلصنا، اجعلنا أهلاً لسلامك المقدّس في السّموات ... بشفاعات والدة الإله القديسة مريم يارب أنعم لنا بغفران خطايانا. بشفاعات الأربعة حيوانات غير المتجسّدين والأربعة والعشرين قسيساً يارب أنعم لنا بغفران خطايانا. بشفاعات سبعة رؤساء الملائكة وجميع الطّغمت السّمائيّة يارب أنعم لنا بغفران خطايانا ... الخ(٢٣٦) نسجد لك

٢٣٦- وهنا أضاف بقوله: ”ثمّ يقولون لآبائنا الرّسل وما يختارون من الشّهداء والقديسين والبطاركة“.

أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا.

فهذا الأسبسموس الطويل السابق ذكره اختُصر اليوم ليختص بالسيّدة العذراء فحسب، وصار مرداً ثابتاً في الليتورجيا، يُقال حتى لو قيل أي أسبسموس آخر. ولكن الطقس الصحيح هو عدم ترديد أي أسبسموس طالما توقّف نداء الشَّماس بالقبلة المقدسة.

في قُدّاس الماء

وفي أثناء قُدّاس اللقّان وعندما يقول الشّعب مرد "الشّارويم يسجدون لك، والسّيّرافيم يمجّدونك ... " يرشم الكاهن الماء بالصّليب ثلاثة رشومات، وفي كل رشم يقول "أجيوس".

وفي هذا القُدّاس يقول الكاهن مخاطباً السيّد المسيح: "وضعت لنا هذا المثال، إذ قُمتَ عن العشاء، وأخذتَ منديلاً واشتدّت به، وصببت ماءً في مغسل، وابتدأتَ تغسل أرجل تلاميذك، وتمسحها بالمنديل الذي كنتَ مؤتزراً به، وأعطيتهم رسم المحبة وترتيب التواضع وتذكّار محبتك للبشر ... وأصلحتنا مع أبيك من جهة غسل أرجل تلاميذك ... من أجل هذا نسأل ونطلب منك يا ربّنا يسوع المسيح، اجعلنا مستحقّين، وحل في وسطنا الآن، كما كنتَ مع تلاميذك الرُّسل القديسين".

ثم يرشم الكاهن الماء بالصّليب ويقول:

وكما باركتَ في ذلك الزّمان، بارك الآن آمين. ويجب الشّعب في كلِّ مرّة "آمين". وهنا يُعدّد الكاهن الغرض الأساسي الذي من أجله أقيم هذا السرّ المقدّس، حيث يطلب حلول الروح القدس على المصلّين وعلى الماء. وهنا يتّضح أماننا من هذا الاستدعاء الذي يصلّيه الكاهن أنّنا أمام سرّ

مقدّس، وحلولٍ حقيقي للروح القدس، كأى سرٍّ من أسرار الكنيسة.

وفي هذا القدّاس يقول الكاهن:

- طهّر هذا الماء، ليكون ماء الشّفاء. آمين.
- ماءً مقدّساً. آمين.
- ماءً لغفران الخطايا. آمين.
- ماء الطّهارة. آمين.
- خلاصاً وصحّة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا. آمين.
- موهبة طاهرة. آمين.
- محبة لبعضنا البعض وحواساً نقيّة. آمين.
- ...

- طهّر إنساننا الدّاخلي بثمره هذا السرّ. آمين.

- وأنعم لنا بغفران خطايانا بحلول روح القدس علينا، ليطهّر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا من كلّ دنس الجسد وكلّ نجاسة وكلّ خطيئة. آمين.

...

- نطلب إليك يا الله الحقيقي لكي تُرسل علينا، وعلى هذه المياه، روح القدس البارقليط جابل المياه ... طهّر هذا الماء بقوة روح قدسك ...

- لتهرّب من هذا الماء كلّ قوّة المضاد، بعلامة صليبك المقدّس، يا ربّنا يسوع المسيح.

وهنا يبارك الكاهن على الماء بالصّليب ويقول:

أظهره ماء الشّفاء. آمين. ماء الطّهارة. آمين. ماء مغفرة الخطايا.

أمين. ماء الخلاص. آمين ... الخ.
أبانا الذي في السموات ... الخ.

وإن تعبير "أظهر هذا الماء" يقابل تماماً ما نقوله في قدّاس القربان: "وهذا الخُبز يجعله جسداً مقدّساً له، وهذه الكأس (يجعلها) دماً كريماً للعهد الجديد الذي له". فالخُبز صار جسد المسيح الحقيقي، ولكنّه لم يتغيّر عن طبيعته كخُبز، والخمر صار دم المسيح الحقيقي، ولكنّه لم يتغيّر عن طبيعته كخمر. وهكذا الآن أيضاً، فالماء صار ماءً للشّفاء وللطّهارة ولغفران الخطايا، والخلاص، ولكنّه لم يتغيّر عن طبيعته كماء ساذج.

صلوات التحليل

سبق أن ذكرتُ في هذا الفصل أنّ هناك ثلاث صلوات تحليل للابن، التحليل الأوّل هو: "نعم يارب ... الخ"، والثاني هو: "أنت يارب ... الخ"، والثالث هو: "السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد ... الخ".

ففي لقان عيد الغطاس، ولقان عيد الرّسل، تُقال الثلاثة تحاليل السّابق ذكرها. وأمّا في لقان خميس العهد، فيُقال التحليلان الأوّل والثاني فقط، وأمّا التحليل الثالث فلا يُقال.

وهذه الملاحظة الطّقسيّة الدّقيقة، والتي احتفظ بها كتاب اللّقان والسّجدة، المطبوع سنة ١٩٢١م^(٢٣٧)، مع كافة المخطوطات قيد الدّراسة، قد سقطت من "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدّار البطريركيّة

٢٣٧- حيث يقول كتاب اللّقان والسّجدة (ص ١١٤): يقول الشّعب (أبانا الذي في السموات) ويقول الكاهن التحليل Це Псѣ و Нѣок Псѣ ولا يُقال Фннв Псѣ وبالانتهاء يصرخ الشّمّاس قائلاً: خلصتَ حقاً ومع روحك.

بالقاهرة لسنة ١٩١١م، ومن كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبع سنة ١٩٢٠م (٢٣٨).

ولأن هذا الأمر عينه يتكرر في قُدَّاس الإفخارستيا في خدمة هذا اليوم، ولكي لا أكرّر الكلام مرتين، فسأشرح هذه الجزئية الطقسية الهامة في الفصل التالي عند الحديث عن صلاة التحليل في قُدَّاس خميس العهد.

غسل الأرجل بالماء

يَتَّفَقُ كُلُّ من مخطوط ترتيب البيعة، ودلال جمعة الآلام، وكتاب اللقَّان والسَّجدة، على وجود طاسة إلى جانب اللقَّان، حيث تكون الطاسة برسم غسل الوجه واليدين.

أما الطَّقْس الذي تدور حوله كلُّ نصوص الصَّلوات في هذا اليوم، فهو غسل الرجلين، وليس الوجه واليدين. وهو ما تنص عليه الطلبة التي نقولها في صلاة اللقَّان: ”يا من أعدد لنا طريق الحياة، بواسطة غسل أرجل تلاميذه المختارين الأطهار ... الخ“. وتُكرَّر الطلبة ذلك الأمر بصيغ مختلفة ثلاث مرَّات.

وفي صلاة القُدَّاس يقول الكاهن: ”... وعلمتنا نحن أيضاً المحبَّة والوحدانية، وأصلحتنا مع أبيك، من جهة غسل أرجل تلاميذك، ونقاوة هذا المثال الحقيقي ... الخ“.

٢٣٨- حيث يقول دلال جمعة الآلام (ص ١١٤): ... ويكتمل خدمة القُدَّاس بحسبما هو مدوَّن في كتاب اللقَّان لغاية (أبانا الذي) ويقول الكاهن الثلاثة تحاليل وبعدها يقول الشمَّاس **Θωος ἁμην** ... الخ. فكيف يعتمد كتاب دلال جمعة الآلام على كتاب اللقَّان والسَّجدة، ثمَّ يخالف تعليماته الطقسية؟!.

وفي صلاة الشكر الأخيرة على اللقان، نقول: "نشكر ... لأنك جعلتنا مستحقين في هذه الساعة أن نكمل مثال قصريتك المقدسة، هذه التي قررها وعلمها لتلاميذه، أبناك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ... الخ".

ومن ثمّ فلستُ أعرف سبب غسل الوجه واليدين في طقس هذا اليوم، وهو ما يذكره ابن كبر (+ ١٣٢٤م). ومن قبله أيضاً المؤمن ابن العسال^(٢٣٩) الذي توفي في الربع الأخير من القرن الثالث عشر^(٢٤٠)، وذلك في كتابه "مجموع أصول الدين ومسموع علم اليقين" الذي وضعه ما بين سنة ١٢٦٣ و سنة ١٢٦٥م^(٢٤١).

٢٣٩- المؤمن ابن العسال هو على الأرجح أصغر أولاد العسال الأربعة، وقد عمل لبعض الوقت في قلاية البابا كيرلس الثالث بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م). ويذكر جورج جراف G. Graf أن المؤمن كان كاهناً على كنيسة العذراء المعروفة بالمعلقة بمصر القديمة. ويوافقه الراهب الأخ وديع الفرنسيكاني على هذا الرأي، حيث يستشهد بمقطع من رسالة الصفي إلى أخيه المؤمن يعزيه في وفاة زوجته، فيقول له: "... وبما عرض في زماننا هذا، من موت زوجات كثير من الكهنة، وأكثرهم شباب ... الخ". ويضيف بقوله: ولعل اهتمام المؤمن بالمؤلفات العقائدية والرعووية والطقسية، وكذلك ميله إلى الحياة الرهبانية بعد وفاة زوجته، يعزز الاعتقاد بأنه كان كاهناً. وإذا قبلنا صحة هذه المسألة يكون المؤمن واحداً، على الأرجح، من الكثيرين الذين رسمهم البطريرك كيرلس بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م).

الراهب الأخ وديع الفرنسيكاني، دراسة عن المؤمن ابن العسال، وكتابه "مجموع أصول الدين" وتحقيقه، مؤلفات المركز الفرنسيكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة - القدس ١٩٩٧م، ص ١٢٨، ١٢٩

٢٤٠- الراهب الأخ وديع الفرنسيكاني، دراسة عن المؤمن ابن العسال، مرجع سابق، ص ١٤٥

٢٤١- يتفق كل من الأب سمير خليل اليسوعي والراهب الأخ وديع الفرنسيكاني على هذا التااريخ المذكور.

وأظنُّ أنَّ هذه الممارسة نشأت أوَّل ما نشأت في كنيسة العذراء المعلقة بمصر القديمة، ومنها انتشرت في كتبنا الطَّقسيَّة.

لقد كان الأصل في هذا الطَّقس هو غسل الرَّجلين، كما يذكر ابن سباع الذي يقول: "يتقدَّم كبير الكهنة ويغسل أرجل الشَّعب واحداً واحداً، ووسطه مشدود بمنديل كشبه المسيح له المجد في تواضعه وتعليمه تلاميذه، ثمَّ ينشَفهم بالمنديل الذي هو مَتْرَب به".

ثمَّ يستجد على الطَّقس غسل الوجه واليدين، إلى جانب غسل الرَّجلين. فيقول ابن كبر: "ويغسل الكاهن أرجل الشَّعب، وأيديهم وجباههم". برغم قول السيِّد المسيح لبطرس الرُّسول صراحة: «الذي قد اغتسل (بالمعموديَّة) ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهرٌ كلُّه». أمَّا المخطوطات قيد الدِّراسة فتتكلَّم عن غسل الكاهن لأرجل الشَّعب.

إنَّ محور الطَّقس كلُّه يتلخَّص في عبارة: "وضع ربُّنا ثيابه، واشتدَّ بمنديل، وصبَّ ماءً في لقان، وغسل أرجل تلاميذه ... الخ". وهي بداية الإبصاليَّة التي تُقال في نهاية الصَّلوات، وقبل صلاة الشُّكر الأخيرة على اللقَّان. ولم يرد في نصوص صلوات هذا اليَوْم أيَّة إشارة إلى غسل الوجه واليدين إلى جانب الرَّجلين.

والممارسة الفعلية الآن في الكنيسة القبطية، هي أن يمسح الكاهن أرجل الرَّجال بماء اللقَّان بمثال الصَّليب. ومن أجل اللياقة، يرش على النِّساء من ماء اللقَّان، لكي لا يُحرمن من بركة خدمة هذا اليَوْم. وفي الكنيسة البيزنطية يرش الكاهن على الشَّعب من الرَّجال والنِّساء من ماء اللقَّان.

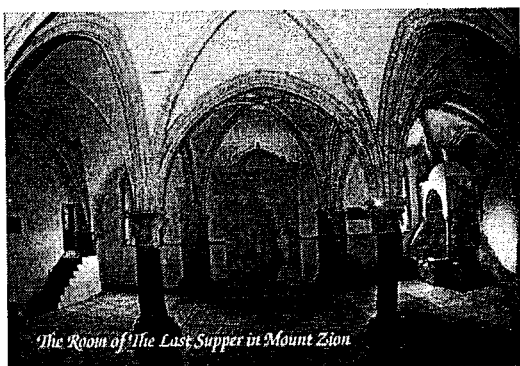
إبصاليّة و صلاة شكر في نهاية قُدّاس اللقّان

الإبصاليّة التي تُقال بعد انتهاء صلوات اللقّان وترتيل المزمور المائة والخمسين، هي ستّة أرباع بدايتها: ”وضع ربُّنا ثيابه، واشتد بمنديل، وصبّ ماءً في مغسل، وغسل أرجل تلاميذه ... الخ“. وهي تسرد في اختصار الحوار الذي دار بين يسوع وبطرس بخصوص غسل قدميه.

أمّا صلاة الشُّكر على اللقّان، فبدايتها: ”نشكرك أيها السيّد الخرب الإله ضابط الكلّ ... لأنك جعلتنا مستحقين في هذه السّاعة أن نكمّل مثال مغسلك المقدّس ... الخ“.

ملاحظة ختاميّة

أورد كتاب اللقّان والسّجدة المطبوع سنة ١٩٢١م قُدّاساً ثانياً مختصراً للابن يُقال على اللقّان أيضاً. وما يهمننا فيه العبارة التي تقول: ”... ثبّت خطواتنا بهذا السرّ، وأرشدنا إلى الانقضاء في داخل إرادتك الصّالحة ... الخ“.



حجرة العشاء الأخير على جبل صهيون

إطالة على طقس لقان خميس العهد في الكنيسة البيزنطية (٢٤٢)

يُقام تحت عال مُتسع، يوضع عليه كرسي كبير، وعلى جانبي الكرسي صفيّين من اثني عشر كرسيًا، ويوضع وسط التّخت على منضدة طست وإبريق ومنشفتان.

يقوم بالخدمة البطريرك مع اثني عشر أرشيمندريت لابسين الحُلل الكهنوتيّة، هذا في بطريركيّة القُدس، حيث تقام الخدمة في باحة كنيسة القيامة بعد القُداس الإلهي. أمّا في الإيبارشيات فتقام الخدمة من المتقدّم، واثني عشر شخصاً من الرّعيّة أو الإكليروس.

وفي الوَقْت المحدّد يُرتل المرتلون المزمور الخمسين «ارحميني يا الله كعظيم رحمتك...»، فيخرج المتقدّم مع التلاميذ من الباب الشّمالي للهيكل (باللباس الكامل) يسبقهم حملة الصُّلبان والمراوح، ويتّجهون نحو مدخل الكنيسة، فيقف المتقدّم في الوسط ووجهه نحو الشّرق، والتلاميذ بصفين، ستّة من كلّ جهة. فيأتي المبشّر بالإنجيل ويأخذ بركة المتقدّم، ويذهب ويقف في الكرسي الأسقفي، فيأتي حامل جرّة الماء ويأخذ بركة من المتقدّم، ويذهب فيقف بجانب التّخت المعد للغسل.

وبعد إتمام ترتيل المزمور الخمسين يبدأ المبشّر بقراءة الإنجيل الأوّل بصوت جهوري وبتلحين، أمّا المتقدّم فيقول بدون لحن مميّز، بل ككلام حوارى على المنوال التّالي:

٢٤٢- الأرشمندريت د. ميلاتيوس بصل (رئيس دير تجلي الرّب، وهو الرّئيس الرّوحي في رام الله واللواء)، كراس خدمة الغسل الشريف التي تقام يوم الخميس العظيم، ٢٠٠١م.

المبشّر: من أجل أن نكون مستحقين لسماع قراءة الإنجيل المقدس.

المتقدّم: السّلام لجميعكم.

المرتل: ولروحك أيضاً.

المبشّر: فصل شريف من بشارة القديس متى البشير والتلميذ الطاهر.

المرتل: المجد لك يارب، المجد لك.

المبشّر: لنصغ^(٢٤٣). في ذلك الزّمان دعا يسوع تلاميذه الاثني عشر

وقال لهم.

المتقدّم: أنتم تعلمون أنّه بعد يومين يكون الفصح، وإنّ ابن الإنسان

يُسلّم ليُصلب.

المبشّر: وجاء عيد الفطر الذي كان يجب أن يُذبح فيه الفصح،

فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً لهما:

المتقدّم: اذهبا وأعدّنا لنا الفصح لتأكل.

المبشّر: فقالا له.

بطرس ويوحنا: يارب أين تريد أن نعدّ لك لتأكل الفصح؟

المبشّر: فقال لهما: (هنا يتقدّم المتمثّلان بيترس ويوحنا ويقفا أمام

المتقدّم).

المتقدّم: اذهبا إلى المدينة فيلقاكما رجلٌ حاملٌ جرّة ماء، فاتبعاه أينما

يدخل، فقولا لرب البيت إنّ المعلم يقول لك أين هو المكان الذي آكل

فيه الفصح مع تلاميذي؟ فهناك أعدا لنا.

الشّخصان المتمثّلان بيترس ويوحنا يذهبان نحو حامل جرّة الماء

الواقف بجانب التّحت ويقولوا له:

بطرس ويوحنا: المعلم يقول أين هو المكان الذي آكل فيه الفصح مع

تلاميذي؟

حامل جرّة الماء: هو ها هنا. ويشير بيده إلى التّخت، فيعود بطرس
يوحنا إلى المتقدّم، ويقول له:
بطرس ويوحنا: يارب كل شيء مُعد.

وبعد ذلك يتقدّم الجميع نحو التّخت، فيتقدّم حملة الصّليب
والمراوح، والمرثّمون يرتّلون الأوديّة الخامسة من قانون سحر الخميس
الكبير باللّحن السّادس، حتى وصول الموكب إلى التّخت. فيقف حملة
الصّلبان والمراوح على جانبي التّخت، ويصل المتقدّم إلى الدّرجة
الأولى، فينتهي المرثّل من التّرتيل.

وعندما يصل الموكب إلى التّخت المُعد، يقف عند الدّرجة الأولى
فيقول المبشّر: ولما جاءت السّاعة اتكأ هو والرّسل الاثني عشر معه.
فيصعد المتقدّم أولاً ويجلس على الكرسي الكبير، وكذلك الرّسل
اثني اثنين، ويجنون رؤوسهم للمتقدّم، ويجلسون في مراكزهم، والمبشّر
يكرّر تنغيم الآية، إلى أن يتم هذا الإجراء.

يقول المبشّر: فقال لهم يسوع.
المتقدّم: كثيراً ما اشتهيتُ أن أكل هذا الفصح معكم، قبل أن أتأم.
فإني أقول لكم: إني لن أكل منه بعد، حتى يتم في ملكوت الله.

فيرثّل المرثّل إيديوميلاات الغسل

باللّحن الأوّل: أيها المسيح الإله، يا من انتزرت بمنديل، وغسلت
أرجل التلاميذ، أرخص دنس نفوسنا، ومنطقنا بالرّباط الرّوحي لنصنع
وصاياك ونسبح صلاحك.

اللّحن الثّاني: أيها المؤمنون، إذ نحن مزعمون أن نتمتّع بإحسان

عظيم، فلنبادر بورع إلى المطهرة المكرمة، ليس لنغسل دنس الجسد، بل لتقدس النفوس سرياً، لأن المسيح مخلصنا الذي ينظر إلى الأرض فيجعلها ترتعد، ينحني ويلمس أقداماً ترايبية، واهباً لنا أن نطأ بثقة كل قوة مضادة. فلنهتم له بشكر: يا من أظهرت لنا التواضع أفضل طريقة للارتفاع، مخلصنا أيها الصالح بما أنك محب للبشر.

وبعد اللحنين الثالث والثامن أيضاً، يقول الشماس طلبات سلامية.

وبعد طلبة يقولها المتقدم، يهتف المبشر بقراءة الإنجيل الثاني، وهو من بشارة القديس يوحنا البشير.
وعندما يقول المبشر: ... قام (يسوع) عن العشاء ونزع ثيابه، وأخذ منشفة وتحزّم بها.

هنا يقوم المتقدم عن كرسية، وينزع ملابسه، ويبقى بالإستيخارة والأكام والحزام، ويتحزّم بمنشفة ويضع المنشفة الأخرى على كتفه، وبينما المتقدم ينزع ثيابه، يعيد المبشر الآية باستمرار «فقام عن العشاء ونزع ثيابه وأخذ منشفة وتحزّم بها». وعندما ينتهي المتقدم من خلع ملابسه وتحزّمه بالمنشفة، يكمل المبشر الآية التالية: «ثم صب ماء في مغسل، وأخذ يغسل أرجل التلاميذ، وينشّفها بالمنشفة التي تحزّم بها».

فيأخذ المتقدم الإبريق بيده اليمنى، وينحني على ركبتيه، ويسكب الماء في الطست ثلاث مرّات على شكل صليب قائلاً سراً: على اسم الآب والابن والروح القدس. ويقف ويتّجه إلى التلاميذ، ويغسل أرجل كلّ الجالسين وينشّفها. والمبشر يكرّر الآية «وأخذ يغسل أرجل التلاميذ وينشّفها بالمنشفة التي تحزّم بها»، حتى يصل إلى آخر الجالسين (سمعان بطرس)، فيقول المبشر:

المبشّر: فجاء إلى سمعان بطرس فقال له هذا.
 بطرس يقف ويقول: أنت يارب تغسل قدمي؟
 المبشّر: أجاب يسوع وقال له.
 المتقدّم: إن الذي أعمله أنا، لا تعرفه أنت الآن. ولكنك ستعرفه
 فيما بعد.

المبشّر: فقال له بطرس ... الخ

فينحني المتقدّم، ويغسل رجلي بطرس مثل الباقيين، فيتلو المبشّر
 الإنجيل الثالث، وهو أيضاً من بشارة القديس يوحنا البشير.
 المبشّر: لنصغ. في ذلك الزمان، لما غسل يسوع أرجل التلاميذ،
 تناول ثيابه ورجع واتكأ وقال لهم:
 في أثناء ذلك، ينزع المتقدّم المنشفة عنه، ويلبس حُلته كاملة، بينما
 المبشّر يكرّر قوله «وتناول ثيابه»، ويعود المتقدّم ويجلس على كرسية.
 يكرّر المبشّر: رجع واتكأ وقال لهم.
 المتقدّم: أتعلمون ما صنعتُ بكم؟ ... الخ. حتى إلى قول الإنجيل:
 «قال يسوع هذا، وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان
 بستان، فدخله هو وتلاميذه».

فيتلو المبشّر حالاً الإنجيل الرابع، وهو من بشارة القديس متى البشير.
 وعند تلاوة المبشر آية «أخذ معه بطرس»، يقوم المتقدّم وينادي التلاميذ
 الثلاثة الأوّلين، وينزل عن التّخت، ويسرون هم وراءه. ثمّ يقول لهم
 على بعد قليل من التّخت.

المتقدّم. نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا معي.
 ويتقدّم المتقدّم قليلاً، ويركع، حين يقول المبشر: «وتقدّم قليلاً وخرّ
 على وجهه وصلى قائلاً» ... إلى قول المتقدّم

المتقدّم. ناموا الآن واستريحوا. ها قد اقتربت الساعة، وابن الإنسان
يُسَلِّم إلى أيدي الخطاة. قوموا نطلق. ها هوذا الذي يسلمني قد اقترب.
ويصعد المتقدّم حالاً إلى التّخت، فيأتي المبشّر إلى المتقدّم، ليُقبَّل
المتقدّم الإنجيل، ثمّ يلثم يمين المتقدّم، ويقف بجانبه.

فيقول المتقدّم طلبة:

أيها الرّب إلهنا، يا من بكثرة رحمتك أفرغت ذاتك، وأتخذت صورة
عبد. يا من في وقت آلامك الاختيارية الخلاصية المحيية، أهلت تلاميذك
الرّسل القديسين للعشاء معك، بعد ذلك ائترزت بمنديل، وغسلت أرجل
تلاميذك القديسين، معطياً إياهم بذلك قُدوة للتّواضع، ولحبّة بعضهم
البعض، قُلْتَ لهم: كما صنعتُ أنا بكم هكذا اصنعوا أنتم أيضاً ببعضكم
بعضاً. فأنت الآن أيضاً أيها السيّد احضر بيننا نحن عبيدك غير المستحقين،
المقتدين بمثالك، وأرحض كلّ أدناس نفوسنا وأوساخها، حتى إذا رُحضنا
من الغبار الملصق بنا من الزّلات، ومسحنا بعضنا بعضاً بمنديل المحبّة،
نستطيع أن نُرضيك كلّ أيام حياتنا، ونجد نعمة لديك. لأنك أنت الذي
تبارك وتقدّس كلّ الأشياء، أيها المسيح إلهنا، ولك نرسل المجد، مع أبيك
الذي لا بدء له، وروحك الكلّي قُدسه، الصّالح والمحبي، الآن وكلّ آن
وإلى دهر الدّاهرين.

المرتل: آمين.

ثمّ يُرتل المرثلون طروباً ريتين باللّحن السّادس: "أيها المسيح. إن
خدّامك إذ غسلوا أرجلهم، وتطهروا بمساهمتهم الآن في أسرارك الإلهية،
قد ارتقوا معك من صهيون إلى جبل الزيتون العظيم، مسبّحين إياك يا
محبّ البشر. لقد قُلْتَ: انظروا يا أحبائي لا تضطربوا. لأنّها قد اقتربت
الآن السّاعة التي أرفع فيها، وأقتل، بأيدي العادمي الشّرعية. وكلّكم

تتفرقون وتتركوني، ولكني سأجمعكم، لتكرزوا بي أنا المحب البشر.“

وفي أثناء ذلك ينزل المتقدم عن التخت، ويسبقه التلاميذ وحملة الصليبان والمراوح، ويدور دورة واحدة في الكنيسة، وهو يرش الشعب من ماء المغسل، ويدخل الجميع إلى الهيكل من الباب الجنوبي.



جانب من مدينة أورشليم



الرَّبُّ يَنْحَنِي لِيَغْسِلَ أَرْجُلَ عِبِيدِهِ!!
سِرٌّ عَظِيمٌ يَفُوقُ عَقُولَ الْبَشَرِ

الفصل الرَّابِع

طقس صلوات قُدَّاس خميس العهد

تمهيد

يصاحب قُدَّاسُ يوم خميس العهد عدَّة ملامح ليتورجية تميِّزه عن باقي قُدَّاسات السنَّة الليتورجية، ويشترك معه في بعض هذه الملامح، قُدَّاسُ سبت الفرح. لأنَّه من المعروف في الطُّقس القبطي، أنَّ الليتورجية القبطية للقُدَّاس الإلهي، لا ينالها أي تغيير في تسلسل سياقها مع تغيير المناسبة الكنسية، إذ يتشكَّل طقس المناسبة الكنسية في صلوات رفع البُخور، وفي قُدَّاس الكلمة، وفي نهاية الأنافورا فحسب. وهذا عكس الكنيسة الغربية التي تؤثرُ مناسباتها الكنسية على مضمون النصِّ الليتورجي للقُدَّاس الإلهي.

ذلك لأنَّ الاحتفال الطُّقسي القبطي بالمناسبة الكنسية، هو بالدرجة الأولى احتفالٌ شعبي بمشاركة كلِّ الشَّعب. إلَّا أنَّ قُدَّاس يوم الخميس الكبير في الكنيسة القبطية لا يخضع لهذه القاعدة، وذلك لسبب جوهرى أوجزه في الفقرات التالية، وأسهبُ في شرحه على مدى هذا الفصل.

فهناك ملاحظتان جوهريتان يلزم أن نضعهما نصب أعيننا دائماً، ونحن نمارس طقوس صلوات أسبوع البصخة المقدَّسة عموماً، ويومي الخميس والجمعة من البصخة المقدَّسة على وجه الخصوص.

الملاحظة الجوهرية الأولى

لقد درجنا على القول: إنه لا تقام الذبيحة الإلهية في ثلاثة أيام البصخة؛ الاثنين والثلاثاء والأربعاء، معللين سبب ذلك، بأنَّ حروف الفصح كان يُشترى في اليوم العاشر من نيسان، ويبقى تحت الحفظ ثلاثة

أيام. وهو ما تقول به كافة الكُتُب الطَّقْسِيَّة والكنسيَّة..

ولكن هذا القول تعوزه الدِّقَّة أو التَّصحيح، لأنَّه في الحقيقة لا تُقام الذَّبيحة الإلهيَّة أيضاً يوم الجمعة العظيمة. ولكن تعترضنا هنا ذبيحة يوم الخميس الكبير، فما هو الأمر إذاً بخصوصها؟.

المُفترَض، هو أنَّه من بعد انتهاء صلوات قُدَّاس أحد الشَّعائين، ودخول الكنيسة في معايشة حياة المسيح لحظة بلحظة في أسبوعه الأخير على الأرض، لا يمكن للكنيسة أن تقيم الذَّبيحة الإلهيَّة إلاَّ بعد اكتمال ذبيحة الصَّليب، أي بعد أن يقول الرَّبُّ على الصَّليب «قد أكمل»، ويُسَلِّم الرُّوح، ويُطَعَن في جنبه بالحربة، فيخرج من جنبه المطعون دَمٌ وماءٌ؛ ماءٌ معموديتنا، ودم تقديسنا وإفخارستيتنا.

فقبل أن يسيل دم الابن الوحيد على الصَّليب، خلاصاً وغفراناً لكلِّ العالم، لا نستطيع أن نقيم ذبيحة الإفخارستيا، والتي هي بعينها ذبيحة الصَّليب، والتي نقول عنها: إنها تعطينا خلاصاً وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لكلِّ المتناولين منها.

ولكن يعترضنا الحدث الجلل في يوم الخميس الكبير، والذي أسَّس فيه الرَّبُّ سرَّ العشاء الأخير، حينما قدم جسده لتلاميذه قائلاً لهم «خذوا كلوا، هذا هو جسدي الذي يُبدل عنكم. اصنعوا هذا لذكري» (مرقس ١٤: ٢٢، لوقا ٢٢: ١٩). وأيضاً حينما قال لهم: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسْفِك عنكم» (لوقا ٢٢: ٢٠). ومن ثمَّ فلا بد للكنيسة أن تقيم تذكُّار هذا الحدث العظيم بإقامة سرِّ الإفخارستيا. فكان حتماً أن تخضع طقوس هذا اليوم للموازنة الدَّقيقة غاية الدِّقَّة، بين ضرورة إقامة

الإفخارستيا في هذا اليوم، بحسب وصية الرب، وضرورة عدم إقامتها في ذات الوقت، لأنّ ذبيحة الصليب لم تتم بعد. ومن ثمّ، وُضعت طقوس صلوات هذا اليوم المقدّس، التي وزنت بين هذين المتضادّين، بميزان حسّاس غاية الحسّاسية.

الملاحظة الجوهرية الثانية

إنّ الهدف الأساسي والجوهري من الممارسات الطقسية التي تنفرد بها ليتورجية هذا اليوم المقدّس، هو إظهار العلاقة الكينية التي تربط بين ذبيحة العشاء الأخير، وذبيحة الصليب. فكلاهما ذبيحة واحدة لا يمكن فصل إحدهما عن الأخرى بأيّ حال من الأحوال، إذ لا يمكن أن تكتمل إحدهما بمعزل عن الأخرى. فالربّ حين قدّم لتلاميذه جسده مكسوراً، ودمه مسفوكاً، في يوم العشاء الأخير، فقد فعل ذلك من وراء الزّمن، على اعتبار أنّ ذبيحة الصليب حاضرة وماثلة أمامه، لأنّ أعمال الربّ الخلاصية التي عملها من أجل خلاصنا، هي أعمال إلهية، لا يمكن أن تقع تحت وطأة الزّمان أو المكان.

فإن كانت ذبيحة الصليب قد تمّت في مكان ما، خارج أسوار أورشليم، وفي زمان ما، ظهيرة يوم من الأيام، فهي في حقيقتها السريّة ذبيحة أزليّة أبدية. وهي حاضرة في أيّ مكان وفي أيّ زمان تُقام فيها ذبيحة الإفخارستيا. «افتدّيتم ... بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١ بطرس ١: ١٩، ٢٠). «كم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله» (عبرانيين ٩: ١٤). «دخل مرّة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً» (عبرانيين ٩: ١٢).

ففي كلِّ مرَّةٍ تقيم فيها الكنيسة ذبيحة الإفخارستيا، فهي تقيم بالفعل ذبيحة الصَّليب عينه، ليس بمعنى تكرار ذبيحة الصَّليب، بل بمعنى ديمومة فعلها الحي الدائم كلَّ حين، والممتد في الكنيسة إلى أبد الأبدين.

ومن ثمَّ فإنَّ كلَّ تأمُّلٍ أو تفسير لواحدة من الممارسات الطَّقسيَّة في ليتورجيَّة هذا اليوم - مهما كان هذا التأمُّل أو هذا التفسير - يتداعى أمام هذا الهدف الأساسي والجوهري الذي تحدمه الممارسات الطَّقسيَّة في هذا اليوم، وهو إظهار وحدة ذبيحة العشاء الأخير والصَّليب.

فذبيحة الإفخارستيا التي تقيمها الكنيسة في أيِّ وقت على مدى السَّنة الليتورجيَّة، تجمع فيها ذبيحة العشاء الأخير مع ذبيحة الصَّليب، في وحدة واحدة، لأهما ذبيحة واحدة. ولكننا الآن، وفي هذا الأسبوع الأخير، نعيش المسيح له المجد في أحداثه الأخيرة على الأرض، ساعة بساعة، بل لحظة بلحظة. ولأننا لازلنا نعيش أحداث يوم الخميس الكبير، لأنَّ ذبيحة المسيح على الصَّليب لم تتم بعد، إذ لم يأت يوم جمعة الصَّليب بعد، فمن ثمَّ فكان لابد لطقوس صلوات هذا اليوم العظيم أن تعالج أو توازن بين هذين المتضادَّين.

هذه نقطة جوهرية، يلزم أن يضعها القارئ أمام عينيه دائماً، وهو يتابع شرح طقوس صلوات هذا اليوم المقدَّس.

وتبقى ملاحظة أخيرة، قبل الحديث عمَّا تذكره مصادرنا الطَّقسيَّة، ومخطوطاتنا القبطية عن خدمة هذا اليوم. فكلُّها تتكلَّم عن طقس القرن الثالث عشر وما بعده. ولكن لدينا من قوانين لبطاركة الكنيسة القبطية، ما يُثبت أنَّ طقس منتصف القرن الحادي عشر وما قبله، كان هو الطَّقس

الأكثر دقة، قبل أن تستجد عليه بعض عناصر ليتورجية، دونها ناسخ، وتناقلها التأساخ عنه. وهو ما سأحاول توضيحه في هذا الفصل.

أولاً: ما يذكره ابن سباع عن قُدَّاس يوم الخميس الكبير

في الباب المائة وثلاثة نقرأ ما يلي: "... وبعد ذلك، الكاهن الذي دونه، يقدّم خدمة القُدَّاس التي للعشاء السري، من غير قراءة أسبسموس لأجل قبلة يهوذا، ولا ترحيم، لأجل أن الترحيم والتجنيز يُقدّم ذكره في يوم أحد الشعانين، حتى لا يشارك حُزن المسيح حُزن آخر معه، لأن الكتاب يقول عن المسيح: إنه بدأ يحزن ويكتب^(١). لأجل ذلك كان الأسبوع مُحزن، وألحانه مُحزنة ماثلة للحُزن الذي للمسيح، لأنه صام صُمنًا، وصلّى^(٢) صلينا، وحزن حُزنًا معه.

ثمَّ يستتم (يتمم) القُدَّاس على سياقه إلى نهايته، ويُقرَّب الشعب. وهو اليوم أول الشريعة"^(٣).

ثانياً: ما يذكره ابن كبر عن قُدَّاس يوم الخميس الكبير

"مخطوط أوبسالا"

"وعند تقدمه القُدَّاس، يُقرأ البولس بلحن العادة، ثمَّ يتبعه بلحن الحُزن. ومن النَّاس من يقرأه بلحن العادة كله، ومن النَّاس من يقرأه بلحن

١- حرفياً: ويكتب.

٢- حرفياً: وصلّا.

٣- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٣، ٣٣٤.

التَّجْنِيز كَلَهُ^(٤).

ولا يُقرأ قتاليقون، ولا إبركسيس، وقيل إنهما كانا يُقرءان في القديم. ووجدتُ في نسخة بسخة، أن فصل القتاليقون الذي كان يُقرأ في قُدَّس هذا اليوم، من رسالة بطرس الأولى، من الفصل الثالث، أوله: «فإن كان إنما تصيبكم المشقة من أجل خطاياكم، فتصبرون، فأني حمد لكم»، وآخره: «الرَّاعي المتعاهد لنفوسكم»^(٥).

وإنَّ الإبركسيس هو الذي يُقرأ باكر، ويُزاد فيه إلى قوله: «وأحصي مع الاثني عشر»^(٦) والأكثر يرون أن لا يُقرأ إلاَّ البولس لا غير^(٧).

ثمَّ تُقال الثلاث تقديسات، ويُطرح المزمور، ويُقرأ الإنجيل بلحن العادة السنوية، وهو الفصل الثاني والثلاثون^(٨) من بشارة متى.

٤- القراءة المذكورة هنا لفصل البولس هي القراءة القبطية، ولفصل البولس لحن يميِّزه في الأيام السنوية للسنة الليتورجية. كما أن له أيضاً لحناً جنازياً، ولحناً فرائجياً. وكانت كل فصول القراءات تُقال باللحن، وليس فصل الإنجيل وحده، كما اليوم.

وفصل البولس هو من ١ كورنثوس ١١: ٢٣-٢٦

٥- الفصل المذكور هنا هو ١ بطرس ٢: ٢٠-٢٥

٦- القراءة المشار إليها هي أعمال ١٥: ١-٢٦

٧- هنا يتَّضح أن ابن كبر (+ ١٣٢٤م) ينقل إلينا مختلف الطقوس التي كانت في أيامه، وهو في حد ذاته شيء مهم، ولكنَّه في كثير من الحالات، لا يبحث ماذا كانت عليه الطقوس القديمة قبل أيامه، وقد عاش قريباً من هذا القديم.

والملاحظة الأساسية هنا، هي في قوله عن فصل الإبركسيس: "والأكثر يرون أن لا يُقرأ إلاَّ البولس لا غير". وهذا يريك الوقت التقريبي الذي فيه بدأ فصل الإبركسيس في باكر، ينتشر بين الكنائس.

٨- بحسب التَّرقيم القبطي للإنجيل. وهو يقابل متى ٢٠: ٢٦-٣٠

ولا يُقبَل الإنجيل في هذا اليوم، لأجل قُبلة يودس. ولا تُقال أوْشِيَّة الصِّلح التي هي الأسبسموس. ولا يُقبَل الشعب بعضهم بعضاً، لأجل قُبلة يودس^(٩). وتُقال الأمان كاملة^(١٠).

ولا يُقال الترحيم، وهو إنه إذا قال الكاهن **Αριφμετι Πος ἠνη** يقول الشعب **Ἐταῖνι νακ ἐδοτη ἠηαιδωρον νεμ ηη εταῖ(ενοῦ)**^(١١) **Ἐσπεριν**^(١٢) يلحق بآخرها **ἑινα νεμ ἕεν**^(١٣).

ويُكَمَّل القُدَّاس. ويُقَرَّب الشعب. ولا يُقال مزمور ١٥٠. ولا تسريح، بل فصل من نبوة إشعيا النبي^(١٤)، وفصل من المزمور^(١٥)، وفصل من إنجيل يوحنا^(١٦) بلحن التجنيز، وهو ٣٢ منه^(١٧).

٩- وهو نفس ما يقول به ابن سباع في كتابه "الجوهرة النفيسة ..."، والمؤمن بن العسال في كتابه "مجموع أصول الدين ...".

انظر: الرَّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٣٠٩.
١٠- تذكر مخطوطات ترتيب البيعة، ومعها كافة المخطوطات الأخرى قيد الدراسة، أن الأمانة - أي ترديد قانون الإيمان - لا يُقال كاملاً، في خدمة هذا اليوم. وهو نفس ما يذكره كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، حيث تُترك عبارة "وَصَلَبَ عَنَّا ... الذي ليس للملكة انتضاء"، ممَّا يتَّضح معه أننا إزاء ممارستين، كانتا معروفتين بخصوص ترديد قانون الإيمان في هذا الأسبوع المقدس.

١١- أي: اذكر يا رب الذين قدّموا لك هذه القرايين، والذين قدّمت ...

١٢- أي: كما كان ... الخ.

١٣- أي: لكي ما بهذا ...

١٤- وهي إشعيا ١٣:٥٢-١٣:٥٣

١٥- المزمور هو ١٧:٥٠، ١٨

١٦- يوحنا ١٣:٢١-٣٠

١٧- بحسب الترقيم القبطي.

وفي السَّاعة الأولى من ليلة الجمعة، تُقرأ فصول البارقليط، من بشارة يوحنا، وعدَّتْها أربعة، وهي للقسوس بحسب مراتبهم، والشَّمَامسة يتلوها فيه. وفي بقيَّة الصَّلوات، في اللَّيلة المذكورة، تُقرأ في كلِّ صلاة أربعة فصول من الأناجيل المقدَّسة، فصلٌ من كلِّ بشارة، ليكون بعضها شاهداً لبعض.

ثالثاً: ما يذكره "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)"

تحت عنوان "ترتيب خدمة القُدَّاس" يقول المخطوط المذكور:

"يستعد الكاهن بالأواشي سراً، والشَّعب سكوت. وعند انتهاء الأواشي يلتفت يأخذ القُربان والخمر، ويغسل يديه، ويدور هو والشَّمَّاس بالقربان والخمر، والشَّعب سكوت. ثمَّ يرشم القُربان والخمر، ثمَّ يصب الشَّمَّاس الخمر في الكأس كالعادة وهو يقول (١٨) **Ις πατηρ ἁγιος**، يجاوبه الشَّعب (١٩) **Δοξα πατρι**. يقول الكاهن أوشية الشُّكر، ويتلوها (٢٠) **Φη Πος Ιης Πχς Πιωηρι** والشَّعب سكوت.

ثمَّ ينزل من الهيكل، يقرأ أوشية التَّحليل وهي **Νεκένιακ**. وفي الآخر يقول الشَّعب **Γενοτωωτ**. ثمَّ يُقال البولس قبطياً وعريباً. وبعد ذلك أجيوس الثلاثة دمج، وأوشية الإنجيل، والمزمور، والإنجيل سنوي كالعادة، ومرد الإنجيل بطريقة الدُّكصولوجية **Πισωια νει**

١٨- أي: "واحد هو الآب القدوس".

١٩- أي: "المجد للآب والابن والروح القدس ... الخ".

٢٠- أي: "الله الرَّب يسوع المسيح، الشُّريك ... الخ". وهي الصَّلَاة السَّريَّة التي يقولها الكاهن بعد صلاة الشُّكر، والتي بدايتها: "أيها السيِّد الرَّب يسوع المسيح، الشُّريك الذَّاتي، وكلمة الآب غير الدُّنس ... الخ".

.. πῖσνοϋ ἤτακ : πε πῶω ἐβολ ἤτε νεννοῦβι ... (٢١)

Φ† ثم يتدئ بخدمة القدّاس، ولا تُقال أو شية الصلح التي هي
 Πρωικ (٢٢) ويُقال بالنّاقوس قبل إبروسفارين
 ἤτε πῶωδ ... (٢٣) ثم يتدئ بالقدّاس كالعادة من عند قراءة
 إبروسفارين إلى عند Δριφμενὶ Πο̅ ... (٢٤) يجابو الشمّاس
 Προσευζασθε ἕπερ των ἀγιων ... (٢٥) يصرخ الشعب
 Ὠσπερ η̅η (٢٦) . من هاهنا يكملّ الخدمة كالعادة.

وبعد الخدمة، يقول القارئ المزمور، والإنجيل، والنّبوة المدوّنة في
 كتاب البصحة، وهي بالنسبة (كذا) مقام السّاعة الحادية عشرة.
 وينصرف الشعب بسلام، يفترون، ويحضرون عشية. ويكون القربان قبل
 غروب الشّمس.

تعقيبٌ على ما تذكره المخطوطات الأخرى قيد الدّراسة

تذكر المخطوطات الأخرى قيد الدّراسة، أنّهم يدخلون إلى الخوروس
 بعد فراغ اللّقان، ويتدئ الكاهن بالقدّاس جهراً لا سراً، ويُعلّون سبب
 ذلك (٢٧)، ثم يرفع الكاهن القرايين على المذبح كالعادة، ويقول صلاة

٢١- أي: "جسدك ودمك هما لغفران خطايانا ... الخ".

٢٢- أي: "يا الله العظيم الأبدي ... الخ".

٢٣- أي: "خبز الحياة الذي نزل إلينا من السّماء، وهب الحياة للعالم ...".

ويورد المخطوط النصّ القبطي فقط بالكامل.

٢٤- أي: "اذكر يارب الذين قدّموا لك هذه القرايين ...".

٢٥- أي: "صلّوا من أجل هذه القرايين المقدّسة ... الخ".

٢٦- أي: "كما كان هكذا يكون ... الخ".

٢٧- وهو ما سوف أشير إليه فيما بعد

الشُّكر، وأوشية التقدمة. ويغطي المذبح بالإبروسفارين.

وتتفق كلُّ المخطوطات على أنَّ الكاهن لا يقول تحليل الابن، بل يقول تحليل الخُدَّام: "عبيدك يارب خُدَّام هذا اليوم ... الخ".

وفي حين يذكر "مخطوط دلال بارس"، ومعه "مخطوط دلال لندن"، أنه لا تُقال "سوتيس آمين"، بل يُقال بعد ذلك: "نسجد لك أيها المسيح ... الخ". فقد اغفل "مخطوط دلال أبنا شنوده (ق ١٤)" ذكر المرء "سوتيس"، وهو نفس ما فعله "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)".

وتُكمِّل المخطوطات بالقول: يُقرأ البولس سنوي ملخَّص، ويطوف الكاهن البيعة بدون تقبيل. ويعود يُقرأ "يارب المعرفة ... الخ"، ثمَّ الثلاثة تقديسات، وأوشية الإنجيل، ويُطاف بالإنجيل في الهيكل، ولا يُقبَّله الكهنة. وبعد قراءة الإنجيل يُقال المرء: "جسدك ودمك هما لغفران خطايانا ... الخ". وأثناء مرء الإنجيل يقول الكاهن "أيها الطويل الأناة ... الخ". وبعدها سرُّ الحجاب، وهو ما لم يشر إليه "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)".

ويبدأ القُدَّاس بالثلاثة أواشي الكبار، ثمَّ الأمانة نظير ما قرئ في اللقَّان، ولا تُقال أوشية الصُّلح.

ويذكر "مخطوط دلال أبنا شنوده (ق ١٤)"، ومعه "مخطوط دلال لندن"، أنه لا يُقال أسبسموس، لأجل قُبلة يهوذا، ويعنيان به مرء الشمس: "قَبَلُوا بعضكم بعضاً ...".

وتتفق كلُّ المخطوطات قيد الدِّراسة، أنه يُقال أسبسموس

وبعده "بشفاعات والدة الإله... الخ" (٢٨). باستثناء "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)"، الذي يورد أسبسموس آخر.

ويقول الشمّاس: إبروسفارين ... الخ. ويكمّل القُدّاس إلى عند **Αριφμενι Ποσ** يقول الشمّاس: "صلّوا من أجل هذه القرابين ... الخ". ويكمّل القُدّاس إلى آخره. أمّا "مخطوط دلال المعلّقة (ق ١٦)"، ومعه باقي دلالات المعلّقة، فنذكر أنه لا يُقال التّرحيم. وتقول كلّ المخطوطات قيد الدّراسة أنه يقول الشّعب: "كما كان هكنا يكون ... الخ".

وفي حين يذكر "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)" أن التناول يكون قبل غروب الشّمس، يذكر "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"، ومعه دلالات المعلّقة، وأيضاً "مخطوط دلال لندن"، أن تناول القربان يكون إمّا وقت السّاعة التّاسعة، أو بعد الغروب، وذلك على ما ورد في الفصل الحادي والثلاثين من الدّسقوليّة، ما نصّه: وفي اليوم الذي قبل الجمعة، فليأكل الإنسان في السّاعة التّاسعة أو بالليل كما تصل إليه قدرته، حتى لا يكون له شركة مع اليهود في أكل الفصح وقت الغروب. فإن سيّدنا المسيح له المجد، عمل العشاء السّري مع تلاميذه مساءً، وقبل أن يكون ليل. وورد في إنجيل متى ... وفي مرقس ... ويوحنا قال ... وكلام المبشرين الثلاثة حجج، أنه اتكأ وقت المساء، ثمّ قام وغسل أرجل تلاميذه، ثمّ عاد واتكأ على العشاء، فدخل الليل ... وأن يهوذا الإسخريوطي لما تناول الخبز خرج للوقت، وكان خروجه ليلاً ... الخ.

٢٨- لاحظ التناقض هنا فيما تذكره المخطوطات، بين عدم ترديد الشمّاس للأسبسموس "قبّلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدّسة"، وبين ترديد الشّعب للأسبسموس.

ويذكر "مخطوط دلال باریس" أنه تُقرأ الثبوت إلى حين فراغ التوزيع، ولا يُقال التوزيع. وهو نفس ما يذكره "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"، الذي يقول: لا يُقال المزمور المائة والخمسون. وهو نفس ما يذكره "مخطوط دلال المعلقة (ق ١٦)"، ومعه باقي دلائل المعلقة، و"مخطوط دلال لندن".

ويذكر "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"، ومعه دلائل المعلقة، و"مخطوط دلال لندن"، أنه تُقال البركة من غير وضع يد، أي التَّسريح. ويصرف الشعب بسلام. وتذكر المخطوطات أن سبب قراءة البركة قبل انصراف الشعب، هو خروج يهوذا في هذه الليلة بعد العشاء بغير إذن، فلا يكون لنا تشبُّه به.

ما سبق ذكره، ملخَّص لما أوردته المخطوطات قيد الدِّراسة، ليكون القارئ على معرفة بما تحويه هذه المخطوطات من طقس لخدمة ليتورجية هذا اليوم المقدس، أمَّا السُّطور التالية فسنعود إلى شرح أكثر تفصيلاً.

رابعاً: نص ما يذكره "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م" عن ترتيب قُدَّاس خميس العهد، بالمقارنة مع كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م.

يقول المخطوط المذكور^(٢٩):

"... ثمَّ يبتدئ الكاهن بعد ذلك بخدمة القُدَّاس جهراً لا يكون سراً.

فإنّما لفظة العشاء السّري أي أنّه أظهر لهم السّر الخفي المكنون.
وقد وردت قطعة يوناني عند الإسكندرانيين تُقرأ على اللّقان (٣٠)
وهي هذه (٣١):

**Τοῦ Δείπνου σου τοῦ μυστικοῦ σημερον Ἰε Θεοῦ
κοινωνον με παράλαβε...**

وتفسيرها: "في عشائك السّري اليوم (٣٢) يا ابن الله اقبلني شريكاً،
لأنني لستُ مثل أعدائك أتكلّم سرّاً. ولستُ أعطيك قُبلة مثل يوداس، بل
مثل اللّص (٣٣) اعترف لك اذكرني يارب إذا جئت في ملكوتك" (٣٤).
ثمّ يقرأ الكاهن أو شبيّة الاستعداد وما بعدها. ويقدم القرايين. ولا

٣- أضاف كتاب الدّلال لسنة ١٩٢٠م (ص ١١٥) "في هذا النّهار".
٣١- النّص القبطي الوارد في المتن، هو نصّ مصحّح لفظياً ولغوياً. وقد ورد صحيحاً
في "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدّار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م"
باستثناءات طفيفة. أمّا كتاب الدّلال لسنة ١٩٢٠م فقد أورده هكذا (خطاً):

ΔΟΥΔΗ ΠΝΟΥΣΟΥ ΤΟΥ ΜΥΣΤΙΚΟΝ ΣΗΜΕΡΟΝ ΤΣ ΘΣ ...

وأما نصّه في لغته الأصليّة اليونانيّة فهو:

Τοῦ δείπνου σου τοῦ μυστικοῦ, σήμερον Ἰε Θεοῦ κοινωνόν με
παράλαβε ...

٣٢- سقطت كلمة "اليوم" من كتاب الدّلال المطبوع سنة ١٩٢٠م.
٣٣- هنا أضاف كتاب الدّلال لسنة ١٩٢٠م "اليمين أو من و".
وهي إضافة غير أصيلة إذ لم ترد في النّص الأصلي لهذه القطعة أو هذه الطرورباريّة،
وهي موجودة بنصّها في قدّاس القديس يوحنا ذهبي الفم في الكنيسة البيزنطيّة.
انظر: القدّاس الإلهي لأبينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم، منشورات النّور،
١٩٦١م، ص ٧٢
٣٤- سأشير إلى هذه القطعة عند الحديث عن التناول في يوم الخميس الكبير.

يُقال الليلويًا^(٣٥).

ويخدم كالعادة، ويُقرأ التَّحليل على الخُدَّام وهو **Μεκέβιακ** ولا يُقال تحليل الابن^(٣٧).

ولا تُقال ... **Γωθις**^(٣٨) بل يرفع الكاهن البُخور بأوشيتته، وهم يرتلون **Πεντοψυτ** بلحن البولس. ويُقرأ البولس دمج سنوي.

ويطوف الكاهن البيعة بالبُخور. ولا يُقبله أحد^(٣٩). ويعود سريعاً ويُقرأ السرُّ وهو **Πος ητε τζνωσις...**^(٤٠) ثم يفسِّر البولس عربياً.

ولا يُقرأ الكاثوليكون^(٤١). وأمَّا الإبركسيس فإنه قُرئ باكرًا.

وتُقال أجيوس دمجاً نظير باكر. ثم يقول الكاهن صلاة^(٤٢) الإنجيل ويُطرح المزمور، ويُرد بلحن القُدَّاس السنوي.

وإن كان الأب البطريرك^(٤٣) يخدم تُقال **Uapovbacv**^(٤٤)

٣٥- هذه العبارة وردت هكذا في كتاب الدَّلَّال لسنة ١٩٢٠م: "ثمَّ يقدم الكاهن الصَّعيدة كالعادة ولا يُقال **Δλ φαι πεπεροον**."

٣٦- وهو "تحليل الخُدَّام" وبدايته: "عبيدك يارب خُدَّام هذا اليوم ... الخ."

٣٧- لم يورد كتاب الدَّلَّال لسنة ١٩٢٠م هذه العبارة بكاملها. وسوف أشرح بعد قليل هذا اللبس الذي حدث في هذه الجزئية من القُدَّاس.

٣٨- أي: "خلصت".

٣٩- في المخطوط: "ولا يتقبل احداً منه".

ووردت في كتاب الدَّلَّال لسنة ١٩٢٠م: "ولا يقبل احداً لقبلة يهوذا".

٤٠- أي: "يارب المعرفة ... الخ".

٤١- في المخطوط: "قتالقون".

٤٢- أي أوشية الإنجيل. وقد سقطت كلمة "صلاة" من كتاب الدَّلَّال لسنة

١٩٢٠م.

٤٣- أضاف كتاب الدَّلَّال لسنة ١٩٢٠م: "أو المُطران أو الأسقف".

٤٤- أي: فليرفعوه في كنيسته شعبه ... الخ.

واسطائيتا^(٤٥). ويُقرأ الإنجيل دمج سنوي ويرد بلحن بيكاورنيداس^(٤٦) يقول:
يقول:

Πισωια νεμ πισνοϋ ἵτακ : πε πῶω ἐβολ ἵτε νεννοβι :
νεμ †διαθηνκ ἰβερι : ἕτακτικ ἵνεκμαθῆτης. ⁽⁴⁷⁾

Δνερεμῖπῶα ἰπιῶωην ἵτε πῶωδ... ⁽⁴⁸⁾

إلى آخره. يُقال ما يلائم إلى آخر **Χε ὑςμαρωοϋτ**... يقول
الكاهن في ضمن ذلك **Πιρεῶοϋῖνηητ**... وصلاة الحجاب^(٥١).

ويصعد إلى المذبح ويقول الثلاثة أوأشي الكبار. وتُقال الأمانة على ما
شُرِّح أولاً^(٥٢).

ولا يُقال أوشيّة الصُّلح لأجل قُبلة يهوذا. بل يُقال مرد أسبسـموس
Δρεμαςϥ αβνε θωλεβ... للعذراء **Ϥιτεν νιπρεβια**... ^(٥٣)

٤٥- أي: قفوا بخوف الله لنسمع الإنجيل المقدس. وهو مرد الشَّماس.

٤٦- أي المرء السنوي. وقد سبق أن شرحتُ معنى هذه الكلمة.

٤٧- أي: "جسدك ودمك هما لغفران خطايانا، والعهد الجديد الذي أعطيته لتلاميذك".

٤٨- أي: "فاستحققنا شجرة الحياة لتأكل منها، الذي هو جسد الله ودمه الحقيقي".
وقد أورد كتاب الدِّلال لسنة ١٩٢٠م هذا الرُّبُع كاملاً.

٤٩- أي: "مباركٌ...".

٥٠- أي: "أيها الطَّويل الأناة... الخ"، وهو سرّ الإنجيل.

٥١- أغفل كتاب الدِّلال لسنة ١٩٢٠م عبارة "إلى آخره... الحجاب".

٥٢- أغفل كتاب الدِّلال لسنة ١٩٢٠م عبارة: "على ما شُرِّح أولاً".

٥٣- أي: "ولدتَه بغير دنس، وأعطانا جسده ودمه الكريمين، فحينئذٍ إلى الأبد".
وهو الرُّبُع الأخير من القطعة الرَّابعة من ثيُوطوكيَّة الأحد.

٥٤- أي: "بشفاعات...".

وبعدَه تُقال ... **Πενοτωπυτ** ^(٥٥).

يقول الشمَّاس بروسفارين ^(٥٦).

ويتلو الكاهن القُدَّاس (على) سياقَه إلى عند قوله **Αριφμενι**
... **Πος ηνηετα τινι νακ εδουτη** ^(٥٧) إلى آخرها.

ولا يقول التَّرحيم بل يقول الشَّعب ... **Ωσπερ ηη** ^(٥٨) يقول
الكاهن **Ζινα νεμ ζεν φαι** ^(٥٩) ويكْمَل الخدْمَة كالعادة إلى نهايتها.

وفي وقت التَّنَاول لا يُقال ... **Σμοιη εΨτ** ^(٦٠) بل يقرأون التَّبَوَّات
المعروفة بهذا التَّهَار ويفسِّرونها ^(٦١). ويُقرأ المزمور الأدريري ويُقال **Κε**
... **ηππερ τοτ** ^(٦٢) ويقرأون الإنجيل بلحن التَّجْنيز كعادة البَصْحَة،
ويفسِّر عريباً. وعند انتهاء السَّرَائِر المقدَّسة، يقول الكاهن البركة، ولا

٥٥- أي: "نسجد ...".

٥٦- أي: "قدِّموا على الرَّسْم ...".

٥٧- أي: "اذكر يارب الذين قدِّموا لك هذه القرايين ... الخ". وهي أوْشِيَّة القرايين.

٥٨- أي مرد: "كما كان ...".

٥٩- أي: "لكي وبهذا ...". وهي العبارة التي يبدأها الكاهن اليَوْم بقوله:
"واهدنا إلى ملكوتك، لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء ...". أمَّا في الأصل فإن
عبارة "واهدنا إلى ملكوتك" تكون قبل مرد "كما كان ...". أي أمَّا تأتي في نهاية
الصَّلَاة السَّابِقة لهذا المرد، حيث يقول الكاهن: "... ونحن أيضاً الغرباء في هذا
المكان احفظنا في إيمانك وانعم علينا بسلامك إلى التَّمام. واهدنا إلى ملكوتك".
ولشرح أوفر عن هذه الجزئية يمكن الرجوع إلى كتاب "القُدَّاس الإلهي سرِّ
ملكوت الله" للمؤلف.

انظر أيضاً حولاجي سنة ١٩٠٢م ص ٣٨١

٦٠- أي: "سَبِّحوا الله ...". وهو المزمور المائة والخمسون.

٦١- في المخطوط: "بل يقرأوا التَّبَوَّات المعروفة بهذا التَّهَار ويفسِّروا".

٦٢- وهي مقدِّمة الإنجيل في أسبوع البَصْحَة المقدَّسة.

يعطي التسريح. وينصرف الشعب بسلام. ولربنا المجد دائماً إلى الأبد.
أمين.

وسبب قراءة البركة في هذه الليلة قبل انصراف الشعب لأن يهوذا خرج في هذه الليلة بعد العشاء بغير إذن. فلا يكون لنا به شبه. ويكون تناول القربان في هذا النهار في الساعة التاسعة أو بعد الغروب. وذلك على ما ورد في الفصل الحادي والثلاثين من الدسقولية^(٦٣)، وهذا نصه: وفي اليوم الذي قبل الجمعة فليأكل الإنسان في الساعة التاسعة أو بالليل كما تصل إليه القدرة. ولا يكون لنا شركة مع يهوذا. والسبح لله دائماً.“
(إلى هنا نص مخطوط ترتيب البيعة)

شرح لبعض العناصر الليتورجية المختصة بقُدَّاس خميس العهد

أولاً: عدم ترديد اللَّي القربان، ومردّه الذي يعقبه

تقول مخطوطات ترتيب البيعة، ومعها كل المخطوطات قيد الدراسة، وأيضاً كُتِب الطَّقْس المطبوعة، بعدم ترديد المرد ”هليلويا فاي بي“ أي: ”هذا هو اليوم الذي صنعه الرب ... الخ“. ولكن أي منها لم يشر إلى أية تعليمات طقسية بخصوص مرد كيريايسون المصاحب لتقديم الحَمَل كما نمارس اليوم. فماذا نفعل؟ هل نردّد مرد كيريايسون المصاحب لتقديم الحَمَل في الطَّقْس الحالي، أم لا نردّده؟.

لقد اعتادت معظم الكنائس ألا تُردّد مرد كيريايسون أثناء تقديم الحَمَل، في حين أننا نردّد هذا المرد عينه عشرات المرّات على مدار القُدَّاس الإلهي في نفس هذا اليوم. وتفادياً لهذا اللبس الذي حدث، فلا بد أن تظهر

٦٣- في المخطوط: ”الحادي والثلاثون من الديسقلية“.

تأملات تحاول رَأب الصَّدع الذي ظهر في هذه الجزئية من الطَّقْس!، فكان التَّعليل هو، أَنَّ الحَمَلَ يُقَدَّم في صمت كما قيل في سفر إشعياء النَّبِيِّ: ”كشاة سيق إلى الذَّبَح وكحمل صامت أمام الذي يَجْزِّه، هكذا لم يفتح فاه“. ولكن التَّعليل هنا جاء ضعيفاً للغاية، لأنَّ الذي صمت ولم يفتح فاه هو المسيح له المجد وليس نحن. بل لقد سيقَ المسيح إلى الذَّبَح وسط صيخات لا تكف من اليهود، اصلبه اصلبه، أليس أجدر بنا أن نطلب الرَّحمة لهم ولنا في هذا الوَقْت عينه؟.

هذا من الوجهة المرئية لطقس تقديم الحَمَل كما نمارسه حالياً. ولكن طقس تقديم الحَمَل بشكله الذي نراه عليه الآن - مع ترديد مرد كيرياليسون عدَّة مرَّات أثناء تقديمه - لم يكن هكذا حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وهو ما يذكره القمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) في كتاب الخولاجي الذي راجعه ونُشر في القاهرة سنة ١٩٠٢م. لأنَّ اختيار الحَمَل في الطَّقْس القديم كان بسيطاً كلَّ البساطة بلا رشومات كثيرة كما نمارس اليوم^(٦٤)، فلم يكن يتعدَّى انتقاء الكاهن لقربانة الحَمَل وهو يقول: ”امنحنا يارب أن تكون ذبيحتنا مقبولة أمامك عن خطاياي خاصة، وعن جهالات شعبك، لأنَّها طاهرة كموهبة روحك القدُّوس“، وبعد أن يضعها على المذبح، يغسل يديه، استعداداً لبدء دورة الحَمَل، وهو وقتٌ ضئيلٌ للغاية، لا يستوعب

٦٤- عن هذه الرُّشومات يقول القمُّص عبد المسيح البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) في خولاجي سنة ١٩٠٢م: ”... وقيل استيرائهما (أي استيراء الخبز والخمر) يرشمهما الكاهن ثلاثة رشوم (رشومات) حسب الجارِي الآن، ولكن هذه الرشوم (الرشومات) غير مذكورة في الخولاجيات. فلم ترها إلا في خولاجي واحد تاريخه سنة ١٥١٦ للشهداء/ ١٨٤٥ ميلادية“.

مرداً قائماً بذاته^(٦٥).

أمَّا مرد اللَّيِّ القُرْبَانِ - والذي كان يبدأ ترتيله في الطَّقس القديم مع بدء الكاهن بارتداء ثياب الخدمة، وفرش المذبح، ويستمر حتى انتهائه من اختيار الحَمَلِ، حيث يتوقَّف قبل بدء دورة الحَمَلِ حول المذبح - فقد أصبح هو نفسه مرداً اختياراً، بعد أن دخلت صلوات المزامير لتحل محلَّه، كتهيئة لتقديم الحَمَلِ. فصار من الممكن أن يُقال اللَّيِّ القُرْبَانِ إن تأخَّر الكاهن في دورة الحَمَلِ بعد انتهاء صلوات المزامير. وهنا لا ذكر لمرد كيرياليسون المعروف الآن، حتى بعد أن دخلت صلوات المزامير كتهيئة لبدء القُدَّاس الإلهي، وإهمال اللَّيِّ القُرْبَانِ، ذلك المرد الرَّاعِ الجمال.

هذا يشرح لنا ما تعنيه مخطوطات ترتيب البيعة التي تقول في هذه الجزئية من طقس خميس العهد أنَّه لا يُقال اللَّيِّ القُرْبَانِ الذي يسبق دورة الحَمَلِ، ولا مرد "هذا هو اليوم الذي صنعه الرَّبُّ ..." الذي يعقب دورة الحَمَلِ. وذلك لسبب بسيط للغاية هو أن إلغاء مرد "هذا هو اليوم الذي صنعه الرَّبُّ ... الخ" والذي ترجمته الكنيسة حين عيد القيامة، والذي تشير إليه كلمة "اليوم" في المرد المذكور، يلغي بالضرورة اللَّيِّ القُرْبَانِ الذي يسبقه، لأنَّ المرد بكامله هو: "اللَّيلويا، هذا هو اليوم الذي صنعه الرَّبُّ ... الخ".

٦٥- يقول القمُّص عبد المسيح البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) في خولاجي سنة ١٩٠٢م: "العادة جارية الآن أن تقدم الحَمَلِ يكون في أواخر صلاة المزامير. وإذا انتهت الصَّلَاة المذكورة يدور الكاهن بالحمل. وإن تأخَّر بالدُّورة فيقول الشَّعب اللَّيِّ القُرْبَانِ إلى أن يدور فيقولون $\Phi\alpha\iota\ \pi\epsilon\ \pi\acute{\iota}\epsilon\zeta\omicron\upsilon\tau$ ". وهنا يتَّضح لنا عدم وجود أي ذكر لمرد "كيرياليسون" الذي نقوله الآن أثناء تقديم الحَمَلِ. لشرح أكثر، يُرجى الرُّجوع إلى كتاب "القُدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله" للمؤلِّف.

وبناءً على ذلك، فإن نُردِّد اليوم مرد كيرياليسون المصاحب لتقدّم الحمل هو امرٌ جائزٌ تماماً، لأننا نردِّد نفس هذا المرد عشرات المرّات في نفس هذا القُدَّاس. وألاً نردِّد مرد كيرياليسون المصاحب لتقدّم الحمل هو أيضاً امرٌ جائزٌ تماماً، لأننا بذلك نعود إلى الطَّقْس القديم في هذه الجزئية من طقوس يوم الخميس الكبير، وهذا هو الوضع الأفضل.

إذاً ما يذكره كتاب "مشتهى النفوس في ترتيب الطقوس" (٦٦) الذي يقول (ص ٩٣): "يُقدِّم الحمل صامتاً دون أن يُقال كيرياليسون ... هو تعبير غير صحيح من الوجهة الطَّقْسيّة، ولاسيّما في نصفه الأخير، لأنه تعبير يجهل التاريخ الطَّقْسي للكنيسة، ويتخطى بكلّ بساطة ما أوردته مخطوطاتنا على مدى تاريخها الطّويل، ولاسيّما مخطوطات ترتيب البيعة، وكافة المخطوطات قيد الدّراسة، والتي تذكر فقط بأنه لا يُقال مرد دورة الحمل؛ "هلليلويا، هذا هو اليوم ... الخ". أمّا تعبير "الحمل الصّامت"، فلا ذكر له فيها، لأنه نفس الحمل الذي يُقدِّم في كلِّ قُدَّاس.

ثانياً: عدم ترديد مرد دورة الحمل

الذي يدرس جيداً الطَّقْس القبطي القديم للقُدَّاس الإلهي، يعرف أنّ النّداء بتقدّم القرايين التي تُرفع على المذبح، يكون تالياً مباشرة لنداء القبلة المقدّسة، لأنّ القرايين التي يقدّمها الشّعب، وهي الخبز والخمر، لتكميل سرّ الإفخارستيا، لا يمكن أن تكون إلاّ من داخل الحبّة. فبعد أن يُقبّل الشّعب بعضه بعضاً بقبلة الحبّة، يُقدِّم قرايينه لكي تُرفع على المذبح (٦٧).

٦٦- رابطة مرتلي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مشتهي النفوس في ترتيب الطقوس، القاهرة، ١٩٨٦ م.
٦٧- سوف أشرح هذه الجزئية بعد قليل في نفس هذا الفصل.

ولأنَّ القُبلة المقدَّسة ممنوعة في هذا اليوم - كما سيأتي ذكره فيما بعد - فتقديم القرابين أيضاً، وبحسب طقسها القديم، كان يتوقَّف في هذا اليوم. ومن ثمَّ فإنَّ قول الكاهن: "اذكر يارب الذين قدَّموا لك هذه القرابين، والذين قدَّمت عنهم، والذين قدَّمت بواسطتهم، أعطهم كلَّهم الأجر السَّمائي"، كان من اللازم أن يتوقَّف هو الآخر أيضاً.

وعليه، فإنَّ نداء الشَّماس بالمرد، وهو يدور حول المذبح: "صَلُّوا من أجل هذه القرابين المقدَّسة الكريمة، وتقدماتنا، والذين قدَّموها" من المفترض أن يتوقَّف هو الآخر أيضاً. وهنا يلزم أن أنبه ذهن القارئ العزيز إلى أن المرد "قبلوا بعضكم بعضاً ... الخ" كان في الطَّقس القبطي القديم، يسبق تقديم القرابين، وهو ما نعرفه اليوم باسم تقديم الحَمَل، ولم يكن تالياً له، كما في الطَّقس الحالي^(٦٨). وإنَّ توقُّف تقديم الشَّعب لقرابينه، في خدمة هذا اليوم بالتَّحديد، بحسب الطَّقس القديم جداً، لا يتعارض مع تقديم ذبيحة الإفخارستيا، في هذا اليوم الذي أسَّس فيه الرَّب هذا السِّرَّ العظيم.

وكأني أرى طقس القرن الحادي عشر الميلادي وما قبله، هو توقُّف موكب القرابين من الهيكل البحري إلى باب الهيكل الرَّئيسي^(٦٩)، في هذا اليوم، وهو الموكب الذي استُعيض عنه في الطَّقس الحالي بالدَّوران حول

٦٨- يمكن للقارئ العزيز العودة إلى كتاب "القُدَّاس الإلهي سرِّ ملكوت الله"، للوقوف علي تفصيلات كافية بخصوص هذه الجزئية. وسوف أوردُ موجزاً لها في نفس هذا الفصل، بعد قليل.

٦٩- يرجي العودة إلى كتاب: "القُدَّاس الإلهي سرِّ ملكوت الله"، وأيضاً لكتاب: "سرِّ الرُّوح القُدَّس والميرون المقدَّس"، حيث يجد القارئ رسالة لأسقف قبطي من القرن العاشر الميلادي، هو الأنا مقاره أسقف منوف العليا، تشرح هذا الأمر.

المذبح. فإن كان المراد الذي يقوله الشمَّاس - وهو مرد: "صَلُّوا من أجل هذه القرايين ... الخ" - وهو يدور حول المذبح، قد توقَّف، فالبتَّائي ربَّما يكون الدَّوران نفسه حول المذبح بالقرايين، قد توقَّف هو الآخر، في خدمة هذا اليوم^(٧٠).

ثالثاً: عدم ترديد صلوات التَّحليل في قُدَّاس يوم الخميس الكبير من المستحسن أن أوردُ فيما يلي نصَّ الأربعة صلوات تحليل، وهي كلُّها موجَّهة للابن^(٧١)، لأنَّ هذا يفيدنا في شرح هذه الجزئية من الطَّقس.

نصُّ صلاة التَّحليل الأوَّل "نعم يارب يارب ..."^(٧٢)

نعم يارب يارب، الذي أعطانا السُّلطان أن ندوس الحيات والعقارب، وكلَّ قوَّة العدو. اسحق رؤوسه تحت أقدامنا سريعاً، وبدِّد عنا كلَّ معقولاته الشريرة المقاومة لنا. لأنك أنت هو ملكنا كلُّنا أيها المسيح إلهنا. وأنت الذي نرسل لك إلى فوق، المجد والإكرام والسُّجود، مع أبيك الصَّالح والروح القُدَّس، المحيي المساوي لك. الآن وكلَّ أوان وإلى دهر الدهور آمين.

نصُّ صلاة التَّحليل الثَّاني "أنت يارب ..."^(٧٣)

أنت يارب الذي طأطأت السَّموات ونزلت وتأسَّست من أجل خلاص

٧٠- سأعود إلى هذه الجزئية مرَّةً أخرى في نفس هذا الفصل.

٧١- هناك تحليل وحيد موجَّه للآب، يقوله الكاهن بعد القسمة في القُدَّاس الباسيلي، وبدايته هي: "أيها السيِّد الرَّب الإله ضابط الكلِّ، شافي نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ..."، وفيه يقول الكاهن: "فليكن يا سيِّد عبيدك آبائي وإخوتي وضعفي، محاللين من فمي بروحك القُدَّوس ... اللهم حاللنا وحالل سائر شعبك من كل خطيئة، ومن كل لعنة، ومن كل جحود ... الخ".

٧٢- وهو التَّحليل المعروف باسمه القبطي **Се Псѣ**.

٧٣- وهو التَّحليل المعروف باسمه القبطي **Нѣок Псѣ**.

جنس البشر. أنت هو الجالس على الشاروييم والشارافيم، والنّاظر إلى المتواضعين. أنت أيضاً الآن يا سيّدنا، الذي نرفع أعين قلوبنا إليك، أيها الرّب الغافر آثامنا، ومخلص نفوسنا من الفساد. نسجد لتعطفك الذي لا يُنطق به، ونسألك أن تعطينا سلامك، لأنك أعطيتنا كلّ شيء. اقتننا لك يا الله مخلصنا، لأننا لا نعرف آخر سواك. اسمك القدّوس هو الذي نقوله. ردّنا يا الله إلى خوفك وشوقك. سرّ أن نكون في ثمتع خيراتك. والذين أحنوا رؤوسهم تحت يدك، ارفعهم في السّيرة، زيّنهم بالفضائل. ولنستحق كلنا ملكوتك الذي في السّموات، بمسرة الله أبيك الصّالح. هذا الذي أنت مباركٌ معه مع الرّوح القدّس، المحيي المساوي لك. الآن وكلّ أوان، وإلى دهر الدّهور آمين.

نصّ صلاة التّحليل الثّالث "أيها السيّد الرّب يسوع المسيح ..." (٧٤)

أيها السيّد الرّب يسوع المسيح الابن الوحيد، وكلمة الله الآب، الذي قطع كلّ رباطات خطايانا، من قبل آلامه المخلصة الحيّية. الذي نفخ في وجه تلاميذه القدّيسين، ورُسّله الأطهار وقال لهم: اقبلوا الرّوح القدّس، من غفرت لهم خطاياهم غفرت لهم. ومن أمسكتموها عليهم أمسكت. أنت الآن أيضاً يا سيّدنا، من قبل رسلك الأطهار، أنعمت للذين يعملون في الكهنوت كلّ زمان في كنيستك المقدّسة، أن يغفروا الخطايا على الأرض، ويربطوا ويحلّوا كلّ رباطات الظلم. الآن أيضاً نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر عن عبيدك آبائي وإخوتي وضعفي (٧٥). هؤلاء المنحنين برؤوسهم أمام مجدك المقدّس. ارزقنا رحمتك، واقطع كلّ رباطات خطايانا. وإن كنّا قد أخطأنا إليك في شيء، بعلم أو بغير علم، أو بجزع القلب، أو بالفعل أو بالقول أو بصغر القلب. أنت يا سيّد العارف بضعف البشر، كصالح ومحب البشر، اللهم أنعم لنا بغفران خطايانا. باركننا، طهّرنا، حاللنا وحالّل سائر شعبك (٧٦). املاًنا من

٧٤- وهو التّحليل المعروف باسمه القبطي $\Phi\eta\eta\eta\ \Pi\omega\sigma$.

٧٥- هنا يرشم ثلاثة صلبان على الإكليروس، وعلى الشّعب، وعلى ذاته.

٧٦- عندما يقول هذه العبارة، يرشم ذاته والحُدّام والشّعب ثلاثة رشومات.

ويمكن للكاهن هنا أن يذكر من يريد أن يذكره.

خوفك وقومنا إلى إرادتك المقدَّسة الصَّالحة، لأنَّك أنت هو إلهنا، والمجد والكرامة والعزَّة والسُّجود تليق بك مع أيك الصَّالح والرُّوح القُدَّس، المحيي المساوي لك، الآن وكلَّ أوان، وإلى دهر الدُّهور آمين.

نصُّ صلاة التَّحليل الرَّابع "عبيدك يارب خُدَّام هذا اليوم" (٧٧)

عبيدك خُدَّام هذا اليوم، القمامصة والقسوس والشَّمامسة والإكليريوس والشَّعب كلُّه وضعفي، يكونون محاللين من فم الثالوث المقدَّس، الآب والابن والرُّوح القُدَّس. ومن فم الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدَّسة الجامعة الرِّسوليَّة. ومن أفواه الاثني عشر رسولاً. ومن فم ناظر الإله الإنجيلي مرقس الرِّسول، الطاهر والشَّهيد. والبطريك القُدَّيس ساويرس. ومعلمنا ديسقوروس. والقُدَّيس أنثاسيوس الرِّسولي. والقُدَّيس بطرس الكاهن الشَّهيد، رئيس الكهنة. والقُدَّيس يوحنا فم الذهب. والقُدَّيس كيرلس. والقُدَّيس باسيلوس. والقُدَّيس غريغوريوس. ومن أفواه الثلاثمائة والثمانية عشر المجتمعين بنيقية. والمائة والخمسين بمدينة القسطنطينية. والمائتين بأفسس. من فم أيينا المكرم رئيس الكهنة، أنبا (فلان). ومن فم حقارتي. لأنَّه مباركٌ ومملوءٌ مجداً اسمك القُدَّوس، أيها الآب والابن والرُّوح القُدَّس، الآن وكلَّ أوان ... الخ.

ملاحظات عامة على صلوات التَّحليل السَّابِق ذكرها

التَّحليلان الأوَّل والثَّاني لا يُذكر فيهما غفران خطايا، بل هما طلبتا توسُّلٍةً للحفظ من حيل الشَّيطان، وطلب الحياة في مخافة الرَّبِّ وشوقه، لنستحق ملكوت السَّموات. وهما يقالان دائماً سراً حتى اليوم. ويقالان في صلوات رفع البُحور، وفي قُدَّاسات اللقَّان.

أمَّا التَّحليل الثَّالث ففيه طلب الحل والصَّفح وغفران الخطايا من الله، بفم الكاهن عن طريق الآباء الرُّسل القُدَّيسين؛ "أقطع كلَّ رباطات

خطايانا ... اللهم أنعم لنا بغفران خطايانا ... حاللنا وحال سائر شعبك". وهو يُقال في ختام صلوات رفع البخور بدون مرد للشماس "خلصت حقاً، ومع روحك أيضاً"، وهو يُقال أيضاً سراً في القداسات على مدار السنة الليتورجية إن كان القداس المصلّي هو الباسيلي أو الكيرلسي^(٧٨)، حيث يعقبه التحليل الرابع "عبيدك خدام هذا اليوم"، والذي بحسب الأصول القديمة يُقال أيضاً سراً. وأمّا إن قيل في قداسات اللقان، فيعقبه مرد الشماس السابق ذكره.

وأما التحليل الرابع فهو يطلب الحل للإكليروس والشعب من فم الثالوث القدوس، ومن فم الكنيسة، والرُسُل والشهداء، والبطاركة الكبار، وآباء الجامع المسكونية، وبطريك الزمان. وهو يُقال الآن جهراً في قداس الإفخارستيا، باستثناء الذكصا الختامية التي تُقال سراً. والأصل فيه أنّه يُقال كله سراً. وهذا التحليل الرابع يعقبه حتماً مرد الشماس "خلصت حقاً ومع روحك أيضاً"، وهو مرد موجه للكاهن الذي صلّي التحليل. وبحسب الطقس لا يمكن فصل هذا المرد عن هذا التحليل. وهذا التحليل لا يُقال في قداسات اللقان.

والآن أورد ما يذكره "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريكية بالقاهرة لسنة ١٩١١م" عن صلوات التحليل، فيقول: "في قداس الإفخارستيا ليوم خميس العهد، يقول المخطوط المذكور: "ويخدم (الكاهن) كالعادة ويقرأ التحليل على الخدام وهو **Некѣвѣак** ...^(٧٩) لا غير. ولا يُقال تحليل الابن^(٨٠). ولا تُقال ... **Сѡѡѡс**^(٨١)".

٧٨- كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٢٢٩

٧٩- وهو "تحليل الخدام" وبدايته: "عبيدك يارب خدام هذا اليوم ... الخ".

وهو نفس ما تذكره كلُّ المخطوطات قيد الدِّراسة.

أمَّا كتاب دلالٍ وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، فيذكر ما يلي (ص ١١٥): "ثمَّ يُقدِّم الكاهن الصَّعيذة كالعادة، ولا يُقال **Δὲ φαί πε πίεουον** ولا تُقال **Σωθης** بل يرفع الكاهن البُخور كالعادة والشَّمامسة تقول^(٨٢) **Πενοῦωπτ** **μμοκ ὠ πιχς**."

وهنا يتفق "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالذَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م" مع كتاب دلالٍ وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، مع المخطوطات قيد الدِّراسة، على أنَّه في قُدَّاس الإفخارستيا ليوم خميس العهد، لا يُقال مرد الشَّماس **Σωθης** (سوتيس). وهذا يعني حتماً وبحسب الطَّقُس، أنَّه لا يُقال تحليل "عبيدك خُدَّام هذا اليوم ...". وهنا تضاد واضح بين أن يُقال التَّحليل الرَّابع، وبين ألا يُقال مرد الشَّماس "خلصتَ حقاً".

وإنَّ خلاصة ما سبق أن ذكرته هو، أنَّه في يوم خميس العهد، لا يُقال التَّحليل الثالث "أيها السيِّد الرَّب ..." في قُدَّاس اللقَّان، كما يذكر كتاب اللقَّان والسَّجدة المطبوع سنة ١٩٢١م، ولا يُقال أيضاً في قُدَّاس

٨٠- وهو تحليل **Φηιβ Πος** "أيها السيِّد الرب"، وهو التَّحليل الثالث كما في المتن.

٨١- أي: "خلصتَ".

٨٢- إنَّ تعبير "والشَّمامسة تقول" لا يقابلنا أبداً في مخطوطات ترتيب البيعة، ولا في كُتُب الطَّقُس القديمة. ولكن ما نجدُه هو: يقول الشَّعب ... الخ، أو نجد: يقولون ... الخ. فخوروس الشَّمامسة ليس بديلاً عن الشَّعب في ترديد المرذَّات، بل مساعداً لاشتراك كلِّ الشَّعب في الصَّلَاة.

الإفخارستيا كما يذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالذَّار
البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م"، ومعه باقي المخطوطات قيد
الدِّراسة. وأمَّا التَّحليل الرَّابع فلا يُقال هو الآخر في قُدَّاس الإفخارستيا
لهذا اليوم، لأنَّ مرد الشَّماس "خلصتَ حقاً ومع روحك أيضاً" لا يُقال
بحسب المخطوطات، وبحسب كتاب دلال و ترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح
المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م.

أي آله في خدمة هذا اليوم لا يُقال التَّحليلان الثَّالث والرَّابع السَّابق
ذكرهما، لا في قُدَّاس اللقَّان، ولا في قُدَّاس الإفخارستيا.

ولكي أقطع كلَّ شك وريبة فيما أقول، فإنَّ ما سبق ذكره هو طقسٌ
معروفٌ في الكنيسة القبطيَّة منذ قرونها القديمة، وقد تقنَّن بقانون في
منتصف القرن الحادي عشر، وهو القانون رقم (١٢) من قوانين البابا
خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)، السَّادس والسَّتين من بطاركة الكنيسة
القبطيَّة، حيث يقول القانون المذكور:

"... ويكون القُدَّاس يوم الخميس الكبير، برهبة وخوف وسكون،
بغير تقبيل (٨٣) ولا مصافحة، ولا بروسفارين (٨٤)، بل يُقال عوضه

٨٣- وهي قُبلة السَّلام. وكانت في القديم قُبلة حقيقيَّة، وفي التَّقليد القبطي الآن،
ينحني الكاهن ناحية الشَّعب، ويلتفت كل واحد من الشَّعب ناحية الواقف إلى
جواره، ويلمس كل منهما يد الآخر.

Cf. F.E. Brightman, *Liturgies Eastern and Western*, vol. 1, Eastern
Liturgies, Oxford, 1967, p. 584-585.

٨٤- الكلمة اليونانيَّة Προσφέρειν (بروسفارين)، هي بداية مرد الشَّماس:
"قدِّموا على الرَّسم ...". ولأنَّ البابا خريستوذولوس يقول بعدم ترديد هذا الجزء
من المرد في هذا اليوم، فهذا يُفيد احتمال أنَّ الشَّعب لم يكن يقدِّم في هذا اليوم
بالذات تقدماته أو قرايينه المعتادة.

ماتافوبو^(٨٥) بغير تحليل لا في الأوَّل^(٨٦) ولا في الآخر^(٨٧)،^(٨٨).

وهنا تنجلي الحقيقة التي غابت، فارتبكت بسبب غيابها التَّعليمات الطَّقْسِيَّة المدوَّنة في كُتُب الطَّقْس المختلفة، سواء المخطوطة أو المطبوعة. فشكراً للبابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)، ولقوانينه، التي حفظت لنا جزئيَّةً غالية في طقس يوم الخميس الكبير.

وعند هذا الحد يتَّضح لنا التَّقليد الطَّقْسِي الأصيل في خدمة هذا اليوم المقدَّس، وهو توقُّف صلوات التَّحليل فيه. ولكن ما هو المغزى اللِّيْتورجي الذي تريد الكنيسة أن تشرحه لنا في هذه الجزئيَّة من الطَّقْس؟.

لكي نستوعب هذا الأمر، علينا أن نعيش مع الكنيسة أحداث هذا اليوم المقدَّس، وكأنها أحداثٌ تجري أمامنا الآن، ولأوَّل مرَّة، فلا ننظر إليها كونها أحداثاً تاريخيَّةً عبرت عليها عشرات المئات من السنين. فاليوم، الرَّب يؤسِّس سرَّ الإفخارستيَّا، فيقدِّم لتلاميذه جسده المكسور ودمه المسفوك قبل يوم الصَّليب، لكي يربط ربطاً نهائيًّا وإلى الأبد، بين سرِّ جسده ودمه الكرِيمين، وبين سرِّ الصَّليب. فقدِّم الرَّب دمه مسفوكاً في

٨٥- هذا هو التُّطق القديم للكلمة اليونانيَّة μεταφόβου (ميتافوفو) أي "بخوف"، والإشارة هنا تعني أن مرد الشَّماس يبدأ بقوله: "قفوا بخوف ..."، وهي العبارة الأخيرة من الرد: "قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدَّسة ... الخ".

٨٦- أي تحليل الابن "أيها السيِّد الرب"، وهو التَّحليل الثَّالث في المتن، وأيضاً تحليل الخدَّام "عبيدك خدَّام هذا اليوم"، وهو التَّحليل الرَّابِع في المتن.

٨٧- أي التَّحليل الذي يقوله الكاهن سرا في أواخر القُدَّاس بعد أبانا الذي، والمعروف باسم "تحليل الآب"، والذي يبدأ بعبارة: "أيها السيِّد الرَّب الإله ضابط الكلِّ شافي نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ...".

٨٨- انظر للمؤلِّف كتاب: "قوانين بطاركة الكنيسة القبطيَّة في العُصور الوُسطى".

كأس، قدّمه بإرادته لتلاميذه وخواصه القديسين، كتذكار يصنعونه كل حين ليوم صليبه، المزمع فيه أن يسفك دمه من أجل حياة العالم، وغفراناً لكل الخطاة، وإلى أن يجيء في مجيئه الثاني، قائلاً لهم: "اصنعوا هذا لذكري". فصار الدّم في الكأس على المذبح، هو عينه دم الصليب. ولأنّ دم الصليب لم يكن قد أهرق بعد، فلا تكون هناك مغفرة للخطايا بعد، ومن ثمّ، فلا تحليل يمكن أن يقوله الكاهن، يمكن بواسطته أن يغفر الخطايا، لأنّ دم الصليب لم يستعلن بعد، لأنّه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة كقول الكتاب المقدس. فالصليب هو الذي نقض العداوة بين الله والبشر وحقّق المصالحة، إذ أبطل قوّة الخطيئة، ونجّى العالم من الضلال، وثبّت الحق. فالصليب هو مشيئة الآب ومجد الابن وتهليل الروح القدس. والمسيح نفسه حينما كان عتيداً أن يُصلب قال: «أيها الآب قد أتت الساعة، مجدّ ابنك» (يوحنا ١٧: ١)، داعياً الصليب مجدداً. وأما أنّ الصليب مجدّ، فاسمع ما يقوله الإنجيلي: «إنّ الروح لم يكن قد أُعطي بعد، لأنّ يسوع لم يكن قد مُجدّ بعد» (يوحنا ٧: ٣٩).

وهكذا، وبممارسة طقسية حاذقة، عرفتها الكنيسة القبطية منذ القديم، وفننتها بقانون آباي واضح منذ القرن الحادي عشر، وهو توقّف صلاة التحليل في جمعة الآلام عموماً، وفي يوم خميس العهد خصوصاً، ندرك عظم الصنيع الذي صنعه الربّ معنا بصليبه الحبي، حينما يُصلي لنا الكاهن في كل مرّة في الكنيسة صلاة التحليل من الخطايا، فتُغسل خطايانا وآثامنا وتعدّياتنا بدم الصليب.

وهنا أذكرُ أيضاً القانون رقم (١١) من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)، والذي يقول: "... وبعد فراغ القدّاس في يوم أحد الزيتونة، يُقرأ الإنجيل، وترحيم الموتى بعد رسالة بولس، المعروفة برسالة

الموتى^(٨٩). ويُقر بعد ذلك التَّحليل على جميع الشَّعب، لأنَّ الجمعة الكبيرة^(٩٠)؛ يجوز فيها تحليل ولا ترحيم^(٩١) ولا تجنيز إلى أن ينقضي عيد الفصح“.

إذاً فالْتقليد الكنسي العام منذ القدم، يقول بتوقُّف صلاة التَّحليل في أسبوع البَّصخة المقدَّسة، وهو نفس الأمر الذي ينطبق تماماً على خدمة يوم الخميس الكبير، سواء في قُدَّاس الماء، أو في قُدَّاس الإفخارستيا.

ليس هذا فحسب، بل هناك أيضاً من العناصر الليتورجية التي تختص بخدمة هذا اليوم ما يدعم سبب توقُّف ممارسة صلاة التَّحليل، وهو ما سيرد ذكره بعد قليل.

رابعاً: قراءتان فقط في قُدَّاس الكلمة بدلاً من أربع قراءات

في ليتورجية يوم الخميس الكبير، وفي قُدَّاس الكلمة، يُقرأ فصل من رسائل القديس بولس الرسول، ثمَّ فصل الإنجيل المقدَّس، ومن ثمَّ فلا وجود لقراءة فصل من الكاثوليكون وفصل من الإبركسيس أي من سفر الأعمال. وإن كان التَّعليق الظَّاهر للعيان، هو أن فصل الإبركسيس قد قُرئ في بخور باكر هذا اليوم، فيكون السؤال ولماذا قرأناه في رفع بخور باكر، ولم نقرأه في موضعه الطَّقسي في قُدَّاس الكلمة كما في أيِّ قُدَّاس

٨٩- هذه الخدمة وردت بكاملها في مخطوط رقم (Add. 5997)، (ص ١٦ ظهر - ٢٠ وجه): وفصل الإنجيل هو من (يوحنا ١٩:٥-٣٠)، ورسالة البولس هي من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١ كورنثوس ١٠:١٥-٢٧، ٣٩-٥٨).

Cf. O.H.E. Khs Burmester, *op. cit.*, Le Muséon t. XLV (1932), p. 80, n. g.

٩٠- الجمعة الكبيرة أي أسبوع البَّصخة المقدَّسة.

٩١- باستثناء يوم السَّبَّت الكبير، كما سيأتي في القانون الثالث عشر من نفس

آخر؟. وماذا عن فصل الكاثوليكون؟.

إنَّ الكنيسة المقدَّسة تنحصر انحصاراً كاملاً في حدث تأسيس الرَّبِّ لسرِّ الإفخارستيا، ورسائل الكاثوليكون لم تتحدَّث عن هذا الأمر، كما أنَّ سفر أعمال الرُّسُل تبدأ أحداثه من صعود الرَّبِّ إلى السَّماء وحلول الرُّوح القُدُّس في يوم الخمسين. وهي أحداث تالية لحدث تأسيس الرَّبِّ لسرِّ الإفخارستيا، فليس لفصل الإبركسيس موضعٌ في قُدَّاس هذا اليوم بالذَّات، نظراً لخصوصيَّته الطَّقسيَّة، كما سبق أن ذكرتُ. ولكن لأنَّ سفر الأعمال قد أورد على لسان القديس بطرس الرُّسول حادثة خيانة يهوذا لمعلمه، وهي من أهم أحداث هذا اليوم، فقد نُقل فصل الإبركسيس ليقال في رفع بخور باكر، وليس في قُدَّاس الكلمة.

ومن ثمَّ فلم يبق لنا سوى فصل البولس وهو من رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١١: ٢٣-٣٢) حيث يتكلَّم بولس الرُّسول عن تأسيس سرِّ الإفخارستيا؛ «... إنَّ الرَّبَّ يسوع في اللَّيلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً وشكر ... الخ» وهو نفس الفصل الذي يُقرأ في قُدَّاس هذا اليوم في الكنيسة اليونانيَّة.

هذا هو السَّبب الظَّاهر للعين، والمنطقي للعقل، في اقتصار فصول القراءات على فصل البولس، ويعقبه فصل الإنجيل المقدَّس. ولكن وراء ذلك الطَّقس الفريد في هذا اليوم، سبب جوهرى آخر، ذو أهميَّة طَّقسيَّة.

فقدَّاس يوم خميس العهد، هو تذكُّارٌ حي لما فعله الرَّبَّ يوم أن قدَّم جسده ودمه بنفسه لتلاميذه في ليلة العشاء الأخير. وكان قُدَّاس خميس العهد - بل هو كذلك فعلاً - هو شكل تلك الليتورجيَّة في وضعها

البدايي الأُوَلي قبل أن تدخل عليها التَّطوُّرات اللا- قة التي أكسبتها شكلها الحالي، ولاسيَّما في قُدَّاس الكلمة والذي نحن بصدده الآن.

فطبقاً لنظام القراءات اليهودي، والذي انحدر إلينا من الجمع اليهودي، كانت القراءات هي فصلٌ من التَّوراة، يعقبه فصلٌ من الأنبياء. ثمَّ أضافت الكنيسة في عصورها الأولى على هاتين القراءتين فصلاً من رسائل بولس الرِّسول، ثمَّ فصلاً من الإنجيل المقدَّس، فأصبحت القراءات أربعة. ولما سقط من الكنيسة القبطية القراءات من العهد القديم في ليتورجية الكلمة، وللمحافظة على أربعة قراءات بحسب التَّقليد القديم، أضافت الكنيسة قراءة من الكاثوليكون وأخرى من الإبركسيس لتعود القراءات إلى أربعة، كما كانت حسب التَّقليد القديم.

ولكن في ليتورجية يوم خميس العهد يعود الوضع إلى شكله الأُوَلي القديم جداً، حينما كانت قراءات العهد الجديد تنحصر في فصلين فقط، هما فصل من رسائل بولس الرِّسول، وفصل من الإنجيل المقدَّس.

وإن السَّاعة السَّادسة من يوم الجمعة العظيمة قد حفظت لنا هي الأخرى، هذه الممارسة السَّحيقة في القِدَم، حيث تتفق كلُّ المخطوطات قيد الدِّراسة على وجود قراءتين من العهد الجديد، هما فصل بولس وفصل الإنجيل، بعد فصول من نُبوءات العهد القديم.

وهو نفس ما تمارسه بعض الكنائس الأخرى حتى الآن، في استخدام قراءتين فقط من العهد الجديد، مثل كنيسة روما والكنيسة اليونانية^(٩٢).

وهنا أودُّ أن أُلح فقط إلى أمر ليتورجي هو في غاية الدقّة والأهميّة، ولكن دراسته تحتاج إلى بحث مستقل، لم يكن وقته بعد، وهو العلاقة العجيبة، والعجيبة جداً، بين قُدّاس يوم الخميس الكبير، وبين طقس تعمير الكأس. وفي هذا الطّقس الأخير، نجد قراءتان فقط، الأولى فصل من البولس، والثانية فصل من الإنجيل المقدّس. تماماً كما هو حادث في قُدّاس يوم الخميس الكبير. إلى جانب سمات ليتورجية أخرى تجمع بينهما، فهل من علاقة قديمة كانت تربط بين هذين الطّقسين، وقد سقطت من الكنيسة القبطيّة مع توالي القرون؟.

إنّ الصّوم المقدّس الكبير وأسبوع البصحة المقدّسة وعيد القيامة، هم من أكثر المناسبات الكنسيّة في الكنيسة القبطيّة حفاظاً على التّقليد القديم، حتى أنّ عوامل التّطور لم تنل منهم كثيراً.

خامساً: لا وجود للقبلة المقدّسة في خدمة هذا اليوم

هذا العنصر اللّيتورجي، هو واحدٌ من العناصر اللّيتورجيّة القديمة جداً التي استمرّت حتى اليوم، وهو ما أوضحه لنا البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) في قانونه الثّاني عشر السّابق الإشارة إليه، بالأّ يقول الشّمّاس مرد "قبّلوا بعضكم بعضاً ...".

ويشرح ابن سباع هذا الأمر في إيجاز بقوله: "خدمة القُدّاس التي للعشاء السّري (تكون) من غير قراءة أسبسموس، لأجل قبلة يهوذا". وهو نفس ما ذكرته معظم المخطوطات قيد الدّراسة. وهكذا يتوقّف مرد الشّمّاس "قبّلوا بعضكم بعضاً ..."، ومن ثمّ فلا يوجد أسبسموس آدم في قُدّاس هذا اليوم. وهو ما يذكره كلٌّ من ابن سباع، وابن كبر أيضاً. وهنا تجدر الإشارة إلى مرد الشّعب: "بشفاعات والدة الإله القديسة مريم

يارب أنعم لنا بمغفرة خطايانا“ هو في أصوله أسبسموس آدام^(٩٣). فعدم ترديد مرد الشَّمَّاسِ ”قَبِّلُوا بعضكم بعضاً“ مرتبطٌ بعدم ترديد أي أسبسموس آدام. وهو ما لم تعيه المخطوطات قيد الدِّراسة.

لذلك فبانتهاء مرد الشَّمَّاسِ الذي يبدأ بقوله ”قفوا بخوف...“، كما سأوضح فيما بعد، يقول الشَّعب مباشرة مرد: ”رحمة السَّلام ذبيحة التَّسبيح“.

وبناءً على ذلك أيضاً فلا وجود لـ ”صلاة الصَّلح“ reconciliation أو ”صلاة ما قبل الأنافورا“ وهي الصَّلَاة التي تُعرف في الطَّقْس القبطي القديم باسم ”صلاة التَّقْبيل المقدَّس“^(٩٤)، أو ”صلاة التَّقْبيل للآب“^(٩٥)، أو ”صلاة التَّقْبيل“^(٩٦). أمَّا في الطَّقْس السَّرْياني الأنطاكي فتُعرف باسم ”صلاة السَّلام“، أو ”صلاة قِبْلة السَّلام“^(٩٧). وصلاة الصَّلح هي صلاة تعرفها كلُّ الطَّقوس على اختلافها، كصلاة تسبق إعلان القِبلة المقدَّسة.

وهكذا نجد أنَّ السَّبب الرَّئيسي في توقُّف القِبلة المقدَّسة، وتوقُّف صلاة الصَّلح، هو أنَّه قبل الصَّلح كانت الكنيسة متغرِّبة عن المسيح، ولم تكن تعرفه بعد، ومن ثمَّ فإنَّ السَّلام والمصالحة بين الكنيسة التي على

٩٣- لشرح أكثر وضوحاً لهذه الجزئية، يُرجى الرجوع إلى كتاب ”القُدَّاس الإلهي سرِّ ملكوت الله“، للمؤلف.

٩٤- انظر: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢١٦

٩٥- انظر: مخطوط الفاتيكان رقم (١٧).

٩٦- انظر: مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠).

٩٧- هنا يتَّضح لنا العلاقة الوثيقة بين صلاة الصَّلح، وبين القِبلة المقدَّسة التي تعقبها مباشرة، وهو ما يذكرنا بالنداء القديم للشَّمَّاسِ والذي بموجبه يمتنع من التَّناول من كان في قلبه وجد على أخيه، أو متخاصم معه.

الأرض، وتلك التي في السماء لم يكونا قد حدثنا بعد، لأن الرب لم يُصلب بعد. وهو ما يشرحه القديس بولس الرسول بقوله: «إِنَّكُمْ (أيها الأمم) كنتم في ذلك بدون مسيح، أجنبيين عن رعيّة إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم، وبلا إله في العالم. ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريين بدم المسيح. لأنّه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً، ونقض حائط السّياج المتوسّط أي العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به. فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريين، لأنّ به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الأب. فليستم إذاً بعد غرباء ونزلاء، بل رعيّة مع القديسين، وأهل بيت الله» (أفسس ٢: ١٢-١٩).

ولكن لا يفوتنا هنا أنّ "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدّار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م" يقول - كما سبق أن ذكرت - أنّه لا تُقال صلاة الصّبح، ولكنّه يضيف بقوله: إنه يُقال مرد أسبسموس للعدراء. وهو خطأ طقسي تناقله النّسّاخ من بعضهم البعض، لأنّ نداء الشّمّاس بالقبلة المقدّسة يرتبط بالأسبسموس الآدام كما ذكرت.

والطقس السّرياني الأنطاكي يعرف أيضاً يومين في السنّة تُقدّم فيهما الذّبيحة الإلهيّة، ولا يتبادل فيهما المؤمنون قبلة السّلام، ولا تُقال فيهما صلاة السّلام، وهي المقابلة لصلاة الصّبح في القدّاس القبطي، وهما: قدّاس خميس العهد، وقدّاس سبت الفرح. ولكن بدلاً من صلاة السّلام، تُقال صلاة خاصة بالفصح.

ففي قدّاس خميس العهد يُقال في الطّقس السّرياني الأنطاكي:

”أيها المسيح إلهنا، يا من بالعشاء السَّري أتممت الخدمة العتيقة والرَّمزيَّة، واستودعتنا سرَّ النُّعمة الجديد، نبتهل إليك يا ربَّنَا، لتجعلنا شركاء معك بعشائك السَّري المقدَّس، وأهلِّنا للتَّنعُّم به بطُهر وقداسة بدون شجب، فننجو به من ظلمة الخطيئة كلِّها، ونرضيك في خفايانا وظواهرنا، وأحصنا مع الذين أرضوا مشيئتك الصَّالحة هنا وفي الحياة الخالدة، ومن أجل أفضالك هذه علينا، نَسْبُحُك شاكرين إياك، وروحك الكلِّي قُدَّسه، الصَّالح والمسجود له، الآن وكلَّ أوان وإلى أبد الأبدين“.

فيجيب الخوروس بكلمة ”أمين“ (٩٨).

سادساً: عدم تقديم الشَّعب للقرايين في خدمة هذا اليوم

بحسب قانون البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) رقم (١٢) السَّابق الإشارة إليه، لا يقول الشَّمَّاس مرد ”قبُّلوا بعضكم بعضاً...“.

ولا يقول بعده: ”قدِّموا على الرَّسم“، بل يقول فقط: ”قفوا بخوف وإلى الشَّرِّق انظروا نصت“.

ونداء الشَّمَّاس ”قدِّموا على الرَّسم، قفوا بخوف وإلى الشَّرِّق انظروا نصت“ - وهو القسم الثَّالث من هذا المرد (٩٩) - هو البداية الفعلية للأنافورا حين لا تكون مسبوقة بصلاة صلح، كما هو حادث في قدَّاسات اللقَّان، وقُدَّاس تكريس الميرون والغاليلاون. وأمَّا في يوم خميس العهد على وجه الخصوص، سواء في قُدَّاس لقَّان هذا اليوم، أو في قُدَّاس الإفخارستيا له، فلا يُقال من المرد المذكور عبارة: ”قدِّموا على الرَّسم“، بل يبدأ مرد الشَّمَّاس مباشرة بقوله: ”قفوا بخوف وإلى الشَّرِّق انظروا نصت“.

٩٨- المجلة البطريركية، العدد ١٣٨، تشرين أوَّل ١٩٩٤م، ص ٥٢٩.

٩٩- لشرح ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب: ”القُدَّاس الإلهي سرَّ ملكوت الله“ للمؤلِّف.

ولعل القارئ العزيز قد أدرك الآن السبب في ذلك، فهو نفس الخط التقليدي الراسخ، الذي تدور حوله طقوس الصلوات المقدسة في خدمة هذا اليوم المقدس.

ولقد شرحتُ هذه الجزئية بتفصيل في كتاب "القداس الإلهي سر ملكوت الله"، وسأوجزُ هذا الشرح في السطور التالية منعاً للتكرار.

إن هذا النداء "بروسفارين" والذي يعني: "قدموا على الرسم" هو الذي نسمعه اليوم "تقدموا على الرسم"، وهذه العبارة الثانية صارت تُفسرُ بأنها تعني التقدّم للتناول من الأسرار المقدسة، ولكنها بحسب نُطقها اليوناني الصحيح لا يمكن أن تكون كذلك، فترجمتها الدقيقة هي: "قدموا على الرسم" أي قدموا القرايين بحسب الرسم أو بحسب العادة، لكي يبدأ القداس الإلهي. ممّا يفيد بأن طقس تقديم الحمل - وهو الوقت الذي كان يُقدّم فيه الشعب قرايينه - لم يكن يسبق قداس الموعوظين كما نرى اليوم، بل كان يعقبه، إذ لم يكن ممكناً للموعوظين الاشتراك في الصلاة سوى سماعهم للرسائل وفصل الإنجيل المقدس والعظة وبعض الأواشي التي تُختتم بأوشية الموعوظين.

وبحسب الطقس القديم الذي ساد في الكنيسة الجامعة، فإن تقديم القرايين يرتبط تماماً بالقبلة المقدسة، حيث يكون وقت تقديم القرايين بعدها مباشرة. ولكن حيث أنه لا وجود للقبلة المقدسة في خدمة يوم الخميس الكبير، فلا يستطيع الشعب أن يُقدّم قرايينه في هذا اليوم، لأن القربان لا يُقبل في الكنيسة إلا من داخل الحبة.

وهو ما يلاحظه القارئ اللبيب في نداء الشماس الذي نحن بصدد

الآن، فالنداء بتقديم القرايين يكون بعد ندائه بالقبلة المقدَّسة.

وإنَّ القُدَّيس يوستينوس الشَّهيد (١٠٠-١٦٥م) هو أوَّل من أشار فعلاً إلى أنَّ القبلة المقدَّسة هي الممَّهَّد لتقديم القرايين في قُدَّاس الإفخارستيا^(١٠٠).

وبعد يوستينوس الشَّهيد بحوالي ستين سنة يشير هيبوليتس الروماني في كتابه "التقليد الرسولي" (٤: ١-٣) إلى أنَّ تقديم القرايين يكون بعد القبلة المقدَّسة مباشرة، فيقول:

"وعندما يُقسَّم أسقفًا، فليعط كلُّ واحد له قبلة السَّلام مصافحاً له، لأنَّه صار مستحقاً لهذا. وليُحضر الشَّمامسة له القرايين، ويضع يده مع كلِّ القسوس على القرايين ويشكر قائلاً: الرَّبَّ معكم. يقول الشَّعب: ومع روحك. يقول الأسقف: ارفعوا قلوبكم. يقول الشَّعب: هي عند الرَّبِّ. يقول الأسقف: فلنشكر الرَّبِّ. فيقول الشَّعب: مستحق وعادل. وبعد ذلك يستمر هكذا، ويقول ما يأتي بعد هذا كعادة القُدَّاس".

ومن هنا يتَّضح لنا أنَّ القبلة المقدَّسة قد صارت أحد الثَّوابت المستقرَّة في التقليد الليتورجي، حيث يلزم أن تأتي في هذا الموضع الطَّقسي تحديداً، أي قبل تقديم القرايين مباشرة، كما في طقس الإفخارستيا قبل نيقية، وذلك في كل مكان شرقاً وغرباً^(١٠١).

كما أننا نجد في قوانين الرُّسُل القبطية، أنَّ تقديم القرايين يكون بعد القبلة المقدَّسة، وليس قبلها، فيقول القانون (١: ٣٤) "وإذا فرغوا من

100- Ap. I. 65. ; Cf. Gregory Dix, Dom, *The Shape of Liturgy*, London, 1982, p. 108.

101- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 108.

الصلاة، يعطون السلام لبعضهم بعضاً بأفواههم (أي القبلة المقدسة).
وليدخل الشماسة بالقرابين إلى الأسقف (أي تقديم الحمل)، وليشكر
الأسقف على الخبز والكأس، ليصيرا جسد المسيح ودمه، هذا الذي أُهْرَقَ
عَنَّا كُلَّنَا، نحن الذين آمَنَّا به“.

أما القانون (٥٢:١) من قوانين الرُّسُل القبطية أيضاً فيوضح ذلك
الأمر بكلِّ جلاء، حين يذكر أنه بعد أن يقول الشماس: ”لنقف بخوف
ورعدة“، يقول ”بروسفارين“^(١٠٢)، ثم يقول القانون: ”وإذا تمَّ هذا
فليأت الشماس بالخبز للأسقف إلى المذبح...“ . وواضح هنا تماماً أن
تقديم الحمل يكون بعد نداء الشماس ”بروسفارين“^(١٠٣).

ولكن في غضون القرن الرابع الميلادي، وبالتحديد في سنة ٣٤٨م،
نقلت كنيسة أورشليم القبلة المقدسة لتكون بعد تقديم القرابين وليس
قبلها. وهو ما حدث في كنيسة أنطاكية في القرن الخامس الميلادي، حين
تبنت كنيسة أنطاكية طقس كنيسة أورشليم في نقل تقديم القرابين ليكون
قبل القبلة المقدسة. وهو نفس ما حدث أيضاً في كنائس ما بين النهرين،
وكنائس آسيا الصغرى، كما يصفها لنا أسقفها ثيودور (٤١٠م)^(١٠٤).

وفي غضون القرن الخامس أو السادس الميلادي، تبنت كنيسة

١٠٢- جاءت في المخطوطات في صيغة ”برسفارن“ وناسخ أحد هذه
المخطوطات يكتب بين السطور *prosferin*. ولتفصيلات أوفر انظر للمؤلف: كتاب
”قوانين الرُّسُل القبطية“.

١٠٣- انظر أيضاً الدسقولية، الفصل ٣٨
ومع ذلك تظل دراستنا، دراسة أكاديمية بحثية، لا تُبيح أيَّ تغيير في نصوص أو
طقوس الصلوات الليتورجية، لأنه أمر يختصُّ بالرئاسة الكنيسية فقط.

القسطنطينية عادة كنيسة أورشليم. ومنها انتقلت هذه العادة إلى كل كنائس الشرق^(١٠٥). بينما ظلت كنيسة مصر وحدها حتى ذلك الوقت (أي القرن السادس الميلادي أو بعده)، تحفظ القبة في موضعها الطقسي القديم قبل التقدمة^(١٠٦).

أي أن كنيسة الإسكندرية كانت آخر كنيسة في الشرق تُغيّر الموضع الطقسي القديم للقبة لتكون بعد تقديم القرايين وليس قبلها. ومع ذلك ظلّ مرد الشمّاس في الكنيسة القبطية محافظاً على الترتيب الطقسي القديم لهذه الجزئية من القدّاس الإلهي، حين يأتي النداء بالقبة المقدّسة، ثمّ يعقبه مباشرة النداء بتقديم القرايين^(١٠٧).

أمّا طقس كنيسة روما فقد نقل موضع القبة المقدّسة من مكانها الطقسي القديم أي قبل التقدمة مباشرة، حيث نقلها إلى ما قبل التناول من الأسرار المقدّسة، وذلك في غضون القرن الخامس الميلادي، وبالتحديد بعد سنة ٤١٦ م. وانتقل هذا التأثير الروماني إلى كنائس شمال أفريقيا،

١٠٥ - بل قد انتقل طقس كنيسة القسطنطينية في هذه الجزئية إلى الغرب أيضاً حيث تبني الطقس الموزارابي في أسبانيا الطقس البيزنطي بخصوص القبة المقدّسة، مع بعض الطقوس البيزنطية الأخرى، ربّما في القرن السادس الميلادي كنتيجة لاحتلال أسبانيا بواسطة الإمبراطورية البيزنطية تحت قيادة جستنيان Justinian.

Cf. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 109.

106- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 109.

١٠٧ - نفس هذا الأمر بعينه تكرر في كنيسة ميلان في الغرب، إذ أن كنيسة ميلان قد تبعت كنيسة روما في ترحيل القبة المقدّسة إلى أواخر القدّاس لتكون قبل التناول، برغم أن الشمّاس في كنيسة ميلان حتى اليوم ما زال يعلن النداء بالقبة في موضعه الطقسي القديم قبل التقدمة.

Cf. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 110.

وكنائس غربية أخرى.

وهنا نكتشف أن البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) كان مصيباً ودقيقاً غاية الدقة، حين يقول في قانونه الثاني عشر السابق ذكره: "ويكون القدّاس يوم الخميس الكبير برهبة وخوف وسكون، بغير تقبيل ولا مصافحة، ولا بروسفارين ... الخ".

وليس هذا فحسب، بل إن البابا خريستوذولوس يدون قانوناً في القرن الحادي عشر يشرح به طقساً قبطياً قديماً عرفته الكنيسة الجامعة قبل القرن الرابع الميلادي، وظلّ سائداً في كنيسة مصر حتى القرن السادس الميلادي أو بعده أيضاً. ومن هنا تبرز لنا أهمية هذه القوانين التي وضعها بطاركة الكنيسة القبطية في العصور الوسطى، لأنها تقنين لطقس الكنيسة القبطية الذي ساد فيها في قرونها الأولى.

وبرغم كل ذلك، فإن ابن كير (+ ١٣٢٤م) ومعه "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدّار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م" وباقي المخطوطات قيد الدراسة، يذكرون أن الشّمّاس يقول بروسفارين. وربما صار ذلك التّنبية الطّقسي الذي انتشر بدءاً من القرن الثالث عشر الميلادي، بسبب أن نداء الشّمّاس هذا، صار يعني في ذهن النّاسخ القبطي، أنّه تقدّم للتناول، وليس تقديم للقرايين. لأنّه إن كان هذا المرد يعني عنده تقديم للقرايين، إلّا أنّ عادة تقديم القرايين في هذا الوقت عينه قد توقفت في كنيسة مصر في غضون القرن السادس الميلادي. فترديد المرد "بروسفارين" أو عدم ترديده لا يُقدّم أو يؤخّر شيئاً، لأنّه صار مرداً مع إيقاف التّنفيذ، ومن ثمّ فإنّ عدم ترديده في خدمة هذا اليوم، هو الوضع الأوفق والأفضل، لأنّه يشرح لنا ما كانت تمارسه الكنيسة فعلياً في قرونها

الأولى، حين كانت تُتوقف ترديده، لتتوقف تقديم الشعب لقرابينهم.

ولكن لا يخفى علينا أن تتوقف الشعب عن تقديم قرابينه في ليتورجية هذا اليوم، لا يتعارض مع تقديم القرابين على المذبح، لأنَّ قرابين الشعب، لم تكن خُبزاً وخمراً يُقدَّمان في هذه اللحظة عينها للتقدّيس عليهما، بل كلُّ ما يلزم الكنيسة لقيام خدمتها كاملة، وما أكثر هذه العطايا والقرابين.

أي أنه يلزم التفريق بين تقديم الشعب لقرابينه على مدار السنة الليتورجية في هذا الوقت من القُدَّاس، بحسب الطُّقس القديم جداً، والتي يلخصها المرء "قَدِّموا على الرَّسْم"، وهو التقدّم الذي يتوقف في قُدَّاس هذا اليوم فقط، وبين القرابين التي تُرفع على المذبح في هذا اليوم، وهي الخُبز والخمر، والتي يقول عنها "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م": "يقرأ الكاهن أو شية الاستعداد وما بعدها ويُقدِّم القرابين". وهو ما يذكره كتاب دلال و ترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م (ص ١١٥): "يُقدِّم الكاهن الصَّعيدة كالعادة". وهو ما تقولُه معظم المخطوطات قيد الدِّراسة.

ولكن يبقى أماننا أمرٌ واحدٌ في هذه الجزئية، وهو أن البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) حين يقول بعدم ترديد الشَّمَّاس للمرد "بروسفارين" أي "قَدِّموا على الرَّسْم"، لم يقل بعدم ترديد الكاهن لأوشية القرابين، التي تأتي في نهاية صلوات الأواشي، والتي كان يلزم أن تتوقف هي الأخرى في خدمة هذا اليوم، لأنَّه كيف يقول الكاهن: "أذكر يارب الذين قَدِّموا لك هذه القرابين... الخ"، وفي ذات الوقت

غير مسموح للشعب بتقديم قرايينه في هذا اليوم؟.

إنَّ التَّطوُّرَ الطَّقْسِيَّ الذي طال بعض الممارسات الليتورجية في القُدَّاسِ الإلهي، والذي هو بمثابة طبقات مترابطة فوق بعضها البعض، تفصل بينها عشرات بل قُلُّ مئآت السنين أحياناً، مع ضياع مئآت من مخطوطاتنا، أو حرقها، أو تلفها، قد جعل من شرح بعض الممارسات الطَّقْسِيَّةِ أمراً في غاية المشقة، إن كنا لا نعرف معرفة واضحة ودقيقة لتاريخ الطَّقوس، ومراحل تتابعها وتطورها البطيء.

سابعاً: لا يقال مجمع القديسين في صلوات القُدَّاسِ الإلهي ليوم

الخميس الكبير

من أهمِّ السَّماتِ التي تميِّزُ خدمة هذا اليوم المقدس، هو إلغاء مجمع القديسين في القُدَّاسِ الإلهي. ومن المعروف لدينا أنَّ مجمع القُدَّاسِ الإلهي يُسمَّى أوشية الرَّاقدِين في القُدَّاسِ الكيرلسي.

وكما سبق أن ذكرتُ في البند السَّابق، فلأن الكنيسة تعيش الحدث الخلاصي، وكأنَّه يحدث لأول مرة، إذ لم يكن الصَّليب قد تمَّ بعد، ولم يكن دم المسيح قد أُهرق بعد. ومن ثمَّ فلم يكن المسيح قد نزل بعد إلى الجحيم من قِبَلِ الصَّليب ليُخرج منه الذين قبلوا كرازته، كقول بطرس الرسول: «فإنَّ المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله مماتاً في الجسد ولكن محيي في الرُّوح. الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السَّجن، إذ عصت قديماً حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح، إذ كان الفلك يبنى، الذي فيه خلَّص قليلون أي ثماني أنفس بالماء» (١ بطرس ٣: ١٨-٢٠).

فموت المسيح على الصَّليب هو الذي فتح باب الفردوس، وهو الذي أصعد المقبوض عليهم في الجحيم، والذين قبلوا كرازته ليدخلوا الفردوس، كما نقول في القُدَّاس الإلهي: "نزل إلى الجحيم من قِبَل الصَّليب". أي أن موت المسيح على الصَّليب صار هو بداية حياة الكنيسة غير المنظورة، أي كنيسة الأنبياء والشُّهداء والقديسين والأبرار المنتصرين (١٠٨).

فصار من البديهي أن يغفل طقس هذا اليوم أيَّة تذكارات للقديسين، وهذا هو السَّبب الذي لأجله لا وجود لذكصولوجيَّات القديسين، ولا لأرباع الناقوس، ولا لأي ترحيم أيضاً. فهذه كلها صارت بموت المسيح على الصَّليب، الذي لم يتم بعد، بحسب رؤية آباء الكنيسة في طقس هذا اليوم المقدَّس.

ومن أجل هذا لم تلغ الكنيسة أيَّة أواشي أو صلوات تختص بالكنيسة الحاضرة، فثقال الثلاث أواشي الكبار، وهي سلام الكنيسة والآباء والاجتماعات، وثقال الأواشي أيضاً في أواخر القُدَّاس الباسيلي، وهي تختص بأعضاء الكنيسة المنظورة، أمَّا أعضاؤها غير المنظورين، فقد أرجأت الصَّلَاة من أجلهم في هذا القُدَّاس.

وهنا يتَّضح أماننا مرَّةً أخرى أن إلغاء صلاة التَّحليل الثالث "أيها السيِّد الرَّبّ ..." يتماشى مع التَّقليد العام لهذا اليوم، حيث يرد في هذا التَّحليل ذكر الآباء الرُّسُل القديسين الذين بواسطتهم أعطى الرَّبّ للذين يعملون في الكهنوت أن يغفروا الخطايا على الأرض. وهذا لم يحدث إلا بعد موت الرَّبّ على الصَّليب وقيامته المقدَّسة. وهو نفس ما نجده في

١٠٨- شرحتُ هذه الجزئيَّة بتفصيل، عند الحديث عن السَّاعة التَّاسعة من يوم الجمعة العظيمة، وهي ساعة موت المسيح على الصَّليب، ونزوله إلى الجحيم.

التحليل الرابع الذي يرد به ذكرٌ لكثير من الآباء والقديسين.

ولدينا تليل لابن سباع عن سبب توقّف عمل الترحيم في هذا اليوم، فبعد أن يشير ابن سباع إلى قدّاس اللقّان الذي يصلّيه كبير الكنيسة، أو كبير الكهنة، يقول عن خدمة قدّاس هذا اليوم ما يلي بنصّه:

”... خدمة القداس التي للعشا السري من غير قرأت اسبسمس لاجل قبله يهوذا ولا ترحيم لاجل ان الترحيم والتجنيز يقدم ذكره في يوم احد الشعانين حتى لا يشارك حزن المسيح حزن اخر معه ...“ (١٠٩).

ثامناً: لا يقول الكاهن ”أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم“

بعد انتهاء الأواشي، لا يقول الكاهن المجمع كما سبق أن ذكرت، ومن ثمّ لا يقول الشعب المرد ”بركتهم المقدسة فلتكن معنا آمين ... يارب نيحهم آمين“. ولا يقول الكاهن أيضاً ”أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيحهم في فردوس النعيم، في كورة الأحياء إلى الأبد، في أورشليم السّمائيّة، في ذلك الموضع“.

أمّا تفسير ذلك فهو ما سبق ذكره للتوّ في البند السّابق، إذ لم يُفتح الفردوس بعد، إذ ظلّ الشّاروبيم حاملاً لهيب السّيف المتقلّب يقف حارساً شجرة الحياة، ومانعاً أي عبور إلى الفردوس، وذلك منذ أن طُرد آدم من الفردوس. ولكن بموت المسيح على الصّليب، فتح باب الفردوس مرّة أخرى، ودخل إليه اللّص اليمين أولاً، ويتبعه كل الذين قبلوا الإيمان بموت المصلوب على الصّليب، خلاصاً وغفراناً لكلّ العالم.

والملاحظة التي أوّد الإشارة إليها هنا - وهي خطأ شائع في كنائسنا

اليوم - هي أن القطعة التي سبق ذكرها، والتي يقولها الكاهن "أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم ..."، تُختتم دائماً في كافة مخطوطات الخولاجيات بل وفي الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م بعبارة "واهدنا إلى ملكوتك". حيث يأتي بعد ذلك المرد "كما كان كذلك يكون ... الخ".

وهذا التعبير "واهدنا إلى ملكوتك" لا يوجد إلا في القُدَّاس الباسيلي القبطي فقط، أمَّا قول الكاهن: "لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء ..."، فهي صلاة معروفة في الثلاثة قُدَّاسات القبطية.

وإن النص القبطي الصَّعدي للقُدَّاس الباسيلي لمخطوط الدير الأبيض بسوهاج، والذي يعود إلى القرن السادس الميلادي، يذكر نفس الأمر، حيث يقول: "أولئك نيحهم عندك. أمَّا نحن الغرباء هنا فاحفظنا في إيمانك، واهدنا إلى ملكوتك".

وهذه القطعة كلها تُلغى في قُدَّاس هذا اليوم، بما فيها عبارة "واهدنا إلى ملكوتك". لأنَّ الملكوت لم يُفتح بعد، لأنَّ الصَّليب لم يصبر بعد.

أمَّا الخطأ فهو أننا قد نقلنا تعبير "واهدنا إلى ملكوتك"، لما بعد مرد "كما كان هكذا يكون ..."، فصار للمرد مفهوم ليتورجي غير المفهوم المقصود به، كأنه مرد يختص بالمنتقلين والأحياء، وهو في الحقيقة مردٌ يختص بالله نفسه. فالنص اليوناني للمرد يقول: "كما كان ...". أي "كما كان (هو) (٢٧٧) (١١٠) هكذا يكون ...". فهو مرد تسييح وتقديس لله الآب الذي هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، وحيث تمجيد الآب، فهناك أيضاً وبالضرورة تمجيد الابن والروح القدس. لأنَّ «من لا يُكرم الابن لا يكرم

الآب الذي أرسله» (يوحنا ٥: ٢٣)، وأيضاً في قول الرَّبِّ «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠). فهو إذاً مردُّ ختاميٍّ للأنافوراً كلها، في تسبيح وتمجيد الثالث.

لأنَّه لو كان هذا المرد المذكور يختص بالمنتقلين، لكانت الكنيسة قد ألغته في خدمة قُدَّاس يوم خميس العهد، لأنَّه لا ترحيم في خدمة هذا اليوم كما سبق أن ذكرتُ غير مرَّة. وهذا يريك دقَّة التَّقليد الآبائي الذي حفظ لنا الطُّقس الكنسي في كثير من دقائقه الليتورجية.

تاسعاً: التَّنَاول من الأسرار المقدسة في يوم الخميس الكبير

عند ابن سباع نقراً: "يستتم (يُتَمَّم) القُدَّاس على سياقه إلى نهايته، ويقرب الشَّعب". بدون أن يضيف أي شيء آخر خلافاً لذلك.

وعند ابن كبر نقراً: "ويُكَمَّل القُدَّاس، ويُقَرَّب الشَّعب، ولا يُقال مزمور ١٥٠، ولا تسريح، بل فصلٌ من نبوَّة إشعياء النبي، وفصل من الزمور، وفصل من إنجيل يوحنا بلحن التَّجنيز، وهو ٣٢ منه". وواضح أن ابن كبر يحصر ما يُقال أثناء التَّنَاول، في نبوَّة واحدة، وآيات من مزمور، وفصل من الإنجيل بلحن التَّجنيز.

وهذا هو بعينه ما تذكره مخطوطات القطمارسات قيد الدِّراسة^(١١)، إذ تورد نبوَّة واحدة فقط. ولكن الملاحظة الجديرة بالانتباه هنا، والتي لم أجد تفسيراً لها حتى الآن، هي أن هذه المخطوطات تضع نبوَّة إشعياء النبي (١٣: ٥٢-١٠: ٥٣-الخ) لتقرأ بعد

١١١- أي "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، و "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، و "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".

المزمور وفصل الإنجيل. ولاحظ أنَّ أيَّ منها، هي مخطوط قطمارس، أي أنَّ القارئ سيلتزم حتماً بهذا التسلسل. كما يجب أن نلاحظ أيضاً، أننا إزاء طقس قديم يرقى إلى القرن الثاني عشر الميلادي. وفوق هذا، إذا ربطنا ما يقوله ابن كبر، بما تذكره مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة، نجد أننا لسنا إزاء تتميم السَّاعة الحادية عشرة من يوم الخميس الكبير، كما يجري في سواعي البصخة، بل ينحصر الطَّقس في قراءات من آيات من المزامير، ثمَّ فصل الإنجيل المقدَّس، ثمَّ نبوءة من إشعياء النبي. ربَّما يكون هذا هو الطَّقس القديم.

وإنَّ جئنا إلى "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م"، فنقرأ فيه ما يلي: "وفي وقت التناول لا يُقال ... $\text{C}\mu\text{o}\nu\ \epsilon\ \Psi\text{t}$ (١١٢) بل يقرأون النبوءات المعروفة بهذا النَّهار ويفسرونها (١١٣). ويُقرأ المزمور الأدرسي ويُقال $\text{K}\epsilon\ \text{v}\text{p}\text{e}\text{r}\ \text{t}\text{o}\nu$... (١١٤) ويقرأون الإنجيل بلحن التَّجنيز كعادة البصخة ويفسَّر عريباً. وعند انتهاء السَّرائر المقدَّسة يقول الكاهن البركة ولا يعطي التَّسريح. وينصرف الشَّعب بسلام. ولربَّنا المجد دائماً إلى الأبد. آمين."

فهل ما سبق ذكره، يشرح لنا التَّطوُّر الذي عبر عليه وقت التوزيع في نهاية قُدَّاس يوم خميس العهد؟.

إنَّ مخطوط ترتيب البيعة يتكلَّم عن تتميم صلاة السَّاعة الحادية عشرة من يوم الخميس الكبير، بحسب طقس سواعي البصخة المقدَّسة. وليس من

١١٢- أي: "سبحوا الله ...". وهو المزمور المائة والخمسون.
١١٣- في المخطوط: "بل يقرأوا النبوءات المعروفة بهذا النَّهار ويفسروا".
١١٤- وهي مقدِّمة الإنجيل في أسبوع البصخة المقدَّسة.

الصَّعب أن يلاحظ القارئ أنه طقس لا يعود إلى قرون مبكّرة، بل هو وليد القرون الوُسطى، لسبب أنه في القرون الأولى للمسيحية، كانت سواعي البصحة تُعمل كل ساعة منها في وقتها المختص بها، ثمَّ ينصرفون لحين ميعاد السّاعة الثّالية. أي أنهم كانوا يجتمعون في الكنيسة خمس مرّات في النّهار وخمس مرّات في اللّيل. بمعنى أن دمج سواعي البصحة مع بعضها البعض أو تقسيمها على فترتين أو ثلاثة أو أكثر، هو تطوّر متأخّر.

وهو ما يقوله "مخطوط دير البراموس لسنة ١٥١٤م" حيث يقول: "... وترتيب الصّلوات بقية الجمعة، الاثنين والثلاثاء والأربعاء على الشّرح المذكور ليلاً ونهاراً، خمس صلوات بالليل، وخمس صلوات في النّهار. في أوّل اللّيل يعملون الصّلاة الأولى والثالثة، وفي نصف اللّيل يعملون الثّلاث صلوات، وهم السّادسة والتّاسعة والحادية عشرة. وأوّل النّهار سحراً جداً يعملون صلاة باكر وينصرفون بسلام. ثمَّ يحضرون السّادسة من النّهار يعملون الثّالثة والسّادسة ويمضون، ثمَّ يحضرون العاشرة من النّهار يعملون التّاسعة والحادية عشرة، ويمضون بسلام. هذا في العالم. وأمّا في الديّارة فتعمل كل صلاة في وقتها، فإن ما لهم شيء يعيقهم عن ذلك" (١١٥).

ومن ثمَّ فإنَّ دمج السّاعة الحادية عشرة من يوم الخميس الكبير لتصلّى في وقت التّناول من الأسرار المقدّسة، ربّما يكون قد ظهر في غضون القرن الثّاني عشر للميلاد. فقد اعتادت الكنيسة أن تولي وقت التّناول من الأسرار المقدّسة كلّ اهتمامها وانتباهها، فكلُّ ألحان ومردّات التّوزيع أثناء التّناول تدور حول سرِّ جسد الرّب ودمه الأقدسين، أمّا أن ننصرف عن التّناول لممارسة أمر آخر، يُبعد انتباهنا عن السرِّ المقدّس، فهذا أمرٌ تنفرد

به إِفخارستِيَّة هذا اليَوْم.

وأظنُّ أن سبب ما تذكره مخطوطات ترتيب البيعة، ومعها المخطوطات الأخرى قيد الدِّراسة، عن تميم صلاة السَّاعة الحادية عشرة من يوم الخميس الكبير، أثناء تناول الأسرار المقدَّسة، هو أن تدوين هذه المخطوطات قد بدأ مع الزَّمن الذي فيه كان يوم خميس العهد مشحوناً بكم ضخّم من الصَّلوات، ولاسيّما طبخ الميزون المقدَّس، والذي كانت مرحلته النَّهائيَّة تتم هذا اليَوْم.

فالواقع العملي آنذ، هو الذي فرض هذا الأمر، لأنَّ الوَقْت ضيقٌ، سواء لمناولة أعداد المتناولين الكثيرة من جهة، وأيضاً لكم الصَّلوات الطَّقسيَّة في هذا اليَوْم من جهة أخرى. فبعد خروج الكنيسة، ستعود بعد وقت قليل لتكميل صلوات سواعي البَصخة المقدَّسة من ليلة يوم الجُمعة العظيمة. ومن ثمَّ كان هذا المزج المذكور.

ولكن وقد تغيَّرت الطُّروف، وأصبح طبخ الميزون المقدَّس يتم بعيداً عن يوم خميس العهد، فلم يُعد من مانع أن يحتفظ وقت التَّنال من الأسرار المقدَّسة باستقلاليَّة كاملة، مع ألحانه السنويَّة المعتادة، على أن تُصلَّى السَّاعة الحادية عشرة من يوم خميس العهد بعد العودة إلى الكنيسة مرَّة أخرى، بعد استراحة قصيرة.

وإن كانت كنائس المُدن تضيق بالوقت لكثرة المتناولين في هذا اليَوْم من جهة، وقلة عدد الكنائس من جهة أخرى، فالأمر مختلف فيما يختص بكنائس الأديرة، لأنَّ الرُّهبان يتفرَّغون تماماً في هذا الأسبوع لصلوات الكنيسة، وليس لديهم شيء يشغلهم عن ذلك.

والخلاصة؛ لستُ أجد من مانع طقسي، أن يُردّد المزمور المائة والخمسون في أثناء التوزيع، وبلحنه السنوي المعتاد، ومن بعده **Κεμαρωτη** "مبارك أنت بالحق مع أيك الصالح ..."، ومن بعده تُقال قطع **Πρωικ** (بي أويك) أي "خبز الحياة الذي نزل من السماء وهب الحياة للعالم ... الخ". حيث تُرجأ الساعة الحادية عشرة من يوم الخميس الكبير لحين العودة مرّة أخرى إلى الكنيسة بعد استراحة قليلة^(١١٦). ويقى الأمر في النهاية بيد الرئاسة الكنسية وحدها.



وفي الكنيسة
اليونانية يردّد كلُّ
المتناولين كل في دوره
عند التناول: "أقبلني
اليوم شريكاً لعشائك
السري، يا ابن الله، لأني
لستُ أقول سرّك
لأعدائك، ولا أعطيك
قُبلة غاشة مثل يهوذا،
لكني كاللص أعترف لك
هاتفاً: اذكرني يارب متى
أتيتَ في ملكوتك". وهي
لهذا اليوم.

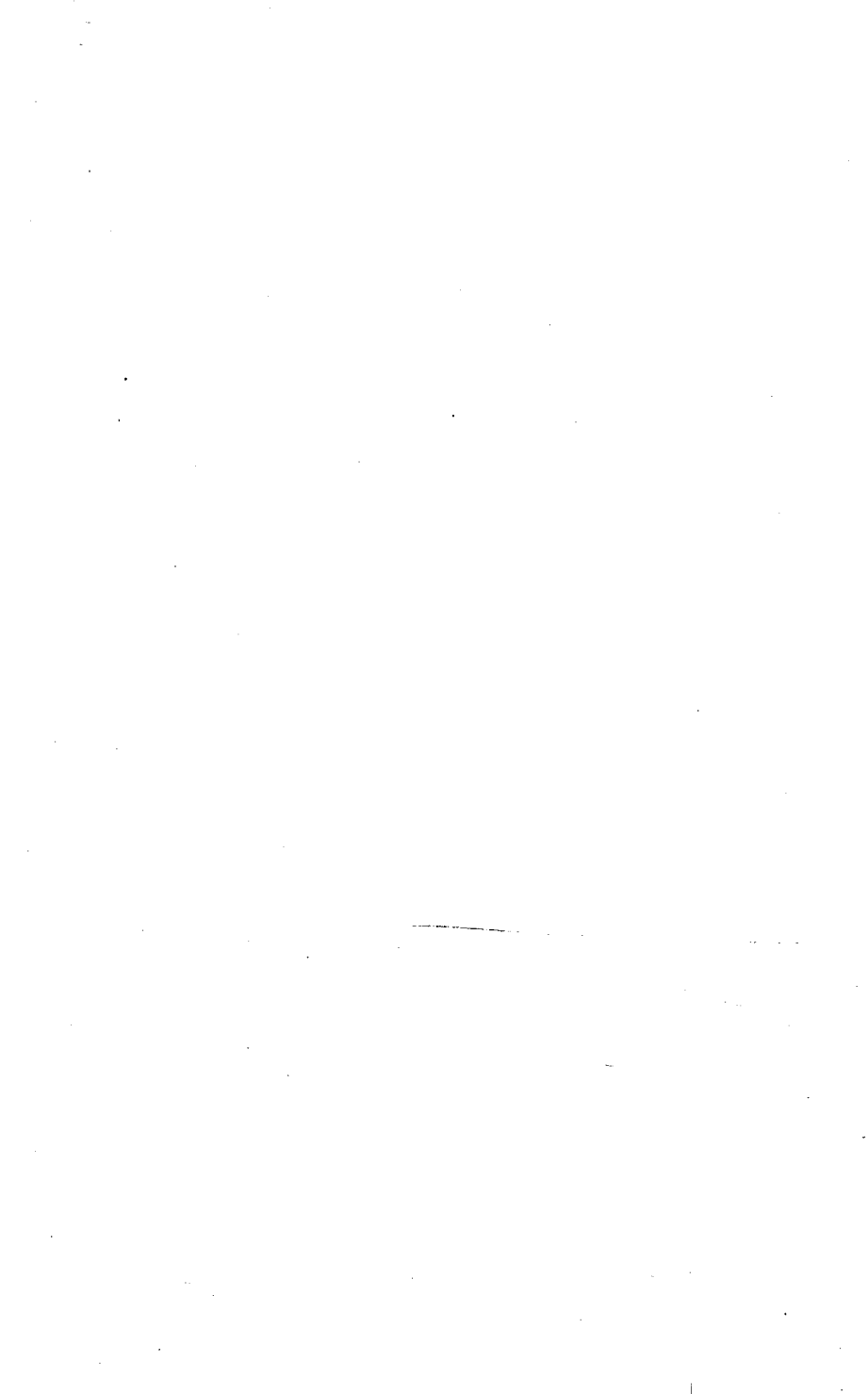
نفس الترتيلة التي تُقال في الخدمة الليتورجية

١١٦- هذا هو ما تجري ممارسته حالياً في كنيسة دير القديس أنبا مقار بديره،

بريّة شيهيت.

الباب الثاني

يوم الجمعة العظيمة



الفصل الأوّل
رؤية عامة ليوم الجمعة العظيمة

”رفع قدسيه إلى العُلا معه، وأعطاهم
قرباناً لأبيه^(١) بذوقه الموت عنا^(٢) .. خلَّص
الأحياء، وأعطى التَّيَّاح للذين ماتوا“ .
(قسمة عيد القيامة والخمسين المقدَّسة)

إنَّ شكل المصلوب يُطبل كلَّ
فكرة تتخذ من النَّجاح معياراً لها.
ديتريش بوهوفر

تمهيد

يومُ الصَّليب، يومُ الفداء، يومُ الخلاص والبراءة. يومٌ، مادت فيه
الأرض، وتزعزت أساسات السَّماء، فالإله مرفوعٌ على خشبة بين
السَّماء والأرض.

هذا هو يومُ احتجاج وجه الآب عن ابنه، حتى أظنُّ أن كلَّ آلام
الصَّليب وأهواله لم تكن تساوي تلك اللَّحظة الرَّهيبية التي صرخ فيها
المسيح الإله مخاطباً أباه: «إلهي إلهي لماذا تركتني»^(٣). هنا ذروة آلام
الصَّليب، حين صرخ المسيح من داخل ظُلمة، غشيت كلَّ الأرض، هي
ظُلمة احتجاج وجه الآب عن ابنه، حين رأى الذي بلا خطيئة وحده

١- ١ بطرس ٣: ١٨

٢- عبرانيين ٩: ٢

٣- «لا تصرف وجهك عني فأشابهه الها بطين في الحب» (مزمو ١٢٤: ٧).

يحمل في نفسه كلَّ خطايا البشرية. أمَّا الشَّمْس فقد رفضت أن ترى خالقها مصلوباً، فأظلمت^(٤)، وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصُّخُور تشققت، والقبور تفتحت، كيف لا، واليَوْم هو يوم موت ابن الله بالجسد.

لقد ذاق المسيح كأس آلامه حتى الثمالة من أجلي أنا الخاطيء، لأنَّها هي آلامي التي حملها هو عني. فأنا الذي أخطأتُ، وهو الذي صُلب لأجلي^(٥). أطمعني خبز الحياة، فأطعمته مرارة شقائي. سقاني كأس حبه، فسقيته خللاً ممزوجاً بمر جهالتي^(٦).

هذا هو يومُ المهانة والخزي والازدراء، يوم اللطم والبصاق والضرب^(٧). يوم إكليل الشوك والجلد والمسامير^(٨)، يوم الحربة التي نفذت إلى قلب الحبيب، فسال منه ماءً طهارتي، ودمٌ تقديسي. هذا هو يوم الصَّليب، الذي كان أصلاً صليبي.

هذا هو يومُ سلطان ساعة الظلمة التي غطت الأرض على مدى ثلاث ساعات وحسب، لأنَّها لم تقدر على الصُّمود أكثر من ذلك الوقت، فانقضت الظلمة ليشرق نورُ عهد جديد^(٩)، فأضاء نورُ الصَّليب

٤- «ويكون في ذلك اليوم يقول السيد الرب: تغيب الشمس وقت الظهر، ويظلم النور على الأرض في النهار» (عاموس ٨: ٩).

٥- «لأجل آثام الشعب جاء إلى الموت» (إشعيا ٥٣: ٨).

٦- «جعلوا في طعامي مرارة، وفي عطشي سقوني خللاً» (مزمو ٦٨: ١٩).

٧- «بذلت ظهري للضرب، وخذيت للطم، ولم أزد وجهي عن خزي البصاق» (إشعيا ٥٠). «أبغضوني وابتعدوا عني، ولم يشفقوا، وبصقوا في وجهي» (أيوب ٣٠: ١٠). «أمَّا أنا فمستعد للسياط، ووجعي مقابل كل حين» (مزمو ٣٧: ١٧).

٨- «جعلوا مسامير في جسدي» (مزمو ٣٧: ٢١). «تقبوا يدي ورجلي، وأحصوا كل عظامي» (مزمو ٢١: ١٦).

٩- «ويحدث أنه في وقت المساء يكون نور» (زكريا ١٤: ٦).

على الجالسين في الظلمة وظلال الموت. نورٌ، لن تكتنفه ظلمة بعد، وإلى أبد الأبدين، لكل الذين ثَبَّتُوا أنظارهم على الصَّليب.

من يرفض الصَّليب يرفض المسيح، لأننا نركز بالمسيح مصلوباً. ومن يرفض المسيح المصلوب يرفض الكنيسة التي اشتراها المسيح بدم صليبه. أمَّا أنا فحاشا لي أن أفتخر إلاً بصليب ربي يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم.

أأنت عطشانٌ يا حبيبي، وينابيع المياه كلها تدفق من بين يديك؟. أنا أعرفُ أنك لستَ عطشاناً إلى الماء بل إليّ، إلى حُبِّي، إلى خلاصي. ها قد أتيتُ إليك فارتوي بتوبتي وخلاصي، فترتوي أنت وأخلص أنا. واسترح الآن ربي وإلهي وأمل رأسك، وكفأك عطشاً وألماً لأجلي^(١).

أحداث هذا اليوم المهيّب

القبض على يسوع

بعدما أكل مَخْلُصُنَا له الجمد الفصح مع تلاميذه بأورشليم، سَبَّحُوا وخرجوا إلى جبل الزيتون، إلى عبر "وادي قدرون". وكان هذا الوادي عميقاً. ووادي قدرون هو نُحْرٌ يجف صيفاً، فيترك قاعه جافاً كالوادي ليمر المارة عليه. ويُسمَّى هذا الوادي بالوادي الأسود. وكان موقعه بين أورشليم وجبل الزيتون، وهو يمتد شرقي المدينة. وعندما يمتد هذا الوادي ليفصل بين سور المدينة من الجانب الغربي وبين جبل الزيتون يُسمَّى "وادي يهوشافاط"، ثم ينحدر هذا الوادي إلى مار سابا حيث يُسمَّى "وادي

١٠- «في يديك استودع روحي، ولقد فديتني أيها الرب إله الحق» (مزمر ٣٠: ٣، ٤).

الرَّاهِبَ“. ومن ثمَّ يمتد إلى بحر لوط، وهناك يُسمَّى ”وادي النَّار“، وهو يُسمَّى أيضاً ”وادي الأرز“، وهو يُسمَّى الآن ”وادي سَتي مريم“.

وفي هذا الوادي احترقت تماثيل معكة^(١١)، وطُرحت جميع أدوات العبادة الباطلة التي تَنجَس بها هيكل الرَّب^(١٢). ثمَّ صار ذلك الوادي مكاناً للمقابر. وقد عبره داود لما هرب من وجه أبشالوم^(١٣)، وكذلك السيِّد المسيح لما ذهب إلى جثسيماني^(١٤)، وهو عالمٌ أنَّ يهوذا يعرف هذا المكان، لأنَّ ساعته كانت قد جاءت ليقدم ذاته ذبيحة عن حياة العالم كله.

وإذ وصل الجند^(١٥) σπειρα والقائد^(١٦) χιλίαρχος وخُدام اليهود^(١٧) ὑπηρέται مع يهوذا، حاملين مشاعل ومصاييح، خرج يسوع لاستقبالهم، أي على باب جثسيماني، ممَّا يتَّضح معه أنَّه كان بستانٍ محاطٍ بسور، وله باب. وسألهم يسوع من تطلبون؟، وإذ عرفهم بذاته، رجعوا إلى الورا وسقطوا على الأرض. فاشترط عليهم يسوع، أنهم إن كانوا يطلبونه، فليدعوا التلاميذ يذهبون، وأسلم نفسه إليهم.

١١- ١ملوك ١٥: ١٣؛ ٢أيام ١٥: ١٦

١٢- ٢أيام ٢٩: ١٦، ٣٠: ١٤؛ ٢ملوك ٢٣: ٤، ٦، ١٢؛ ٢صموئيل ١٥: ١٣؛ ٢ملوك

٢٣: ١٢؛ ٢أيام ١٥: ١٦

١٣- ٢صموئيل ١٥: ٢٣، ٣٠

١٤- يوحنا ١٨: ١

١٥- ”الجند“ في اليونانية σπειρα ويقابلها في اللاتينية menipulus وتعني

الأورطة، وتعدادهم حوالي ٢٠٠ جندي.

١٦- القائد في اليونانية χιλίαρχος والكلمة اليونانية تعني أنه رئيس ألف، وهي

رتبة كبيرة.

١٧- خُدام اليهود في اليونانية ὑπηρέται وتعني officers أي ”ضباط“. وهؤلاء بعضهم ضباط رومانيون مكلفون بخدمة حراسة الهيكل، ولكنهم كانوا يأتمرون بأمر أعضاء السنهدريم لحفظ الأمن في الهيكل، خاصة في أيام الأعياد.

وهرب التلاميذ، غير أن بطرس ويوحنا تبعوا يسوع إلى دار رئيس الكهنة. وكان من عادة أعضاء ذلك المجلس، أن يجتمعوا في إحدى ديار الهيكل، ولكن كان يجوز لهم الاجتماع في دار رئيس الكهنة. ولعل غاية اجتماعهم هذا، هو إخفاء مشورتهم عن الشعب، لأن ديار الهيكل كانت في ذلك الوقت غاصة بالناس في أيام الفصح.

محاكمة يسوع أمام رئيس الكهنة

تولّى هارون رئاسة الكهنوت^(١٨)، وكان هو أول رئيس كهنة. وفي القرون الأولى من تاريخ الإسرائيليين، كان الأكبر من سلالته يرث الكهنوت^(١٩). ولما استولى عليهم ملوك اليونان، صاروا يبيعون لهم تلك الوظيفة لمن يدفع فيها ثمنًا أوفر. وبعد أن استولى عليهم الرومانيون، أخذوا يعزلون الرئيس وقيمون غيره كما يريدون، غير مراعين أهلية ومقدرة الشخص المرغوب فيه، واستمرت هذا العادة من عصر هيرودس الكبير إلى زمان خراب أورشليم.

ويظهر أن حنّان كان ذا سطوة عظيمة وجاه عريض، حتى تحصّل على رئاسة الكهنوت في سنة ٧ ميلادية، واستمرّ حتى السنة ١٤-١٥ ميلادية، حينما أسقطه فاليريوس جراتوس الحاكم السابق على بيلاطس. من بعده تقلّد ابنه أليعازر رئاسة الكهنوت مدّة سنة واحدة، أي إلى سنة ١٦-١٧ ميلادية. ومن بعده جاء يوسف قيافا نسيبه - والذي تزوّج ابنته - وبقى في الرئاسة حتى سنة ٣٥-٣٦ ميلادية. ومن بعده توالى على الرئاسة خمسة آخرون من أولاده، أي أولاد حنّان، وهم: أليعازر (١٦-

(١٧م)، يونانان (٣٦م)، ثاؤفيلس (٣٧-٤١م)، متياس (٤١-٤٤م)، وحنان الصَّغير سنة ٦٢م الذي حمل اسم أبيه.

وقد وردت إشارات في التَّلמוד، تفيد أن رؤساء الكهنة في أيام حنَّان وبقيادته كانوا بمثابة عصابة لها الصِّفة الدِّينية شكلاً فقط، وكانت غير وطنية، يحتكرون الرِّمانيات، وأغلبهم دُخلاء، أي ليسوا من فلسطين أصلاً. ويُقال أن حنَّان من الإسكندرية، وقد استدعاه هيرودس ليعاونه في خططه، وكانت الحكومة تناصرهم. وكان حنَّان محور النِّشاط السِّياسي للسَّهديم، والذي كان شبه معطل رسمياً في ذلك اليوم.

وكان كلُّ من أخذ تلك الوظيفة، يلقَّب برئيس الكهنة، ويجلس في المجلس الكبير طول أيام حياته، حتى ولو عُزل. وهكذا جرى مع حنَّان، فإنه دُعي رئيس كهنة، مع أنَّه كان قد ترك الوظيفة وقتئذ، لنسيبه قيافا.

ولكن يسوع قدَّم للمحاكمة أولاً أمام حنَّان، ولم يكن ذلك بناءً على أية وظيفة رسمية كان يقوم بها حنَّان في ذلك الوقت، بل لأنَّ قيافا كان مديناً لصره حنَّان بمركزه الذي رفعه إليه، كرئيس كهنة، وهو هنا يرد الجميل الذي ناله على يديه. ثمَّ أخذوا السِّيد موثقاً إلى قيافا^(٢٠)، وكانت ”دار حنَّان“ و”دار رئيس الكهنة قيافا“ هي دارٌ واحدة، وكان كلُّ منهما يباشر مهامه في مكان منفصل داخل الدَّار الواحدة، وكانت قاعة المحكمة مشتركة بينهما. فالمسيح له الحمد لم ينتقل من دار رئيس الكهنة إلى مكان آخر، بل انتقل من أمام حنَّان إلى أمام قيافا في نفس الدَّار. وإلى الآن، ومن واقع الآثار، مسجَّل على خريطة أورشليم موضع دار رئيس الكهنة، ومكتوب عليه ”قصر حنَّان وقيافا“.

وقيافا هذا هو الذي قال «خير لكم أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها» (يوحنا ١١: ٥٠). وهو صدوقي المذهب، أي لا يؤمن لا بالملائكة ولا بالقيامة. وقد عُزل من رئاسة الكهنوت بواسطة فيتاليوس أو فالاريوس سلف بيلاطس في حكومة اليهودية، وذلك بعد ست سنين من صلب المسيح له المجد.

واجتمع مجمع السنهدريم، أو مجمع السبعين، وعقدوا جلسة استعدادية غير رسمية في دار رئيس الكهنة، وبقي مخلصنا أمامهم طيلة الليل إلى قرب الفجر. ومن المعروف في التاريخ اليهودي أن السنهدريم، وهو الجهة القضائية العليا، المنوط بها الفحص والحكم في القضايا الكبرى التي تختص باليهود، قد توقّف عن العمل أربعين سنة قبل خراب أورشليم، أي في أيام المسيح. وقد مُنع من الاجتماع في الدار المخصصة بالسنهدريم المسماة "جازيت" Gazit كذلك فإنه بحسب التقليد اليهودي، كان لا يجوز لمجمع السنهدريم أن يحكم بالموت، إلا من داخل داره الرسمية هذه المسماة جازيت، ولذلك اجتمع اجتماعاً غير قانوني في دار حنان المتسعة، بناء على استدعاء رؤساء الكهنة، وذلك بعد منتصف الليل للتصديق الشكلي على أحكام رؤساء الكهنة.

ونورد هنا من واقع كُتُب المشنا، القوانين اليهودية التي كان معمولاً بها في ذلك العهد تقريباً. علماً بأنه من العسير تحديد زمان كتابة هذه القوانين التي جاءت تحت رأس عنوان هو "السنهدريم".

(١) القضايا الخاصة والمخالفات الرئيسية، يصير الحكم فيها بواسطة مجمع من ثلاثة وعشرين عضواً (الفصل الأول. مقطع ٤).

(٢) القضايا الخاصة بمحاكم ادعاء النبوة - أي النبوة الكاذبة -

يصير الحكم فيها على وجه الخصوص، بحضور المجمع الكبير السنهدريم، أو واحد سبعين عضواً (الفصل الأول. مقطع ٥)

(٣) بخصوص الشهود، يلزم أن يفحصوا بدقة وعلى انفراد في جميع الأحوال. على أن اتفاق اثنين منهم يُعتبر كافياً وصحيحاً (فصل ٣. مقطع ٦؛ فصل ٥. مقاطع ١ وما بعده).

(٤) في القضايا الرئيسية، يُختبر اليهود اختباراً خاصاً من جهة دوافعهم التي أتت بهم للشهادة، ويحذروا من جهة خطورة هلاك النفس (الفصل ٤. مقطع ٥)، على ألا تُقبل شهادة عن طريق السماع المنقول.

(٥) يجلس القضاة على شكل نصف دائرة، على أن يجلس الرئيس في الوسط، حتى يواجه الكل بعضهم بعضاً وجهاً لوجه (فصل ٤. مقطع ٣).

(٦) في القضايا الرئيسية، يُرتب كل شيء، حتى يُعطى للمتهم حق الاستفادة من جنوح القضية نحو الشك، وحينئذ تؤخذ أصوات المبرئين أولاً (فصل ٤. مقطع ١).

(٧) في القضايا المدنية، يمكن أن تستمر المحاكمة ويُفرغ منها في الليل، على أن التقرير يمكن أن يخرج في نفس يوم فحص القضية.

(٨) في القضايا الرئيسية، تصير المحاكمة فقط في النهار، بينما الحكم بالبراءة يمكن أن يُنطق به في يوم القضية نفسه. ولكن التُّطق بالاتهام والإدانة لا يُنطق به إلا في اليوم الثاني للقضية. على أن مثل هذا القضايا لا يجوز فحصها مساء السبت، ولا في عيد (الفصل ٤. مقطع ١؛ الفصل ٥. مقطع ٥).

(٩) في حالة الاتهام، يلزم أن يُمنح المتهم أربع أو خمس مرّات حسب

مقتضيات الحاجة، ليأتي بحجج والتماسات جديدة (فصل ٦. مقطع ١).

(١٠) في ختام الاتهام والإدانة، يُستحث المتهم أن "يعترف" حتى لا يهلك فيما بعد (فصل ٦. مقطع ٢).

(١١) يتقدم المدان مناد، ويقول بصوت عال: إن فلان الفلاني، ابن فلان الفلاني، ذاهب للرجم بسبب كذا وكذا من السيئات. والشهود عليه هم فلان وفلان، وكل من يستطيع أن يُدلي ببيانات تُثبت براءته، فليتقدم ويعطي الأسباب (فصل ٦. مقطع ١).

(١٢) في قضايا التجديف، يُفحص الشهود فحصاً شديداً فيما يخص اللغة التي استخدمها المتهم، فإذا ثبت صحة شهادة الشهود ثبوتاً قاطعاً، يقف القضاة ويشقون ثوبهم^(٢١) (فصل ٧. مقطع ٥).

(١٣) المجدّف يُرجم (فصل ٧. مقطع ٤).

(١٤) بعد رجم المجدّف، يُعلّق على المشنقة (فصل ٦. مقطع ٤)، وينزل عنها في المساء، ليُدفن في مقبرة عامة، تُعدّ خصيصاً لهذا الغرض (فصل ٦. مقطع ٥).

إصدار الحُكم على يسوع

كان القانون اليهودي - بحسب التلمود أيضاً - يحظر إصدار حُكم بالموت أثناء الليل. وهكذا عُقد السنهدريم بكامل هيئته في الصباح، ليوافقوا على حُكم الليل، لمجرد استيفاء الشكليات القانونية. ولكن ظل

٢١- يقول العلامة أدرزهايم اليهودي المنتصر: إن رئيس الكهنة إزاء التجديف، يقف علناً، ويشق ثوبه الخارجي وثوبه الداخلي شقاً لا يمكن إصلاحه.

القرار الذي أخذوه بالإجماع في الصُّباح مخالفاً لنصِّ القانون اليهودي، وهو أن حُكماً بالموت، لا يصدر في يوم المحاكمة، إذ لا بد أن يُوجَّه إلى يوم آخر غير يوم المحاكمة. وهكذا شهد القضاء اليهودي على نفسه بالفساد.

إنكار بطرس ليسوع

وقبل بزوغ الفجر، أنكر بطرس سيِّده، وفي وسط هذا الجو المشحون بالتوتر من قبل مجمع السنهدريم، نظر يسوع إلى بطرس نظرة لم يفهمها غيره، خرج على توَّها إلى خارج، ذارفاً الدَّمع الثَّخين.

إقامة شهود زور

وهكذا ظلَّ السنهدريم طول الليل يبحث عن علة واحدة توجب الموت على يسوع، فلم يجدوا، فأقاموا شهود زور، فلم تتفق شهادتهم ضد يسوع، فتحيروا.

تمزيق رئيس الكهنة لثيابه

فسأله قيافا: أأنت المسيح ابن الله؟ فلما أجاب يسوع على السؤال، تظاهر قيافا بالاشتمزاز من جوابه، وحسبه تجديفاً، فمزَّق ثيابه (٢٢) بدون أن يدري أنه مزَّق الكهنوت اللاوي إلى الأبد. وقال: إنه غير محتاج إلى شهود.

الحكم بالموت ليسوع مصلوباً

فحكّموا بالإجماع على يسوع بالموت (٢٣)، غير أنه لم يكن لهم ولا

٢٢- كانت عادة تمزيق الثياب مألوفة كتعبير عن الحزن عند اليهود (٢ملوك

١٨: ٣٧، ١٩: ١).

٢٣- يوحنا ١٩: ٧؛ مرقس ١٤: ٦٤

لرؤسائهم قوّة تنفيذ هذا الحكم، فأخذوا يسوع إلى بيلاطس الحاكم الروماني لكي يأمر بصلبه، وذلك لأنّ الحكومة الرومانيّة قد نزعت من السنهدريم حقه الشرعي في الحكم على الدعاوى الجنائيّة التي تستوجب الموت قبل هذا الوقت بقليل، أي منذ سنة ٢٧/٢٦ ميلاديّة تقريباً. وكان ممكناً لأعضاء المجلس أن يأمرؤا الناس برجم يسوع على رغم الحكم الرومانيّ، كما فعلوا بعد ذلك مع إسطفانوس، أو أن يستأذنوا بيلاطس في ذلك، ولكنهم لم يفعلوا هذا خوفاً من كثيرين من الشعب. وكان القانون عند الرومانيّين في مثل هذه الحادثة، يقضي على المجدّف بالموت صلباً.

ندم يهوذا بعد فوات الأوان

حينئذ لما رأى يهوذا أنّه قد دين، ندم وردّ الثلاثين من الفضة (٢٤)،
وإذ أراد التوبة لم تسعفه دموعه كبطرس، فهلك بإثمه.

إرسال يسوع إلى بيلاطس الوالي

وأرسل المخلّص إلى الوالي الروماني، صحبة كلّ الجمع الكبير (٢٥)،
ولكنهم - ويا للعجب والتناقض - لم يدخلوا إلى دار الولاية لئلا
يتنجّسوا فيأكلون الفصح، وقد جاءوا يطلبون دماً بريئاً، لا زالت أيديهم
ملطّخة به إلى هذا اليوم (٢٦).

٢٤ - لوقا ٢٣: ١

٢٥ - متى ٢٧: ١

٢٦ - يقول القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م): [أحضره إلى بيلاطس معتقدين بجنونهم أحم لن يحملوا وزر إهراق دمه ظلماً، ما داموا لم يسفكوا دمه بأيديهم، فأحضره ليقتل بيد آخر، مع أنّ الذي أضمره في قلوبهم، مخالفٌ بجملمته لقانون موسى].

وكانت دار الولاية هي المقر الرسمي في قصر خاص، كان قد بناه هيرودس الملك على التلال الغربية الشمالية لمدينة أورشليم، إلا أن بيلاطس كان يتخذ من قلعة أنطونيا في الشمال الشرقي مقراً له. أما مقره الدائم فكان في مدينة قيصرية، ولكنه كان ينتقل إلى مقره الرسمي إلى أورشليم في الأعياد، ليشرّف بنفسه على الأمن والنظام، لأن المدينة حينذاك تكون مكتظة باليهود الآتين من الشتات، الذين يبلغ عددهم في الفصح ما يقرب من ثلاثة ملايين.

فذهبوا إلى دار الولاية في وقت مبكر للغاية، مع أن القانون الروماني ينص على انعقاد المحكمة بعد شروق الشمس على كل حال، ولكن يبدو أنهم كانوا على ميعاد مع بيلاطس، وأنه هو الذي أرسل الجامية العسكرية. وكان حنان على صلة بكل الذين في دار الولاية، وكان يرشو الجميع بالأموال.

وكان كرسي الولاية في موضع يُقال له البلاط، وبالعبرائية جبّاثا، وهو في اليونانية Λιθόστρωτον ومعناها "الرّصيف الذي يتبع البيت"، وهو مكان مستدير مرتفع، يقع بين قلعة أنطونيا وبين الهيكل.

أما بيلاطس، فهو خامس والي على البلاد، أي اليهودية التي هي الجزء الجنوبي من فلسطين، وعاصمتها أورشليم. وقد عينه طياربوس قيصر، وظل في الحكم من سنة ٢٦م إلى سنة ٣٦م. ويصفه العلامة فيلو اليهودي الإسكندري (١٣ق.م-٥٠ه.م) أنه "متغرس، إنسان لا يمكن أن يُضبط، يبغض العوائد اليهودية المتعصبة المتحيزة، وقد اشتبك كثيراً مع اليهود، فأظهر طباعاً شرسة. له نوبات من الغضب الذي يثير أحاسيس الناس بقسوته، فمن الممكن أن يحكم بالإعدام بدون محاكمة وبدون اتهام. كما

اشتهر بأنه بلا إنسانية^(٢٧). وكثيراً ما عصاه اليهود فسفك دماء كثيرين منهم إحماداً لفتنتهم، فأبغضوه أشدَّ البُغض، وشكوه عدَّة مرَّات لقيصر. وبرغم أنَّه كان يكره اليهود، إلاَّ أنَّه كان يخشى شكواهم إيَّاه للإمبراطور.

وفحص بيلاطس يسوع، وأعلن أنَّه لا يجد فيه علَّة تستوجب الموت، فثاروا، وأثاروا شغباً بين الشعب، مطالبين بصلبه.

إرسال يسوع إلى هيرودس الملك

وإذ أراد بيلاطس أن يتخلَّص من إدانته للمخلَّص، استفاد من معلومة وافته بطريق العرَّض، أن يسوع من الجليل، فأرسله إلى هيرودس أنتيباس رئيس الرُّبع في الجليل^(٢٨)، والذي حكم ٤٢ سنة، أربعة منها قبل صلب المسيح، والباقي بعد صلبه. وكان ثاني أبناء هيرودس الأكبر من امرأته الرَّابعة ملثاكي. وكان مثل أبيه، راغباً في المجد والعظمة، ورغد العيش. وهو الذي سمَّاه ربُّنا ثعلباً^(٢٩). وقد أنفق كأبيه مبالغ طائلة في المباني العموميَّة، فبنى طبريةً إكراماً للإمبراطور طيباريوس قيصر، وإذ حرَّضته امرأته هيرودياً أن يتوجَّه إلى روما لكي يطلب لقب ملك، ذهب، فعزله الإمبراطور كاليكولا من وظيفته، ونفاه إلى ليون في بلاد الغال (فرنسا حالياً) بسبب ذنوبه. وهو الذي أخذ امرأة أخيه هيرودس فيلبس^(٣٠)،

٢٧- بحسب يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م): أنَّه قد انتحر ولكن التَّقليد الشَّرقي يقول بأنَّه صار مسيحياً هو وزوجته كلوديا بروكيولا. ويقول قاموس أكسفورد لكنيسة المسيحيَّة: إنه صار شهيداً وقديساً، وتُعبد له الكنيسة الإثيوبيَّة في الخامس والعشرين من يونيو من كل عام.

٢٨- لوقا ٣: ١

٢٩- لوقا ١٣: ٣٢

٣٠- هو غير فيلبس رئيس الرُّبع.

فوبّخه يوحنا المعمدان على ذلك. فقطع رأسه في ليلة من لياليه الماجنة. هذه الرأس التي ليوحنا، والتي كانت عند هيرودياً زوجته من أخيه، أغلى من نصف المملكة بكلّ رجالها.

وقد اتفق حضور هيرودس إلى أورشليم في ذلك الوقت، ليبيد الفصح. فأرسل بيلاطس يسوع إليه لأنّه كان جليلاً تحت سلطانه. أمّا هيرودس فقبل المخلّص بكلّ فرح، لأنّه كان مشتاقاً منذ زمن طويل أن يراه، وسأله كثيراً واشتهى برجاء من يسوع أن يصنع أمامه آية، فلم يجبه المخلّص بكلمة، فهزأ به هو وجنوده، وأعادته إلى بيلاطس، ورجعت الصداقة بينهما، إذ كانا في خصومة قبل ذلك. هذا هو يسوع صانع السلام في يوم آلامه، لأنّه عمّا قريب، وعندما يرتفع على الصليب، سيصالح لا الملوك مع بعضهم فحسب، بل السّمائيين مع الأرضيين، والشعب مع الشعوب، والنفس مع الجسد.

وقوف يسوع أمام بيلاطس مرّة ثانية

وقف يسوع مرّة ثانية أمام بيلاطس، الذي كان لم يزل مصمماً على إطلاقه، ثمّ جلس في هذه المرّة على كرسي القضاء رسمياً، وأعلن أنّه قد فحص يسوع فحصاً دقيقاً، فلم يجد فيه علة واحدة تستوجب الموت. وقد أقرّ هيرودس أيضاً هذا الإقرار، ولذلك قال إنه سيؤدّبه ويطلقه، أملاً بذلك أن يرضي اليهود، وخصوصاً الكهنة. فارتفع صُراخ الموجودين "اصلبه اصلبه"، خذ هذا وأطلق لنا باراباس^(٣١). وكان هذا لصاً قد أُلقي في السّجن، لارتكابه المعاصي وسفك الدّماء.

فلما رأى بيلاطس أنه لا فائدة من ذلك، بل بالحري يحدث شغب، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بري من دم هذا البار، أبصروا أنتم^(٣٢). وهل ينفع غسل اليدين لذنوب وصم السيرة، فقد سلم للموت من كان قد حكم ببراءته، فأسلم المخلص ليُجلد أولاً، ثم ليُصلب بعد ذلك^(٣٣).

جلد يسوع

وكان الجلد عند الرومانيين فظيماً جداً، كان أقصى كثيراً من جلد اليهود، لأن اليهود كانوا في ذلك يعرفون الجزء الأعلى من جسد المرغوب في جلده، أما الرومانيون فكانوا يعرفون الجسد كله. وكان عدد الجلادات عند اليهود محدوداً، أي أربعين جلدة إلا واحدة، وأما عند الرومانيين فبلا عدد، وبقوة متناهية، وبغير شفقة. وكانوا يجلدون المجرمين بشكل لا تتفق معه الرحمة وبجراً من العاطفة الدينية، وكثيراً ما كان يموت البعض من المجرمين تحت وطأة الجلد. وكان الجلد ممنوعاً على الرومانيين، وخصوا به العبيد وأهل البلاد التي كانت تحت سلطانهم، لأنهم كانوا عندهم بمنزلة عبيد^(٣٤).

ثم ألبسوه ثوباً قرمزيًا، وهو ما كان يلبسه رؤساء الجيش، وقد ألبسوه ليسوع احتقاراً له، لأنه قال إنه ملك. وألبسوه إكليل الشوك، ووضعوا في يده قصبه على أنها صولجان الملك.

٣٢- متى ٢٤:٢٧؛ تثنية ٢١:٦-٩

٣٣- حسب القانون الروماني، كان يتحتم أن يمر يومان على الأقل بين يوم إصدار الحكم بالإعدام، ويوم تنفيذه. ولكن لم تكن القوانين الرومانية مرعية في هذه القضية بصورة عامة.

٣٤- أعمال ٢٥:٢٢

في طريق الصليب

وبعدما سَخَرَ الجند يسوع، ألبسوه ثيابه، ومضوا به إلى خارج المدينة ليُصلب، فحمل صليبه، وقد أُتخن جسده بالجراح، سائراً في شوارع أورشليم بين سُخرية الجمع وإهانة الخصوم، وتَهكُّم المارة وشتائمهم، وبكاء النساء والبنات، يعن تحته أنين المحتضر، فيقع تارة على الأرض، وينهض أخرى، خائر القوى، شاحب الوجه، دامي الأعضاء، حتى بلغ مذبح الجلجثة.

وكان الطَّرِيق الذي سار فيه المسيح وهو حامل صليبه يبدأ من أمام قلعة أنطونيا أي دار الولاية من المرتفع الذي يُقال له جبَّاتا، أي البلاط، ماراً بشوارع المدينة. ولا يزال كلُّ جمع قبل الفصح من كلِّ سنة، وحتى اليوم، يُقام احتفال بمسيرة في طريق الآلام عينه، حيث تقف المسيرة في أربع عشرة محطة، بعضها مأخوذ اسمه من الكتاب المقدس، والبعض الآخر من التقليد، وينتهي طريق الآلام الآن عند كنيسة القبر المقدس، حيث تُقام صلاة احتفالية كبرى بواسطة الآباء الفرنسيسكان. ويُسمَّى طريق الآلام في اللاتينية Via Dolorosa.

ووصل يسوع بصليبه إلى الجلجثة، ومعناها الجمجمة. فهي في العبرانية Γολγοθα (غولغوثة) وفي اليونانية Κρανιον (إكرانيون)، وفي اللاتينية Cavarria. وتقول المصادر التقليدية إنَّ هذا الاسم يرجع إلى أنَّ جمجمة آدم كانت مدفونة هناك، ويُرجَّح العلماء أنَّ هذا الاسم هو صفة الشَّكل المرتفع الذي كان يتمُّ فوقه عمليات الصَّلب، إذ أن شكله الجغرافي - أي تضاريسه - على شكل الجمجمة.

وكان الموضع خارج باب المدينة، وبالقرب منها على بعد دقائق (٣٥). وكان المكان بقرب مدافن أخرى، وعلى الطريق الرئيسي. وتقول إحدى المصادر اليهودية، إن هذا المكان بالذات كان مخصصاً للرجم، وفيه توجد "مغارة إرميا". وكان المسطح المرتفع شبه هضبة، ولها شكل الجمجمة، تعلو قليلاً عن الأرض المجاورة، حيث يوجد بستان.

صلب يسوع

فلما وصلوا به إلى ذلك المكان صلبوه. والرُومان هم وحدهم الذين جعلوا هذا العقاب على مستوى الجرمين الخطيرين، وخصَّصوه بالأكثر للعبيد، وكانوا ينكلون بالمحكوم عليهم شرّاً تنكيل. ويقول الخطيب سيشرن الروماني عن عملية الصلب: إنها قسوة مرعبة.

وللأسف كانت رجل اليهود قد انزلت في استخدام هذه العقوبة قبل ذلك. فالمعروف في التاريخ أن رئيس الكهنة ألكسندر حناؤس سنة ٨٨ ق.م صلب ٨٠٠ شخصاً في وقت واحد، كما يذكر يوسيفوس (٣٧-١٠١ م). ولما جاء الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٣ - ٣٣٧ م) وقبل الإيمان المسيحي، ألغى الحكم بالصلب بمنشور تحذيري.

وكان الرُومان قد اعتادوا أن يصلبوا ضحاياهم عرايا تماماً - كما نرى تماثيلهم التي نحتها أشهر مثاليهم - إلا أنه في الشرق وعند اليهود، كان محظوراً حسب التاموس أن يُعرى المحكوم عليه من كل ملابسه. وكان من تقاليد قوانين السنهدريم المعمول بها منذ القدم، أنه إذا اقتيد أحد من الناس للقتل، فإنه يُعطى جرعة من الخمر، مذاباً فيه قطعة من اللبان

(المُر) حتى تتخدَّر حواسه، لأنَّه مكتوب «أعطوا مسكراً لمن سيهلك، وخمراً لمري النَّفس، يشرب وينسى» (أمثال ٣١:٦). وقد صار التَّعليم بأنَّ النَّساء الشَّريفات في أورشليم كُنَّ قد تعوَّدنَّ أن يقمن بتقديم هذا.

وكان القانون الروماني يُمعن في التَّشهير بالمجرمين، فكان يُبقي على أجسادهم معلَّقة على الصُّلبان ربَّما لأيام، لكي تفتك بها طيور السَّماء، وذلك عبرة للمجرمين، ولزيادة هيبة القانون. ولكن النَّاموس اليهودي يمنع ذلك، باعتبار أنَّ من علِّق على خشبة، هو ملعون من الله. فإذا بقى عليَّ الخشبة لثاني يوم، فإنه ينحسُّ الأرض، أي أرض إسرائيل «فلا تبت جثة على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأنَّ المعلق ملعونٌ من الله، فلا تنحسُّ أرضك التي يعطيك الرَّبُّ إلهك نصيباً» (تثنية ٢١:٢٣).

وكانت تتاب المصلوب حمى من التهاب الجراح، إذ كانت أدنى حركة منه يأتئها على الصُّليب، تسبَّب له ألماً مُبرِّحاً في كلِّ أجزاء جسمه، وذلك من أثر المسامير في اليدين والرِّجلين. والدم الذي يتجمَّع في الرِّئتين، ويضغط على القلب، كان يسبِّب ألماً لا يُطاق، مصحوباً بعطش شديد.

وكانوا متى وصلوا إلى محلِّ الصُّلب، يعرُّونهم، ثمَّ يُقدِّمون لهم شراباً خدِّراً كما ذكرنا.

وأصل الصُّلب قد نشأ في بلاد الفرس، واستخدمه في العقاب كلُّ من المصريِّين واليونانيِّين والرومانيِّين. وعند افتتاح الإسكندر الأكبر لمدينة صور، صلب من أهلها ألفين. وكراسبوس القائد الروماني سيَّج الطَّريق من مدينة كيبو إلى مدينة رومية بصُّلبان العبيد الذين عصوا الدَّولة الرومانيَّة. وصَلَبَ أغسطس قيصر ستَّة آلاف عبد، في جزيرة صقلية، أي

سيسيليا، لأنهم عصوه.

وكان الصليب يُركب من قطعتين متعارضتين من الخشب، فيها عامود يدخل بين رجلي المصلوب ليحمل بعض ثقله، لئلا يتمزق محل مدخل المسامير، فيسقط المصلوب. وغالباً ما كانوا يضعون الصليب أفقياً على الأرض، ويمدّون المراد صلبه عليه، بعدما يعرّونه من ثيابه، ويسمّرون يديه ورجليه بالمسامير على خشبة الصليب، وأحياناً يسمّرون اليدين فقط، ويربطون الرجلين بحبال على الصليب. أمّا صلب سيّدنا، فكان بتسمير يديه ورجليه^(٣٦). ثم يرفعون الصليب بالمصلوب عليه وينصبونه رأسياً في حفرة يعدّونها لذلك. ولا يتركون المصلوب بعيداً عن الأرض إلاّ قيمة ذراع واحدة.

ولما رفعوا يسوع على الصليب، صلبوا معه أيضاً لصين، واحد عن يمينه^(٣٧) والآخر عن يساره. وكانت العادة أن يحمل المحكوم عليه بالصلب إعلان العلة التي صُلب لأجلها، حتى إذا وصلوا محل الصلب، توضع علته فوق رأسه. وهذه العلة كتبها بيبلاطس «هذا هو يسوع ملك اليهود». وقد كتّب هذا العنوان بثلاث لغات شائعة في وقتئذ، وهي العبرانية لغة الشعب، واللاتينية لغة الرومان، واليونانية لغة العلم. وقصد بيبلاطس بذلك العنوان، تعيير اليهود بصلب ملكهم. فاعترضه الرؤساء على ما

٣٦- لوقا ٢٤: ٣٩، ٤٠.

٣٧- في التقليد القبطي، فإن اسم اللص اليمين هو ديماس. وتلقبه الصلوات باللص الطوباوي. هذا الذي سرق الأرض والسما معاً. إذ كان هو أوّل من وطئت أقدامه أرض الفردوس المفقود. ويحتل الحوار الذي دار بين المخلص وهذا اللص الذي آمن به على الصليب في هذا اليوم في الكنيسة القبطية جانباً واضحاً، بعد نهاية صلوات الساعة السادسة، وقبل بدء صلوات الساعة التاسعة.

كُتِبَ، فلم يبالي بهم، ولم يُدعن لقولهم. وكما لُقّب المجوس به المسيح عند ميلاده تمجيداً له، لُقّب به بيلاطس أيضاً عند موته.

وكان يوم الصَّليب هو يوم الفصح، يوم الخامس عشر من الشَّهر، وكان القمر بدرًا، لأنَّه من غير المعقول أنَّه يكون يوم الخميس - وهو يوم القبض على المسيح ومحاكمته طول الليل - هو يوم ذبح خروف الفصح، لأنَّ هذا معناه أنَّ صلب المسيح يكون بالتَّالي في العيد، وهو الأمر الذي تحاشاه اليهود ما أمكنهم.

ولمَّا قال يسوع «أنا عطشان» أعطوه خلاً ممزوجاً بمراة ليشرب، ولمَّا ذاق لم يُرد أن يشرب^(٣٨). ومن المرجَّح أنَّ الذين قدَّموا للسَّيد له المجد هذا الشَّراب هم اليهود، لأنَّه لم يكن ذلك من عوائد الرُّومان، ولأنَّ اليهود كانوا يتبرَّعون به لكلِّ محكوم عليه بالموت عند قتله، ولأنَّ الرُّبِّيِّين أعلنوا أنَّ هذا العمل هو من أعمال التَّقوى، بناءً على قول الحكيم: «أعطوا مسكراً لهالك، وخمراً لمري النَّفس، يشرب وينسى فقره، ولا يذكر تعبهُ بعد» (أمثال ٣١: ٦، ٧). ويظهر أنَّ المسيح ذاقه إكراماً لمن أسدى له هذا المعروف بإعطائه إياه، ولكنَّه أبي أن يشربه، ليكمِّل آلام الصَّليب حتى النَّهاية، لأنَّ الكأس التي أعطها له الآب أراد أن يشربها كاملة.

أمَّا هذا الشَّراب فكان من الأعشاب المرَّة كالأفستنتين وأمثاله، ممزوج بمنقوع الخشخاش، وخمر حامض يختلف عن الخل قليلاً، وغايتهم من مزج الخمر به، ليكون شديد التَّأثير، حتى أنَّه بمجرد أن يأخذ منه المصلوب، لا يدري إن كان ميتاً أم حياً.

المرجات عند الصليب

وكانت واقفات عند الصليب نساءً كثيرات، ينظرن من بعيد، بينهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب^(٣٩) ويوسي^(٤٠)، وأم ابني زبدي^(٤١) والتي هي نفسها سالومه^(٤٢)، وهي أخت مريم العذراء، والعذراء القديسة مريم. فهن أربع نساء، أمه، وأخت أمه، ومريم أم يعقوب الصغير، ومريم المجدلية.

كلمات يسوع السبع على الصليب

وعلى الصليب قال يسوع سبع كلمات^(٤٣)، الثلاث الأولى منها قبل الظلمة، وهي:

- «يا أبنا، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤).

- «اليوم تكون معي في الفردوس» (لوقا ٢٣: ٤٣).

٣٩- وهو يعقوب الصغير أخي الرب، والذي صار أول أسقف على أورشليم.

٤٠- يوسي هو أيضاً أحد إخوة يسوع، وأخو يعقوب.

فمريم أم يعقوب ويوسي، تُسمى أيضاً مريم زوجة كلوبا، أو كليوباس، وهو نفسه

حلفى (متى ١٠: ٣).

٤١- متى ٢٧: ٥٥، ٥٦

٤٢- مرقس ١: ٤٠

٤٣- لقد بُني الطقس اللاتيني في هذا اليوم منذ القرن السابع عشر وبواسطة الرهبان اليسوعيين Jesuits سنة ١٦٨٧م على هذه الكلمات السبع، حيث احتوت هذه الصلوات على سبعة مراسيم مع كثير من الألحان والصلوات. وخدمة هذا اليوم كانت تقام في القرن السادس عشر في الصباح، ولكنها في سنة ١٩٥٥م صارت تقام بعد الظهر، ثم أصبحت في المساء. وقد تحدت الآن لتكون ما بين الثانية عشر ظهراً، والثالثة بعد الظهر. وقد دخلت هذه الخدمة التي أسسها الآباء اليسوعيين في كنيسة إنجلترا سنة ١٨٦٠م، وصارت واسعة الانتشار سنة ١٨٧٦م في الكنائس الأنجليكانية كما في كنيسة روما، ولكنها فقدت شعبيتها الواسعة منذ منتصف القرن العشرين.

- «يا يوحنا، هوذا أمك، يا امرأة هوذا ابنك» (يوحنا ١٩: ٢٧).
- وفي ساعات الظلمة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً:
- «إلهي إلهي لماذا تركتني»^(٤٤) (متى ٢٧: ٤٦).
- وبعد انقشاع الظلمة قال يسوع ثلاث كلمات:
- «أنا عطشان» (يوحنا ١٩: ٢٨).
- «قد أكمل» (يوحنا ١٩: ١٣).
- «يا أبتاه في يديك أستودع روحي» (لوقا ٢٣: ٤٦).

وكان من عادة الرومان أن يكسروا سيقان المصلوب، لينهوا على حياة الضحية في وقت أقل. وكسر السيقان crurifragium كان يستخدم فيه مطرقة خشبية ثقيلة، وكانت هذه العملية في حد ذاتها عملاً وحشياً، لا يطبق الإنسان مجرد النظر إليه. وكانت الآلام الناتجة عنها، شيء لا يمكن وصفه. وكان كسر السيقان محسوب في نظر هؤلاء الوحوش الآدمية أنه عمل رحمة. فالمعروف أن المصلوب قد يمكث على الصليب في نزع الأخير ربّما إلى أيام، لهذا نجد أن بيلاطس في إنجيل القديس مرقس، قد تعجّب كثيراً من سرعة موت الربّ على غير العادة^(٤٥).

وفي العادة، لم تكن تكمل الوفاة بتكسير الساقين. فكان يجري على المصلوب ما هو معروف في القضاء باسم coup de grace أي: "الضربة

٤٤- جاءت في العبرانية: «إيلي إيلي لما شبقتني» (متى ٢٧: ٤٦ ؛ عبرانيين ٥: ٧ ؛ مزور ١: ٣٢). وجاءت في إنجيل القديس مرقس «إلوي إلوي» وهو لفظ يقابل «إيلي إيلي»، ولكنه بالسريانية، أو العبرانية الدارجة والتي تُسمى أيضاً الآرامية.

٤٥- في الحفريات الحديثة في أورشليم، وُجد هيكل عظمي لرجل من القرن الأول، ووُجد أن كلا ساقيه مكسورين.

القاضية من أجل الرحمة“ بجد السيف، أو بضربة perussio sub alas وتعني ”ضربة عنيفة تحت الإبط، والذراع ممدودة“، أو ”بطعنة حربة مصوِّبة للقلب“، لتقضي في الحال على المتألم. وكانت هذه تُعتبر مُلحقات لعقوبة الصَّلب، لتقليل زمن نزاع الموت.

ولقد اختار اليهود سحق عظام السَّاقين، ولكن احتراسهم الشَّديد جداً للقضاء على المسيح، جعلهم حتى وبعد وفاته، يستوثقون من غرضهم بطعنه بالحربة.

والحربة في اليونانية Λόγχη (لونخي)، وهي في اللاتينية Lancea وطعنة الحربة تَحترق الجسم بسرعة شديدة، لأنها مدببة الطَّرَف، وحادة جداً. ويقول العلماء إنه لكي تصل إلى القلب وتمزِّقه - وهذا هو الغرض الأساسي من الطَّعن - يلزم أن تأتي الضربة من اليمين إلى اليسار. وهذا هو إيمان الكنيسة الآن شرقاً وغرباً. فالتوارث عند الآباء أنه طعن في جنبه الأيمن.

ولما طعنه واحد من العسكر في جنبه بالحربة، ليستوثق من موته - إذ لما جاءوا ليكسروا ساقيه وجدوه قد مات^(٤٦) - للوقت خرج دُمٌ وماءٌ. ماءٌ علامة موته، ودُمٌ علامة حياته. ففي كلِّ الأجساد الميتة، يتجمد فيها الدَّم، ولا يخرج منها ماءٌ نقي.

هذا هو ماء المعمودية ودُمُ الإفخارستيا، معمودية السلام، ومعمودية الشهادة بصبغة الدَّم، هذان - أي الدَّم والماء - الصَّائران طهراً للعالم.

٤٦- «عظم لا يُكسر منه» (يوحنا ١٩: ٣٦) ليتم قول الكتاب: «كثيرة هي بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيه الرب، يحفظ جميع عظامه، واحداً منها لا ينكسر» (مزمور ١٩: ٣٤، ٢٠).

فمن جنب المخلّص خرجت الكنيسة، حيث تُدعى بالماء وتُختار بالدمّ. ماء الاغتسال ودم الفداء. هذا هو دمّ يسوع، الذي طهرنا من كل خطيئة، فاشترانا به المسيح لأبيه، بعد أن غسلنا من خطايانا بدمه. فنحن الذين كنّا بعيدين، صرنا الآن قريين بدم المسيح.

«هذا هو الذي أتى بماء ودم، يسوع المسيح، لا بالماء فقط، بل بالماء والدمّ. والروح هو الذي يشهد، لأنّ الروح هو الحق» (يوحنا ٦:٥).

جُرحتَ لأجل خطايانا، وتوجّعت لأجل آثامنا، تأديبُ سلامنا عليك، وبجراحاتك شُفينا. كنّا كلنا ضالين مثل الخراف، أتيتَ يا سيّدنا، وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية، وأنعمت لنا بشجرة الحياة التي هي جسدك الإلهي ودمك الحقيقي. من أجل هذا نسبّحك ونباركك ونخدمك ونسجد لك، ونمجّدك ونشكرك كل حين (٤٧).

وجاء يوسف الذي من الرّامة، وكان رجلاً غنياً مشيراً - أي عضواً في مجلس السنهدريم كما يقول العلماء كمشير - ولم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم. وكان رجلاً صالحاً باراً، وتلميذاً ليسوع، تجاسر وجاء إلى بيلاطس يطلب جسد يسوع، وهذا الإجراء لم يكن سهلاً، إذ كان الولاة عادة يتعاطون رشاوى لمنح مثل هذه التصاريح. ولكن بيلاطس أعطى تصريحه بإيجابية سهلة، وكان هذا العمل النبيل هو آخر ذكر لاسمه في الإنجيل.

وجاء أيضاً نيقوديموس، وهو المعروف في التلمود باسم نيقوديموس

بن جوريون، وكان غنياً جداً^(٤٨)، وكان عضواً في مجلس السنهدريم أيضاً مثل يوسف. إذاً فكانت تجمعهما المواقف الواحدة، لاسيما في هذه القضية، فتعاوننا سوياً بغاية السرعة، لأن غروب شمس ذلك اليوم كان وشيكاً، فاضطلع يوسف بشراء الكتان النقي لللف الجسد، وقام نيقوديموس بشراء مزيج المر والعود، كما عهد إلى يوسف بعملية طلب الجسد من بيلاطس.

واشترى نيقوديموس "المر" وهو مادة راتنجية، تُستخرج من سيقان شجرة تُسمى *commiphora molmol*، تنمو في شبه الجزيرة العربية. والمر ذو مفعول مطهر. وقد استخدمه قدماء المصريين في التحنيط، واستخدمه بنو إسرائيل في عمل المسحة المقدسة^(٤٩). وأما "العود" فهو مادة مستخرجة من شجرة تُسمى شجرة الفردوس، وخشبها يُسمى خشب النسر، وأسمها العلمي هو *Aquilaria agallocha*، وهي تنمو نواحي آسيا الاستوائية، وخشبها ثمين للغاية، يوزن بوزن الذهب، ورائحته نفاذة، تدوم طويلاً، ويُضرب به المثل «كشجرات عود غرسها الرب» (عدد ٦:٢٤). «كل ثيابك مر وعودٌ وسليخة (قرفة)» (مزمو ٨:٤٥). ويُقدَّر العلماء ثمن المر والعود، بما يساوي الآن ٢٥٠ جنيهًا إسترلينياً. والمزيج من المر والعود، هو أبسط ما يمكن أن يُسمى بمواد للتحنيط، أي لحفظ الجسد من الفساد، حسب العادة التي اكتسبها من فراغة مصر، لأن التحنيط يحتاج إلى مزيج يتكوّن من عشرات الأصناف. أمّا الكمية التي ذكرها الإنجيل من المر والعود، وهي مائة منّا، فهي تساوي تقريباً ٣٦

٤٨- يُقال أنه في حفل زواج ابنته، قدّم لها عريسها صداقاً قيمته مليون دينار ذهبي. وفي التقليد القديم يُذكر أنه تنصّر وصار مسيحياً.

كيلوجراماً. وهي كمية ليست قليلة.

ونحن نقرأ في تحنيط جسد "آسا" الملك «ثم اضطحع آسا مع آبائه ... فدفنوه في قبوره التي حفرها لنفسه في مدينة داود، وأضجعوه في سرير كان مملوءاً أطياباً وأصنافاً عطرة، حسب صناعة العطار، وأحرقوا له حريقة عظيمة جداً» (٢ أيام ١٦: ١٣، ١٤).

ويُحكى في التلمود اليهودي

أنه عند دفن غمالاتيل الأكبر، عملوا له حريقاً من الأطياب والطور، بلغ ٨٠ رطلاً (حوالي ٢٤ كيلوجراماً)، فلما سألوا أونكيلوس - وهو أحد الرَبِيِّين - عن سبب هذه الكثرة، ردَّ قائلاً: أليس غمالاتيل أفضل من مائة ملك (مثل آسا)؟.

واضحٌ إذاً مقدار الكثرة التي حملها نيقوديموس من الأطياب، وهي تعبير صامت عمّا كان يكتُّه من توقير وحب، للرَّب يسوع.

وأخذوا جسد الرَّب ولفَّاه بأكفان مع الحنوط والأطياب، إذ كان المرُّ والعود على هيئة مسحوق، أُضيف إليهما بعض الزيوت العطريَّة، فتكوَّن مزيجٌ سائل، دُهِنَ الجسد به قبل ربطه. وبعد ربطه بالأكفان حسب عادة اليهود، وضعوه في قبر جديد، كان ملكاً ليوسف الرّامي، وكان قد نحتَه لنفسه في الصَّخر في بستان، أمام سور أوراشليم الغربي. وهناك وضعوا يسوع، لأنَّ القبر كان قريباً من موضع الصُّلب «وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان، وفي البستان قبرٌ جديد لم يوضع فيه أحدٌ، فهناك وضعوا يسوع» ودحرج الجُند على القبر حجراً عظيماً جداً، وختموا بالاختتام، وتناوبوا حراسته، ليكونوا أوَّلَ شهود القيامة من الموت، إذ لم يكونوا

يعلمون أنهم لا يجرسون الموت، بل يستعدون للشهادة بالقيامة للحياة.

فيا من وُضع في القبر ليبطل ظلمته، وليشرق بنور قيامته فينا.

ويا من كُفن بالأطياب والحنوط، لتمسحنا بمسحة الروح للحياة.

ويا من ذاق الموت بالجسد، لتكسر شوكة الموت عنا.

ويا من نزل إلى قلب الأرض، وعبر إلى أعماق الجحيم، لتفكَّ

أسرى الرجيم.

إياك نُسبِّح.



كنيسة المحاكمة وكنيسة الجلد

الفصل الثاني

طقس صلوات ليلة الجمعة العظيمة

ابن سباع

طبقاً لإحدى مخطوطات كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: يرد ما يلي: ”ويقرأ في الساعة الأولى من الليل، من ليلة الجمعة أناجيل البارقليط، الأربعة بشائر. وكل صلاة من الساعة الأولى من الليل، يكون أربعة أناجيل، ثم ينصرفون، ويعودون في الحال باكراً جداً“ (١).

مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة

وما يذكره ابن سباع هو بعينه الطقس الذي يرد في ”مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)“، وفي ”مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)“، حيث لا وجود لأي بُوآت في سواعي ليلة الجمعة من البصخة المقدسة. أمّا ”مخطوط

قطمارس باريس (ق ١٤)“، فقد أورد نبوة في كل ساعة من سواعي ليلة الجمعة، باستثناء الساعة التاسعة، والتي أورد لها بُوآت. وتتفق

جميع مخطوطات القطمارسات على آيات الزامير، وفصول الأناجيل الأربعة لسواعي ليلة الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة.



١- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٩، في الحاشية.

”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة
بالقاهرة لسنة ١٩١١م“:

تحت عنوان: ”ترتيب ليلة الجمعة العظيمة“ يقول المخطوط
المذكور^(٢):

يبتدئون بعمل الصَّلوات ليلة الجمعة. السَّاعة الأولى كالعادة من غير
زيادة ولا نقص. ويُقال فصول البارقليط الأربعة من بشارة يوحنا. ومن
السَّاعة الثالثة من هذه اللَّيلة إلى آخر السَّاعة الثانية عشرة من يوم الجمعة،
يقرأون في كلِّ صلاة أربعة أناجيل، متى ومرقس ولوقا ويوحنا. يُقرؤون
من أجل شهادة الأربعة مبشرين بالآم السيِّد المسيح^(٣). ويعملون الصَّلاة
الأولى والثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة كالعادة المشروحة.
ويُختم ذلك بقراءة البركة. والمجد لله دائماً أبدياً سرمداً، آمين.

أمَّا كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة
١٩٢٠م، فيكتفي من هذه التَّعليمات الطَّقسيَّة السَّابِق ذكرها بسطر واحد
يقول: ”يبتدئون بعمل ساعات اللَّيل على جاري عادة البصخة“^(٤).

وهذا طبعاً غير دقيق، لأنَّ صلوات سواعي ليلة الجمعة العظيمة، بدءاً
من السَّاعة الأولى، تختلف عن باقي سواعي البصخة المقدَّسة السَّابِقة
عليها. وهو ما شرحه مخطوط ترتيب البيعة السَّابِق ذكره.

٢- مع تصحيح الأخطاء اللُّغويَّة والتَّحويَّة.

٣- تقرأ في ”مخطوط دلال أنبا شنوده“ ما يلي (بنصّه): ”... كل صلاة أربعة
أناجيل يقرأوا وذلك لاجل شهادة الإربع بشيرين على الصليب والآلام“.

وهو نفس ما يذكره ”مخطوط دلال لندن“.

٤- كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، ص ١١٨

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال، لماذا صممت هذه المصادر الطقسية القديمة، وباتفاق، عن الإضافة التي تُقال في تسبحة البصحة بدءاً من الساعة الأولى من ليلة الجمعة، وهي: "قَوِّيَّ وتَسبِحْتِي هو الرَّبُّ، وصار لي خلاصاً". فبالبحث في المخطوطات قيد الدراسة، وجدتُ أنَّ مخطوطات ترتيب جمعة البصحة طبقاً لترتيب كنيسة السيِّدة العذراء المعلِّقة^(٥)، لا تعرف هذه الإضافة. وما يدعم ذلك هو صمت "مخطوط أوبسالاً" أيضاً عن ذكرها. أي أن ابن كبر (+ ١٣٢٤ م) لم يكن يعرف هذه الإضافة. ولكنني وجدتها مذكورة فقط في ترتيب كنيسة العذراء بحارة الرُّوم بمصر القديمة^(٦).

وهو ما يذكره "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)". فتحت عنوان: "ترتيب ليلة الجمعة من هذه الساعة الأولى من ليلة الجمعة"، يقول: "تُقال في كلِّ صفِّ عوضاً عن Δριτεν

Ἰαχομ νημ παςμοῦ πε Πος αψωπι νηι
εἰςωτηρια. αχος δεν οὔρηπῆμοτ χε πενωτ

يصيروا مستمرين هكذا إلى باكر النهار كالعادة".

٥- وهي: "مخطوط دلال المعلِّقة (ق ١٦)"، و"مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)"، و"مخطوط دلال المعلِّقة".

٦- في عهد البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧ م) البطريك ٦٦ من بطاركة الكنيسة القبطية، تم بناء كنيسة على اسم السيِّدة العذراء بحي الرُّوم بمصر القديمة. انظر: ساويرس بن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة، (النسوب) لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، المجلد الثاني، الجزء الثالث، قام على نشره يسى عبد المسيح، وعزيز سوريال وأسولد برمستر، القاهرة ١٩٥٩ م، ص ١٦٦. وفي عهد البطريك المذكور بُنيت أيضاً كنيسة على اسم القديس الشهيد مرقوريوس أبي السِّفِين (أبي مرقوره) بمصر القديمة.

يقصد "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)" أن يقول: عوضاً عن الصلاة الربّية، التي نقولها في نهاية الإستيخون الثالث من تسبحة البصخة، نقول أولاً: "قوّتي وتسبحتي هو الرب وصار لي خلاصاً". ثم نقول بشكر الصلاة الربّية.

إذاً، يتّضح لنا أن هذه الإضافة على تسبحة البصخة، عُرفت أولاً في كنيسة العذراء بحارة الروم، ومنها بدأت تنتشر ببطء في عموم الكنائس الأخرى، حتى سادت فيها كلها.

وهنا ثلاث ملاحظات؛

الملاحظة الأولى: إنّ ترديد هذه العبارة الجديدة يأتي في نهاية الإستيخون الثالث من تسبحة البصخة، وليس بعد عبارة "مخلصي الصالح"، والتي تأتي في نهاية الإستيخون الثاني من هذه التسبحة، كما نمارس اليوم.

الملاحظة الثانية: عدم وجود الصّفة المختصّة بهذا الخلاص، والتي تعرفها عموم الكنائس الآن، وذلك في قولها: "... خلاصاً مقدّساً". ولقد شدّ انتباهي منذ سنين طويلة خلعت، وجود صفة للخلاص. وقد اتضح لي فيما بعد، أنّ المخطوطات تخلو من هذه الإضافة. ومن المعروف أنّ هذه الإضافة - بدون وصف الخلاص بالقداسة - هي آية من المزمور ١١٧ وهو المزمور الثاني من مزامير صلاة الغروب.

الملاحظة الثالثة: إنّ كنيسة السيّدة العذراء بحارة الروم، والتي خرجت منها هذه الإضافة، لم تكن كنيسة مشهورة، ولم تكن مقراً بطريركياً حتى أواخر القرن السابع عشر. فلم تكن بشهرة كنيسة العذراء

المعلّقة، ولا كنيسة القديس مرقوريوس أبي السيفين، ولا كنيسة العذراء بحارة زويله، وكلها كنائس بمنطقة مصر القديمة^(٧).

ومع كل هذا، وبرغم أن هذه الإضافة لم تعرفها كنيسة العذراء المعلّقة حتى القرن السابع عشر، برغم وقوعها قرب كنيسة العذراء بحارة الروم، والتي خرجت منها هذه الإضافة، وهما في نفس منطقة مصر القديمة، إلا أنها إضافة حاذقة، وجدت قبولاً عاماً، فانتشرت ببطء، حتى سادت في جميع الكنائس القبطية.

٧- من المفيد هنا أن يعرف القارئ العزيز، أن كنيسة السيّدة العذراء المعلّقة، كانت مقراً بطريركياً، للبابا خائيل الثالث (٨٨٠-٩٠٧م) ال ٥٦، ومن بعده البابا أبرآم بن زرعه (٩٧٥-٩٧٨م) ال ٦٢. ومن بعده البابا كيرلس الثاني (١٠٧٨-١٠٩٢م) ال ٦٧. وحتى البابا مكاروريوس الثاني (١١٠٢-١١٢٨م) ال ٦٩. ومن بعده البابا خائيل الخامس (١١٤٥-١١٤٦م) ال ٧١. ومن بعده البابا مرقس الثالث بن زرعه (١١٦٦-١١٨٩م) ال ٧٣. وحتى البابا ثيودوسيوس الثاني (١٢٩٤-١٣٠٠م) ال ٧٩. وهذا البطريرك الأخير كان يبذل مفر إقامته بين كنيسة العذراء المعلّقة، وكنيسة القديس مرقوريوس أبي السيفين.

أمّا كنيسة القديس مرقوريوس أبي السيفين، فصارت مقراً بطريركياً للبابا غبريال الثاني بن ثريك (١١٣١-١١٤٥م) ال ٧٠. ومن بعده البابا يوانس الخامس (١١٤٦-١١٦٦م) ال ٧٢. ومن بعده البابا ثيودوسيوس الثاني (١٢٩٤-١٣٠٠م) ال ٧٩ كما سبق أن ذكرت.

حتى كان البابا يوانس الثامن (١٣٠٠-١٣٢٠م) ال ٨٠ الذي نقل مقر كرسيه من كنيسة القديس مرقوريوس أبي السيفين، إلى كنيسة العذراء بحارة زويله، والتي صارت المقر البطريركي لأكثر من ثلاثة قرون ونصف، أي حتى زمن البابا متاؤس الرابع (١٦٦٠-١٦٧٥م) ال ١٠٢ الذي نقل مقر كرسيه من حارة زويله إلى كنيسة العذراء بحارة الروم.

وصارت كنيسة العذراء بحارة الروم، مقراً بطريركياً لأكثر من مائة سنة، بدءاً من البابا يوانس السادس عشر (١٦٧٦-١٧١٨م) ال ١٠٣ حتى إلى زمن البابا مرقس الثامن (١٧٩٦-١٨٠٩م) ال ١٠٨.

الفصل الثالث

طقس صلوات يوم الجمعة العظيمة

تمهيد

يوم الجمعة العظيمة، هو يوم ذبيحة الصليب، وبحسب الطقس القبطي لا تُقام فيه الذبيحة الإلهية، لأنَّ دمَّ الصليب لم يقطُر بعد. وعوضاً عن ذلك، فقد خصَّصت الكنيسة قراءات وصلوات وألحان ومزامير، تُدخل المؤمنين حتماً في جو من التأمل في آلام السيّد المسيح، ومرافقته حثيثاً على طريق آلامه، حتى يوضع في قبره الجديد، انتظاراً لإعلان قيامته.

وفي الكنيسة القبطية توضع أيقونة الصليب في وسط الكنيسة، محاطة بالورود والشموع والمجامر والصُّلبان، حيث يدخل المؤمنون إلى الكنيسة ويسجدون أمامها، مردِّدين الصلاة الربانية، ثمَّ يُقبِّلونها، وذلك قبل أن يأخذوا أماكنهم في الكنيسة، إيداناً ببدء الصلاة.

وفي الكنيسة البيزنطية يُثبَّت الصليب في وسط الكنيسة، بعد طواف احتفالي حول أرجائها، حيث يتقدّم الشعب ويسجد له، ويُقبِّله. وهذا الطقس لا يُذكر في الكُتب الطقسية البيزنطية القديمة، ولكنّه ذو أصل سوري، وقد أُدخل إلى القسطنطينية في القرن التاسع عشر. وجدير بالذكر هنا، أنَّ الطقس البيزنطي الحالي لهذا اليوم، لا يرث شيئاً من طقوس يوم الجمعة العظيمة في فلسطين^(١).

1- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L. Cross, London, 1958, , p. 171.

أما الطَّقس الأرمني، فيضع نموذجاً لقبر السيِّد المسيح في وسط الخوروس، ويوضع فوقه صليباً محفوراً عليه بالبارز شخص السيِّد المسيح، حيث يُقبَّله الشَّعب. ويظل موجوداً في هذا المكان حتى بداية قدَّاس عيد القيامة. فلا زال طقس الاحتفال بالصَّليب في الجمعة العظيمة في أورشليم، يوصف بكلِّ تدقيق في كتاب القراءات الأرمني Armenian Lectionary وهو الكتاب الذي يعود تاريخه إلى حوالي سنة ٤٦٠م^(٢).

أما آثار هذا الاحتفال في كنيسة جورجيا فقد اندثرت، إذ لم تُعد هناك آية آثار لهذا الاحتفال في كتاب الطَّقس الجورجي Georgian kanonarion إذ فقد هذا الكتاب الطَّقسي بعد سلب المدينة بواسطة الفُرس سنة ٦١٤م. ولم يُنسخ مرَّةً أخرى بعد انتصار هرقل عليهم في مارس سنة ٦٢٩م^(٣).

وتتضمَّن القراءات فصولاً من الأنبياء والرُّسل والأنجيل والمزامير مع الألحان. وهذه القراءات في الكنيسة القبطية تعرفها أيضاً الطَّقوس البيزنطية والسريانية والأرمنية، وإن اختلفت توقيت قراءتها.

وفي هذا اليوم المقدَّس، يعود طقس البصخة المقدَّسة إلى وضعه القديم الأصيل، حيث تُكوَّن كلُّ ساعة من سواعي الصَّلوات وحدة ليتورجية قائمة بذاتها، فتُختَم كلُّ ساعة منها بالطلبة والميطانيات والبركة الختامية.

٢- عن أصل وتاريخ هذه الوثيقة الهامة، انظر:

B. Botte, o.s.b., *Le lectionnaire arménien et la fête de la théotokos à Jérusalem*, in *Sacris Erudiri* ii (1949), p. 111-122.

3- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 144.

لحن مصري قديم جداً مسجّل باليونانية على ورق البردي

أوردُ فيما يلي نصَّ لحن مصري قديم مسجّل باليونانية، ومحفوظٌ في مكتبة برلين تحت رقم (٧٥٦١) على وثيقة من ورق البردي، حيث يتّضح من نصّه أنّه ربما كان يُقال في يوم الجمعة العظيمة. ومن الدلائل القويّة على قِدَم هذا النّص، أنّه يجمع فعليّ الموت الخلاصي، والقيامّة المجيدة، كفعلين متلازمين معاً، وذلك بحسب التقليد المسيحي السّحيق في القِدَم، حيث كان يُحتفل دائماً بكليهما معاً مع التّهليل والحبور. وربّما أتت هذه البرديّة من ناحية من نواحي مصر.

ويشير النّص إلى احتفال إفخارستي في هذا اليوم، وهو ما يضع صعوبة أمامنا، كونه نصّاً ليتورجياً يُقال في يوم الجمعة العظيمة، ولأنّه بحسب التقليد لا تُقام خدمة إفخارستياً كاملة في هذا اليوم، إذ لم يتم فداء الصليب بعد، فهل نحن أمام بقايا طقس قُدمت سابقّة التّقدّيس؟!

يقول اللّحن^(٤):

ὁ ἐν κόλποις τοῦ πατρὸς Θεὸς	يا الله الكلمة الكائن في
λόγος ὑπάρχων	حضن الآب،
σήμερον ἐν τῷ σταυρῷ	قد أتيت اليوم إلى
παράγεινονε	الصليب،
καὶ ταφῆναι καταξιώσας ὡς	وحسبته استحقاقاً أن تُدفن
ἄνθρωπος	كإنسان،
ἰδίῳ θελήματι	بإرادتك الذاتيّة،

οὕτως δέ τριήμερος ἀναστάς	وهكذا قُمتَ في اليوم الثالث
καί ἐχαρίσατο ἡμῖν τὸ μέγα ἔλεος	مانحاً إيانا الرَّحمة العُظمى.
τὸν θανατόν σου, κύριε, καταγγέλλομεν	فبموتك ياربُّ نبتُّر،
καί τὴν ἀγίαν σου ἀνάστασιν δοξολογοῦμεν Χριστός	وبقيامتك المقدَّسة أيها المسيح نعترف.
Ἐξιώθημεν γὰρ τῆς μυστικῆς καὶ ἀνεκλαλήτου σου τραπέζης	إذ استحققنا السَّرَّ ومائدتك التي لا يُنطق بها
καὶ ἡμεῖς προθύμως μετελάβομεν	ونحن تائقون أن ننال
ἐκ τῶν προκειμένων σου δώρων τῶν πνευματικῶν	من هباتك الرُّوحانيَّة الموضوعة أمامنا
σὺν ἀγγέλοις ἔπωμεν τὸν ὕμνον σὸν ἐπινίκιον. Ἀλληλούϊα.	فلنقل مع الملائكة تسبحة غلبتك. هليلويا.

وفيما يلي شرحٌ لصلوات سواعي يوم الجمعة العظيمة. حيث سأوردُ لكلِّ ساعة من سواعي الصَّلوات، ما تذكره المخطوطات والمصادر الطَّقسيَّة القديمة أولاً، ثمَّ ثانياً شرحٌ وتعقيب إذا لزم الأمر.

السّاعة الأولى من يوم الجمعة العظيمة

أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطّقسيّة القديمة

“ابن سباع”
يقول: ”ثمَّ يُصلُّون ليلة الجمعة، السّوعي كماها إلى باكر النّهار
يوم الجمعة على سياق^(٥) ما تقدّم. وعند كيراليصون، يُقال باللّحن
الكبير“^(٦).

”مخطوط أوبسالاً“

تحت عنوان ”ذكر ترتيب يوم الجمعة“، يقول المخطوط: ”تصلى
صلاة السّاعة الأولى منه على وضع البصحة، وتقرأ فيها أربعة فصول من
البشائر الأربع، والثّبوات والمواعظ مندوبٌ إليها في سواعي هذا اليوم“.

”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركيّة
بالقاهرة لسنة ١٩١١م“

تحت عنوان ”يوم الجمعة العظيمة“ يقول مخطوط ترتيب البيعة^(٧):
”يتدثّون بصلاة باكر وهي السّاعة الأولى كعادة البصحة. ويُقال كيراليصون
الأولى بالكبير، وبعدها بالصّغير. وتُختتم الصّلاة بالبركة كالعادة.“

ثانياً: تعقيب وشرح على باكر يوم الجمعة العظيمة

تتفق مخطوطات القطمارسات قيد الدّراسة، على وجود الثّبوات

٥ - حرفياً: سياقة.

٦ - يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٥، ٣٣٦

٧ - مع تصحيح الأخطاء اللغويّة والنّحويّة.

التالية في باكر يوم الجمعة العظيمة:

- سر التثنية (١٩:٨ - ٢٤:٩).

- إشعياء النبي (١-٢:٩).

- إرميا النبي (٢٢:٢٩ - ٢٣:٦).

- وأيضاً إرميا النبي "ثم قال إرميا لفشحور ... ألقوا دماً زكياً في الحكم".

- حكمة سليمان (٢:١٢ - ٢٢:٢).

- زكريا النبي (١١:١١ - ١٤).

- ميخا النبي (٧:١ - ٨).

وينفرد "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)" بإيراد عظة للقدّيس

يوحنا ذهبي الفم.

ففي باكر هذا اليوم تبدأ الصلوات بنبوة مفرحة «اسمع يا إسرائيل، أنت اليوم ستعبر الأردن لكي تدخل وترث أمماً عظيمة» (تثنية ١٨:١٩ - الخ، ١:٩ - ٢٤).

وتذكر قطمارسات أسبوع البصخة نبوة لإرميا النبي (٢٢:٢٩ - الخ، ٢٣:١ - ٦) "يا أرض يا أرض اسمعي كلمة الرب ... أنتم قد شتمتم غنمي وبددتموها، ولم تتعهدوها ... يقول الرب أجمع بقية شعبي من جميع الأراضي التي فرقتمهم فيها ...".

وتعقبها نبوة بعنوان: "وأيضاً من إرميا النبي" بدون أن يورد القطمارس الشاهد الكتابي الخاص بها، وفيما يلي أورد النص الكامل لها، حسب ما وردت في قطمارس البصخة المقدسة، ثم أعقب عليها:

«ثم قال إرميا لفشحور: إنكم كنتم زماناً مع آبائكم

مقاومين للحق، وأولادكم الذين يأتون بعدكم، هؤلاء الذين يصنعون خطيئة أشد منكم، لأنهم يثمنون الذي ليس له ثمن، ويؤلمون الذي يشفي الأمراض ويغفر الذنوب، ويأخذون الثلاثين من الفضة، الثمن الذي شارط عليه بني إسرائيل. ويدفعونها إلى حقل الفاخوري كما أمرني الرب. وهكذا أقول ستأتي عليهم دينونة الهلاك إلى الأبد، وعلى أولادهم، لأنهم ألقوا دماً زكياً إلى الحكم».

هذه النبوة غير موجودة بنصها السابق ذكره، لا في سفر إرميا النبي، ولا في سفر زكريا. لأن ما يذكره سفر زكريا النبي عن الثلاثين من الفضة هو: «... فقلت لهم إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا، فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب» (زكريا ١١: ١٢-١٣).

مما يتضح معه أنها لم تكن في الأصل نبوة، بل ربما تكون عظة لأحد الآباء، أو طرح وجد في إحدى الجهات، ثم أُدرج بطريق الخطأ ليقرأ ضمن النبوات، ولاسيما أن عبارة "لأنهم يثمنون الذي ليس له ثمن، ويؤلمون الذي يشفي الأمراض ويغفر الذنوب"، ليس لها أي مقابل في أسفار الأنبياء، مما يرجح معه أن تكون تعليماً وعظياً أو تفسيراً آباءياً على نبوة زكريا النبي السابق ذكرها.

وقد سبق أن ذكرت أن جميع مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة، تحوي هذا النبوة. كما وجدتها موجودة أيضاً في أقدم مخطوط قطمارس قبلي لأسبوع البصحة ضمن مخطوطات مكتبة دير القديس أنبا مقار، وهو

مخطوط برقم (٤٣ طقس) ويعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر الميلادي^(٨). وحيث أن هذا المخطوط المذكور يحوي عظام على كل سواعي البصخة، فالاحتمال الأكبر أنه يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي^(٩). وبالتأكيد تالياً في الزمن لوقت نساخة "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".

وجدير بالذكر أن المؤمن بن العسال (الذي تنيح في الربع الأخير من القرن الثالث عشر) قد أورد جزءاً من نصّها أيضاً^(١٠). لأنها موجودة في مخطوطات قطمارسات تعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وهو ما يشهد به "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، ومعه "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)".

أما نبوة حكمة سليمان (١٢:٢-٢٢) فهي نبوة واضحة عمّا تمّمه

8- Ugo Zanetti, *Les manuscrits de dair Abu Maqar*, Genève, 1986.

وهذا المخطوط بحالة سيئة جداً، وهو يحتاج إلى معالجة أو ترميم بمعرفة متخصصين في هذا الشأن للحفاظ عليه.

٩- سبق أن ذكرت في الفصل الثاني من الباب الرابع من هذا الكتاب أن أقدم مخطوط لقطمارس أسبوع البصخة - وهو الموجود بالمتحف البريطاني تحت رقم (٥٩٩٧ ملحقات) والمؤرخ بتاريخ ٢٢ توت ٩٩٠ قبطية/ ١٩ سبتمبر ١٢٧٣ ميلادية - لا يحوي فصولا من العهد القديم لكثير من الساعات الليلية والنهارية لأسبوع البصخة، ولا يحوي أي عظام. بينما أن المخطوط الذي يليه في القدم والموجود بالمكتبة الأهلية بباريس، برقم (٧٠ قبطيات) والذي يعود تاريخه إلى سنة ١٣١٩م، نجد به كثيراً من الفصول الإضافية من العهد القديم والتي لم ترد في مخطوط المتحف البريطاني السابق ذكره، مع العظام أيضاً، ممّا يرجح أن يكون هو شكل القطمارس الذي عمله الأنبا بطرس أسقف البهنسا Oxyrhynchus في القرن الثالث عشر، أو على الأقل أقرب صورة إليه.

١٠- الراهب الأخ ودع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٣١٠.

المسيح بالفعل، كما هو مكتوب عنه «... فإن كان هو حقاً ابن الله، فهو يخلّص نفسه وينقذها من أيدي المضادين، فلنمتحنه بالشتم والعذاب حتى نعلم بهذا تواضعه، ونختبر دعتته وصره، ويُحكم عليه بأشنع مية...».

وتدور أناجيل السّاعة الأولى من يوم الجمعة العظيمة حول ندم يهوذا الذي رد الثلاثين من الفضة، ثمّ مضى وخنق نفسه. ومحكمة يسوع أمام بيلاطس.

وبعد الطّرح تُختتم هذه السّاعة بالطلبة مع الميطانيات، والبركة.

وبانتهاء صلوات باكر يوم الجمعة العظيمة، يتم تجهيز أيقونة الصّليبوت، والكنيسة أيضاً، وهو ما يشرحه "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨) طقوس) بالدّار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م"، كما سبق ذكره.

السّاعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة

أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطّقسيّة القديمة

"ابن سباع"

يقول ابن سباع في القرن الثالث عشر^(١١): "إذا فرغت صلاة باكر وجاءت الثالثة، يعلّقون (ب) الكنيسة الستائر^(١٢)، ويزيّنوها^(١٣)، وينصبون

١١- مع تصحيح الأخطاء اللغويّة والنّحويّة.

١٢- حرفياً: "يغلّقوا الكنيسة بالستور".

وأعتقد أنه خطأ في النّسخة، لأنه لا معنى لقولنا: "يغلّقون الكنيسة بالستور". وأظنّ أنّ الأصل هو: "يعلّقوا بالكنيسة الستور". وقد أجريت تصحيحه كما في المتن. والمخطوطات والمصادر الأخرى الآتي ذكرها، تدعم هذا التعديل.

١٣- أي الكنيسة.

صليب الصُّلبوت العظيم، ويُصلُّون الثالثة والسادسة ... الخ“ (١٤).

”مخطوط أوبسالا“

”وإذا كان وقت الساعة الثالثة، تُعلَّق الستائر على باب الهيكل وحجابه وما يليه، وتُعلَّق على باب الإسكنا (١٥) سبع مجامر، وتُنصب أيقونة الصُّلبوت (١٦) الممجَّد خارج الإسكنا، كما كان الصُّلبوت الممجَّد خارج المدينة، ويُجعل حولها شيء من الرِّياحين. ويُقرأ ما يختص بها من الثُّبوتات، والأناجيل، والمواعظ، والطَّرح، وتُكَمَّل“.

”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة

بالقاهرة لسنة ١٩١١م“

”ثمَّ يبتدئون بتحميل البيعة بالستائر (١٧) الحرير والقناديل، وتُلف الأيقونة التي عليها مثال الصُّليب في ستر حرير، وتوضع على دكَّة، أو شيء مرتفع، خارج باب الإسكنا. وتوضع حولها (١٨)، الأناجيل والصُّلبان والشُّموع، وتعلَّق الجمار أمامها معمَّرة بالفحم، ويوضع قُدَّامها الورد الكثير، تذكَّاراً لما اتَّفَق في مدينة أتناس عند حضور ديوناسيوس إليها،

١٤- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٦

١٥- ”الإسكنا“ من الكلمة اليونانية σκηνή (إسكيني) أي ”خيمة“، وهي في المصطلح الكنسي تعني الخوروس الأوَّل في الكنيسة، والذي يلي الهيكل مباشرة، حيث وقوف الشمامسة. وباب الإسكنا هو الباب الذي يفصل بين الخوروس الأوَّل، والخوروس الثَّاني من الكنيسة، وهو صحن الكنيسة كما نعرفه حالياً.

١٦- ”الصُّلبوت“، هي صيغة سريانيَّة لكلمة ”صلب“ أو ”صليب“.

الرَّهب الأخ ودبع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٣١٠

١٧- حرفياً: الستور

١٨- حرفياً: حواليتها.

وحدوث التّغييرات والزّلزلة، وغير ذلك، في وقت الصّلبوت^(١٩).

ثمّ يبتدئون بالصّلوات كالعادة. وصلوات هذا النّهار ستّة. أوّل ذلك صلاة السّاعة الثّالثة تُقال وحدها وقت استحقاقها. وإن كان في الوقت مهلّ بعد صلاة الثّالثة، يُقرأ الميمر، وتُقال كير ياليصون بالكبير، وتُختتم الصّلاة بقراءة البرّكة^(٢٠).

”مخطوط دلالّ حارة الرّوم (ق ١٥)“

(بنصّه): ”يكونوا قد جهزو دكه يضعوها في باب الخورس ويجعل عليها ايقونه الصلبوت والمغتسل والدفن وقونه عليها صورة الست السيده وحواليها ما تيسر من الصلبان والشاروبيم والشمع فوق الغمدانات ومعلق قدامها الجمار اما سبعة او دوّمها على قدر الموجود بالبيعه و(يقود)^(٢٠) القسوس صلاة التالته كالعاده مع طبحاتها والموعظه واختامها بالبركة“.

١٩- وهو نفس ما يذكره ”مخطوط دلالّ الملقّة (ق ١٦)“. و ”مخطوط دلالّ حارة زويله (ق ١٧)“، و ”مخطوط دلالّ الملقّة“، مع إضافة عبارة (بنصّه): ”وتعلق الستور داير البيعه“. ولم أعثر عمّا يشرح هذه العبارة الموجودة في المتن. وازداد الأمر تعقيداً، بعد أن ذكر كتاب دلالّ وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م: عبارة مضافة هي: ”... الصّلبوت مع بولس الرّسول الطّاهر“!!! (ص ١١٨). وهو نفس ما وجدته في ”مخطوط دلالّ أنبا شنوده (ق ١٤)“، و ”مخطوط دلالّ لندن“، حيث يذكران ما يلي: ”... الصّلبوت وما اتفق له بعد ذلك مع الرّسول الطّاهر بولس“.

٢٠- كلمة غير واضحة بالمخطوط.

ثانياً: تعقيب وشرح على السَّاعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة

حول التَّعليمات الطَّقسيَّة بتجهيز الكنيسة ليوم الصَّليب

بادئ ذي بدء، يلاحظ القارئ العزيز أنه مع مرور الوقت، تزداد التَّعليمات الطَّقسيَّة ميلاً نحو الأبهة. ففي البداية كانت التَّعليمات الطَّقسيَّة، أنه تُزِين الكنيسة بالسَّتائر. ثم تطوَّر الطَّقس، فأضيفت الجمار المعلقة إلى السَّتائر. ثم تطوَّر الطَّقس أكثر، فألحق بجانب السَّتائر والجمار؛ أُضيفت القناديل والأناجيل، والصُّلبان والشُّموع.

وهو ما نقرأه في كلِّ المخطوطات قيد الدِّراسة، باستثناء "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)".

وبينما لم يشر ابن سباع - في حديثه عن السَّاعة الثالثة - إلى الورد، إلا أنه عند حديثه عن السَّاعة السادسة من هذا اليوم العظيم، ذكر الورد والرياحين، فهي تقليد قبلي قديم، أن تُزِين أيقونة الصَّليب، بالورد البلدي والريحان، إلى جانب الحنوط واللِّبان. وتركز المخطوطات على ذكر "شيء من الرياحين"، و"الورد الكثيرة".

ومن ثمَّ تشير جميع المخطوطات قيد البحث إلى الورد الذي يوضع أمام أيقونة الصَّليب باستثناء "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)".

حول قراءات هذه السَّاعة الثالثة

تتفق جميع مخطوطات القطمارسات قيد الدِّراسة، على وجود خمس قراءات من العهد القديم في هذه السَّاعة، الأولى من سفر التَّكوين (١٥: ١-١٩)، وثلاث قراءات من إشعياء النبي: (٤٥: ٤-٩)، (٩: ٣-١٥)،

(١٠:٣٠-٢١:٢٩) من سفر أيوب (٧-١:٦٣). والقراءة الأخيرة من سفر أيوب (١٠:٣٠-٢١:٢٩).

فتبدأ الساعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة بنبوّة من سفر التكوين (١٩-١:٤٨) بمباركة يعقوب لأفرام ومنسى ابني يوسف، ووضع يديه متخالفتين على شكل صليب لمباركتهما، فبارك الأصغر بيده اليمنى على غير العادة، حتى أن يوسف عندما قال لأبيه: ليس هكذا يا أبي، لأن هذا - أي منسى - هو البكر، فضع يمينك على رأسه. فأبي يعقوب وقال له: أنا أعلم يا ولدي أنا أعلم. وهكذا صارت بركة الصليب لا ينالها سوى الصغير دائماً. فميزان الصليب قد قلب موازين المعقول والواجب. ونحن الأمم الذين كنّا بعيدين صرنا قريين بدم الصليب.

ومن الملاحظ أن باقي نبوءات هذه الساعة تتطابق مع أناجيل هذه الساعة أيضاً تطابقاً يتعجب له الدّارس.

فيقول إشعياء النبي (٩-٤:٥٠): «... أنا لم أقاوم، بل بذلتُ ظهري للضّرب، وخدي للطم، ولم أرد وجهي عن خزي البصاق...».

وأيضاً يقول إشعياء النبي (١٥-٩:٣): «... لنوثق البار، فإنه غير نافع لنا...» ويقول أيضاً (٧-١:٦٣): «من ذا الآتي من أدوم وثيابه حمر من بصره، بهي هكذا في حلة الاعتزاز بالقوّة... ما بال ثيابك حمراً، ولباسك كدائس المعصرة. إني دستها وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد...».

وتُختتم النبوءات بعظة للبابا أناسيوس الرسولي، لم ترد في أيّ من مخطوطات القبطمارسات قيد الدّراسة، ولا في القبطمارس المطبوع سنة ١٩٢١م. ولكن أوردتها بعض القبطمارسات الحديثة.

[المسيح جاء بذاته، ولحجّته مات لأجلنا، لأنّه لم يخلقنا نحن

الخطاة مثل آدم، ويصيرنا بشراً فقط، بل لما أهلكنا أنفسنا بالخطيئة، جاء وتألم عنا، وأحياناً بمحبته، لأنه قد جاء إلينا كطبيب مُعلناً لنا ذاته، لأنه لم يأت لنا كمرضى بل كموتى. بهذا لم يشفنا نحن المرضى، بل أقامنا نحن الأموات الذين ابتلعنا الموت، ففكنا من رباطه. لهذا مات المسيح الرب لأجلنا، لكي نحيا معه إلى الأبد، لأنه إن لم يكن الرب قد شارك البشرية في آلامها، فكيف يخلص الإنسان؟ لأن الموت سقط تحت أقدام المسيح، وانهمز وهو مسي مضطرب، والجحيم مع قوائمه رجع إلى خلف لما سمع صوت الرب ينادي الأنفس قائلاً: اخرجوا من وثاقكم أيها الجالسون في الظلمة وظلال الموت، اخرجوا من وثاقكم، أنا أبشركم بالحياة، لأي أنا هو المسيح ابن الله الأبدى].

وأقدم مخطوط لقطمارس أسبوع البصحة وُجدت به هذه العظة، محفوظ الآن، بمكتبة الفاتيكان بروما تحت رقم (٩٠) وهو يعود إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي (١٤٤٠ شهداء / ١٧٢٤ ميلادية). كما توجد هذه العظة أيضاً في مخطوط رقم (٧٠٦) محفوظ في مكتبة المعهد الكاثوليكي بباريس، وهو يعود إلى منتصف القرن الثامن عشر (١٤٧٣ شهداء / ١٧٥٧ ميلادية).

وبرغم العمق الآبائي لهذه العظة، وتعليمها عن واحدة من أهم عقائد الكنيسة، وهي عقيدة نزول المسيح إلى الجحيم بالصليب، إلا أن اختيار موقعها الطقسي لم يكن مصيباً، إذ يلزم أن يكون في الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة، وليس في الساعة الثالثة. وسوف أعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى عند الحديث عن الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة.

أما مزموور الإنجيل (مزموور ١٧: ٣٧ ، ١٥: ٢١) فهو قول الرب عن نفسه بحسب النبوءات: «أما أنا فمستعدٌ للسياط، ووجعي مقابلي في كل حين».

وتسرد فصول الأناجيل المقدسة الأحداث المتلاحقة الأخيرة التي تمت للرب قبل أن يسلمه بيلاطس إلى اليهود ليُصلب.

فيسرد إنجيل القديس متى (٢٧: ١٥-٢٦) محاولة بيلاطس الأخيرة للإفراج عن يسوع مقابل باراباس اللص الذي أراد أن يسلمه لليهود ليُصلب عوضاً عن المسيح.

ويوضح إنجيل القديس مرقس (١٥: ٦-٢٥) بيلاطس بقوله: «فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم، أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعدما جلده ليُصلب»، حيث يسرد الإنجيل أحداث المهانة التي تعرّض لها الرب يسوع؛ من حيث لبسه الثوب الأرجواني، ووضع إكليل الشوك على رأسه، وضربه بالقصبة على رأسه، والبصق في وجهه، والجتو أمامه على الأرض استهزاءً به ... الخ.

وقد أوجز إنجيل القديس لوقا (٢٣: ١٣-٢٥) هذا كله بقوله: «وأسلم يسوع لإرادتهم».

أما إنجيل القديس يوحنا، فقد أجمل قضية الخلاص كلها بدراية وحذق بقوله: «... قال لهم بيلاطس: خذوه أتم واصلبوه، لأني لستُ أجدُ فيه علة. أجابه اليهود: إنا لنا ناموساً، وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت، لأنه جعل نفسه ابن الله». وبالفعل كانوا صادقين في ذلك، لأنه بحسب الناموس، كان لا بد أن يموت المسيح ابن الله، لينقذنا من حكم الناموس الذي كان يحكم علينا بالموت، ويردنا إلى حضن الآب، الذي

فقدناه بعضيانا القديم.

ثم يُقال الطَّرْح والطلبَة مع الميطانيات، وتُختَم السَّاعة الثالثة كالعادة.

السَّاعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة

أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطَّقسيَّة القديمة

”ابن سباع“

نقرأ في كتابه ”الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة“ ما يلي بنصّه: (٢١):

”... في هذه الصلاة (أي صلاة السَّاعة السادسة) بعد ابونا الذي في السموات (وتوك دادي جوم) اثني عشر دفعه وقراءة النبوات يتقدم ريس الكهنة ان كان بطرك او اسقف او اكبر القسوس يكشف راسه هو والكهنة الحاضرين كلهم يكشفوا روسهم بعد اشعال الجامر المعلقة بالنار ويتقدم الكبير الحاضر ومن معه من الكهنة يضع البخور في الجامر وهو حصا لبان خاصة يقدمه في ذلك الوقت يقدمه امام صورة الصليبوت بخورا ذكيا.

وهذا وقت تقدمته مع المر لان الجوس لما قدموا قرايينهم كان ذلك مع المر واللبان اما اللبان منجل انه الاله والمر منجل الامه وحنوطه وهذا وقت تقدمه المر واللبان اما المر يعوضه عنه بالطيب الذي ياتوا به مع الفاكهة والورد والريحان واللبان يقدمه الكاهن الكبير مع بقية الكهنة وهم مكشوفين الروس في ذلك الوقت والمرتين يقولوا ضاي شورا(٢٢) وتستقر الكهنة مكشوفين الروس الى بعد الانجيل.

٢١- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٦-٣٣٨

٢٢- وهو لحن $\alpha\iota \psi\omega\rho\eta\eta$ (تاي شوري).

ثم يقرأ الأبسطلس ولا يقال اوله اتوادي انسطاسيس (٢٣) ثم بعد البولس اجيوس ثلاثة دفعات اسطفروتيس وبعدها المزمور والاناجيل ويغطي الكهنة روسهم ويطرح الطرح ويقال كيرياليصون ثم بعد ذلك تقرا امانة اللص التي اولها اذكرني يارب اذا جيت في ملكوتك وكلما قرا القاري منها ربع يرد عليه كل خورس اذكرني يارب اذا جيت في ملكوتك ثم تشرح عربياً ثم بعد ذلك يقال واهم (٢٤) اللص اواني اتك انتوك اديماس بيصوني (٢٥).

”مخطوط أوبسالا“

”وفي وقت الساعة السادسة، بعد قراءة النبوات، يُقال **Θωκ τε** و **†χομ νεμπιωτ** (٢٦) وتُعمّر المِجامر، ويرفع الكهنة البخور، ويخرون أيقونة الصليبوت على اختلاف طقوسهم.

ويُقرأ الأبسطلس، بلحن التّجنيز، بغير بدء، بل يُبدأ باللفظ، وهو من رسالته إلى أهل غلاطية، أوله: «وأما أنا فلا كان لي فخرٌ إلاّ بصليب سيّدنا يسوع المسيح». وعند كماله، يقول القاري: **Πρωτ** **νεμωτεν** (٢٧) وبعض الناس يوهمون (٢٨) فيه بلحن التّجنيز أولاً، والعادة

٢٣- أي: **Θωκε ταναστας** (إثني في أناسطاسيس) ”من أجل قيامة الأموات الذين رقدوا في إيمان المسيح يارب نبيح نفوسهم أجمعين“. فهذه المقدّمة لا تُقال في الساعة السادسة.

٢٤- أي لحن.

٢٥- أي: **Θωκ τηκ ω Δημιας πικονι** أي: ”طوباك أنت يا ديماس اللص“.

٢٦- أي: ”لك القوّة والمجد“،

٢٧- أي: ”النّعمة معكم“.

أخيراً.

ويقال أجيوس ديماس^(٢٩)، وأجيوس الوُسْطى^(٣٠) ثلاث مرّات، باللّحن الكبير المتّفق فيه مع الرُّوم^(٣١).

وتُقال قطع السّاعة السّادسة من الأجيبة، ويُطرح المزمور، وتُقرأ الأناجيل والمواعظ اللائقة بها، والطّرح، والطّباحات، على العادة، وتُكَمَّل.

ويجلس الشّعب، ويقرأون أجيوس الوُسْطى بلحن مختصر^(٣٢)، ثمّ أمانة اللّص بالرومي، وتُفسّر بالعربي، وهي: ὙΠΝΟΣΩΤΙ^(٣٣) ويرد المرتّلون على القارئ في آخر كلّ قطعة منها، طقسين، أحدهما رومي، والآخر قبطي، الرومي ὙΠΝΟΣΩΤΙ، والقبطي Ἀρπαμενὶ ὦ Πα^(٣٤).

٢٨- أي: "يلحّنون". وأصل الفعل وارد من الكلمة القبطيّة *βωρεν* وتعني: "لحن - نشيد - ترتيلة".

٢٩- أصل العبارة يونانيّة: ἅγιος δι ἡμας أي: "قدوس ... من أجلنا". وهي إشارة مبهمّة وردت في هذا المخطوط عن القطع اليونانيّة التي تُقال عقب لحن "أيها الابن الوحيد ..."، والتي بدايتها: "قدوس" الله الذي من أجلنا صرت إنساناً ...".

٣٠- أي: التّقديسة الثّانية من لحن الثّلاثة تقديسات، والتي تنتهي بعبارة: "يا من صلّب عنّا ارحمنا".

٣١- يرتّل الأقباط هذا اللّحن باليونانيّة حتى اليوم، ولذلك فهم يتّفقون في ذلك مع الرُّوم، أي مع الكنيسة البيزنطيّة، أو اليونانيّة.

٣٢- ما يذكره المخطوط هنا، هو المراد القديم الذي يقوله الشّعب في أمانة اللّص. وهو ما سيرد شرحه بعد قليل.

٣٣- اللفظة يونانيّة، وتعني: "اذكري".

٣٤- أي: "اذكري يا (ربي)".

وعند فراغها يُرْتَل بالوهم^(٣٥) المختص بلص اليمين، وهو: **Ἐπισημασθησὶς τῆς ἑξήκοντης ἡμέρας τῆς ἐπισημασθησὶς τῆς ἑξήκοντης** وأكثر من جميع. ويُقال السيرلكس^(٣٦)، وهو **Ἐπισημασθησὶς τῆς ἑξήκοντης** **ἡμέρας τῆς ἐπισημασθησὶς τῆς ἑξήκοντης**.

وتُطفأ الشَّموع الموقدة، والقناديل المضيئة في هذه السّاعة، إلى صلاة السّاعة التّاسعة كما شهد الإنجيل المقدّس.

ويُقرأ ميمر وضعه أنبا يعقوب أسقف سروج، على اعتراف اللّص، ودخوله مع السيّد إلى الفردوس، ومهما وسعه الوَقْت من الميامر والعظّات المختصّة بالآلام المحيية، وتُفسّر معاني أناجيل الصّلب، فإنّ في ذلك نفعاً تاماً للمؤمنين، وربحاً عامّاً للسامعين.

”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م“
 تحت عنوان: ”ترتيب السّاعة السّادسة من يوم الجمعة“ يقول المخطوط المذكور^(٣٨):

”يبتدئون بقراءة التّبوتات قبطياً وعربياً. وبعدهم **Θωκ τε τῆς ἑξήκοντης** (ثوك تي تي جوم)^(٣٩) كالعادة اثنتي عشرة مرّة. وبعد ذلك ترتّل الشّماسة

٣٥- أي: باللّحن.

٣٦- من الكلمة اليونانيّة παράληξις (باراليكسيس)، أي: ”المقطع قبل الأخير من كلمة“، وفي المجال الطقسي، تشير إلى لحن تتكرر فيه بعض الكلمات.

الأخ وديع الفرنسيكاني، مجموعة ٣٤، مرجع سابق، ص ٣١١

٣٧- أي: ”كان لما صُلب مخلصنا...“

٣٨- مع تصحيح الأخطاء اللغويّة والنحويّة.

٣٩- ما بين القوسين من عندي للتّوضيح.

يقال $\Phi\alpha\iota\ \epsilon\tau\alpha\varphi\epsilon\tau\iota\ \epsilon\pi\psi\omega\iota$ (٤٧) وبعده $\alpha\varphi\omega\alpha\eta\psi\omega\lambda\epsilon\mu\ \epsilon\rho\omicron\varsigma$
 $\Upsilon\epsilon\sigma\omicron\tau\omega\psi\tau\ \mu\mu\omicron\kappa\ \omega\ \Pi\chi\varsigma\ \dots\ \chi\epsilon\ \alpha\tau\alpha\psi\kappa\ \alpha\kappa\omega\tau$ (٤٨) وبعده
 $\mu\mu\omicron\kappa\ \omega\ \Pi\chi\varsigma\ \dots\ \chi\epsilon\ \alpha\tau\alpha\psi\kappa\ \alpha\kappa\omega\tau$ (٤٩).

ثمَّ يتبدئ أحد الشمامسة بقراءة البولس بلحنه المعروف بلحن الحزن. ومقدمته هكذا... (٥٠) ”رسالة معلّمنا بولس، بركته المقدسة فلتكن معنا. بولس عبد ربنا يسوع المسيح، الرّسول المدعو، المُفرز لبشرى الله“. وفي آخرها يقول... (٥١) ”النّعمة معكم كلُّكم، آمين يكون“. ثمَّ يُفسّر عربياً.

وبعده تقرأ قطع الساعة السادسة. يتلوها رئيس الكهنة أو كبير القسوس. والشمامسة يردّون عليه بعد كلِّ قطعة بالرُّبع الأوّل، وهو هذا... (٥٢) ”يا من في اليوم السادس وفي وقت الساعة السادسة ... الخ“. ثمَّ تفسّر (٥٣) عربياً (٥٤). وبعدها (٥٥) يقولون هذه القطعة الرُّومي بلحنها المعروف بها. وتُقال أيضاً في تكريس (٥٦) البطارقة وهي هذه... (٥٧). ثمَّ

٤٧- أي: ”هذا الذي أصعد ...“.

٤٨- أي: ”فاشتمّه ...“.

٤٩- أي: ”نسجد لك أيها المسيح ... لأنك صُلبت وخلصتنا“.

٥٠- يورد المخطوط النّص القبطي فقط لمقدمة البولس وما ورد في المتن هو التّرجمة العربيّة لما ورد بالمخطوط بالقبطيّة.

٥١- يورد المخطوط النّص القبطي فقط لخاتمة البولس. وما ورد في المتن هو التّرجمة العربيّة لما ورد بالمخطوط بالقبطيّة.

٥٢- يورد المخطوط النّص القبطي فقط لقطع الساعة السادسة.

٥٣- حرفياً: يفسروا.

٥٤- يتّضح من نص مخطوط ترتيب البيعة أن قطع الساعة السادسة كانت تُقال كلها بالقبطيّة أولاً، مع الرد الخاص بها. وبعد الانتهاء منها تفسر عربياً.

٥٥- حرفياً: وبعدهم.

٥٦- حرفياً: تكريس.

تُقال أيضاً هذه تلوها بلحنها المعروف بها وهي... (٥٨). ثم يقول **Δστος** **ὁστατηρωις** (٥٩) ثلاث مرّات بلحن الصلّوت. وذكّصابتري.

ويُرفع البُخور أيضاً. ثمَّ يُبخّر الكهنة أمام الإنجيل والأيقونة. ثمَّ يعلّقون الجمار مكانهم. ويسجد كل منهم للسيد المسيح، ويقف مكانه.

ويُطرح المزمور الأدربي، ويقول **Κε ἕππερ του** وتقرأ الأناجيل كالعادة بلحن التّجنيز وتُفسّر (٦٠) عربياً. وعندما ينتهي المفسر إلى قوله: وكانت ظلمة على الأرض، يطفئون الشموع والقناديل مثلاً للظلمة التي غشت وجه الأرض. ويُطرح الطّرح ويُفسّر. وتُقرأ الطّلبات. وتُقال كيريليصون بالكبير ومُلخّص. وتختتم الصّلاة كالعادة بقراءة البرّكة“.

”مخطوط دلال حارة الرّوم (ق ١٥)“

تحت عنوان ”صلاه السّادسة“ (٦١)، يقول المخطوط (بنصّه):
 ”تبتدي بدو الصلاه كالعادة. وبعد قراه **Θωκ τε τχομ** يقال النبوات قبطيا وعربياً. ويكونوا ضمن ذلك قد اشعلوا الجمر في الجمار وكشفت الكهنة وروسهم. تم يضعوا البخور في الجمار كل واحدا منهم بطقسه يضع في الشوره الذي معه البخور خمسة ايادي مشتركين الكهنة مع بعضهم في كل شوره. وطول كلمن بيده شوره يضع البُخور اولاً في شورته ولو انه اصغر الكهنة وباقي الكهنة تشاركه في الشوره الذي معه. ويقول الشعب

٥٧- يورد المخطوط لحن **Θμνοσενης** (أومونوجينيس) بالقبطية كاملاً.

٥٨- يورد المخطوط قطع ”آجيوس أوثيوس“ بالقبطية كاملة.

٥٩- أي: ”قدوس“ ... يا من صلّبت ...“.

٦٠- حرفياً: ويفسروا.

٦١- ورقة (١١٢ ظهر). مع مراعاة أن ترقيم وقات المخطوط تجري من اليمين إلى

Παιγοῦρι... Φαι ἔταϕῆνϑ... Κ̅ςμαρωοῦτ... (62)

ثم يقال البولس بطريقته المعروفة في هذه الساعه. وبعد التفسير عربي يقال قطع الساعه السادسة قبطياً ويفسروها عربياً. وهذه مرد القطعه الاوله يردوا بها الشعب **Ω̅φηετ̅ δ̅εν̅ πι̅ε̅ροοῦτ... (63)** ثم يكمل بقيه الستة قطع ويفسروها. كتب تفسيرها مع العربي. وترتل الشعب بعده القطع الرومي (الملتيه) (64) فيه بالطريقه.

لها طريقه معروفه ويُقال ايضاً في تكرير الميرون وروسا الكهنه والبيع

Ο̅ μονοϑεν̅ης̅ ἱ̅γιος̅ κε̅ λοςος... (65)

وهذه الثلاثه تقديسات للصلبوت تُقال ايضاً هاهنا

Α̅γιος̅ ὁ̅ θεος̅ ὁ̅ δι̅η̅μας... (66)

تم تقال اجيوس الثلاثه

Α̅γιος̅ ὁ̅ ἑ̅ς̅ ὁ̅ εκ̅ πα̅ρ̅θενοῦτ... (67)

Α̅γιος̅ ὁ̅ ἑ̅ς̅ ὁ̅ ἑ̅τα̅τρ̅ω̅ις... (68)

Α̅γιος̅ ὁ̅ ἑ̅ς̅ ὁ̅ ἑ̅τα̅τρ̅ω̅ις... (69)

Δοξα̅ πα̅τρι... (70)

المزمور الادريي والاربعه الأناجيل ... والموعظه والطرح والطبحات وكيرياليصون وختام الصلاه بالركه (71).

يجلس الشعب لـ ... امانه اللص ... المعروفه ... (72).

٦٢- يورد المخطوط نص هذه الألحان كاملاً بالقبطية فقط.

٦٣- يورد المخطوط نصها كاملاً بالقبطية.

٦٤- كلمة غير واضحة بالمخطوط.

٦٥- يورد المخطوط النص الكامل لهذا اللحن بالكامل بالقبطية فقط.

٦٦- يورد المخطوط هذه القطع كاملة بالقبطية فقط.

٦٧- الخط غير واضح، وهذا ما استطعت قراءته بالكاد.

٦٨- الخط غير واضح.

Αριπαμεγὶ ὠ Παῶς... (69)

ثم يقول ... واكثر ما يقرأها الاطفال الدين ... في بيعه ويعلوهم في ...
العلوم البيعية امانه لص اليمين قبطيا وادا فرغ القبطي يقول الشعب مرد

Ἰηησῆντι μοῦ κῆριε... (70)

ثم يفسروها عربيا وبعد ذلك لحن وبرلكس اللص

Ἠοῦνια τῆκ ἡοοκ ὠ Δηιδας...

برلكس على طريقه عيد العنصره

Δσῶπι ἐταγῖωι ἰπενσῶτηρ...

ثم يقول ميمر دانواسوس او ميمر اللص

ثانياً: تعقيب وشرح للسّاعة السّادسة من يوم الجمعة العظيمة

السّاعة السّادسة من يوم الجمعة العظيمة هي ساعة الصّليب، ومحور
طقس هذا اليوم العظيم - إلى جانب القراءات والطّروحات - يشتمل
على ألحان قبطية عميقة الأثر يعود بعضها في أصوله الأولى إلى الموسيقى
الفرعونية، وهو ما يشهد له كل عارف بهذا الفن. بل إن الكنيسة القبطية
لتفتخر بين كل الكنائس بهذا الكنز الموسيقي الجنائزي الرائع، فهو تراث
تعتز به، وتحافظ عليه، وتسلمه بأمانة من جيل إلى جيل. وأحسب أن أيّ
إضافات حديثة مهما كانت، ولاسيما في هذه السّاعة السّادسة، لا يمكن
بمحال من الأحوال أن ترقى إلى هذا السّموم الموسيقي الجنائزي، ومن ثمّ
تكون إضافات من غير فاهمين أو غير مدركين لتراثهم القبطي العظيم،
فأقلّ ما تفعله هذه الإضافات، أنّها تُشوّه هذه البانوراما الجنائزية.

٦٩- يورد المخطوط النّص القبطي كاملاً:

٧٠- يوردها المخطوط بكاملها بالقبطية.

بدء صلوات الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة

تتفق جميع المخطوطات قيد الدراسة، على أن النبوات هي العنصر الليتورجي الأول الذي تُستهل به سواعي البصخة المقدسة، ويعقبها تسبحة البصخة، باستثناء "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)"، الذي يبدأ بتسبحة البصخة أولاً، ثم النبوات. وفي ذلك يقول "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)" في معرض حديثه عن الساعة الحادية عشرة من يوم أحد الشعانين (بنصّه): "... وعادة الاديره يدوا Θωκ δε τῆσιν وبعد ذلك النبوة وتلوهم الانجيل ...".

نبوات الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة

بحسب مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة، تُقرأ أربع نبوات، وهي النبوات التي وردت في معظم قطمارسات أسبوع البصخة؛ النبوة الأولى من سفر العدد (١: ٢١-٩) وهي عن الحية النحاسية، رمز الصليب في العهد القديم. «فكان أيُّ إنسان لدغته الحية (رمز الشيطان)، ونظر إلى الحية النحاسية (رمز الصليب) يحيى».

والنبوة الثانية من سفر إشعياء (٧: ٥٣-١٤). «مثل خروف سيق إلى الذبح، وكحمل صامت أمام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه ... حيث أسلم نفسه للموت، وأحصي مع الأئمة، وهو قد حمل خطايا كثيرين، وأسلم من أجل ذنوبهم».

والنبوة الثالثة من سفر إشعياء أيضاً (٢: ١٢-١٣: ١٠). «كواكب السماء وكل زينتها، لا تعطي نورها. وتظلم الشمس عند طلوعها، والقمر لا يعطي نوره».

أما النبوة الرابعة والأخير، فهي من سفر عاموس النبي (٨: ٩-١٢).
«ويكون في ذلك اليوم، يقول السيد الرب، تغيب الشمس وقت الظهيرة.
ويظلم النور على الأرض في النهار».

رفع البخور أمام أيقونة الصليب

يتحدث مخطوط ترتيب البيعة عن "أيقونة الصليب"، ويتحدث ابن سباع عن "صورة الصليب"، وهو نفس التعبير السابق، إلا أن ابن سباع قد ذكر أيضاً "صليب الصليب". أما كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م فيتحدث عن "الأيقونة والصليب" حيث يقول: "توقد الشموع أمام الأيقونة والصليب ... الخ" (٧١)، وهو ما لم يذكره غيره، والصحيح أن رفع البخور يكون أمام أيقونة الصليب فحسب.

كشف الكهنة لرؤوسهم عند بدء رفع البخور

تكتفي بعض كتب قطمارسات أسبوع البصخة المطبوعة حديثاً بقولها: "توقد الشموع أمام أيقونة الصليب، ويرفع الكهنة البخور أمام الأيقونة".

أما ابن سباع، فهو يذكر أنه بعد انتهاء نبوات الساعة السادسة، وعند بدء ترتيل لحن العذراء: "هذه الجمرة الذهب ..."، يكشف رئيس الكهنة أو كبيرهم، رأسه، وأيضاً جميع الكهنة الحاضرين، يكشفون هم أيضاً رؤوسهم، حيث يرفعون البخور أمام أيقونة الصليب.

وهذا هو نفس ما يذكره مخطوط ترتيب البيعة، وعنه نقل كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م.

أمّا ابن سباع، فيضيف هنا بأن جميع الكهنة يظنون مكشوفى الرؤوس حتى الانتهاء من قراءة أناجيل الساعة السادسة.

وبرغم أن كشف الكهنة لرؤوسهم هو طقس مستقر في جميع الكنائس الشرقية والغربية أيضاً، وهو ما أشارت إليه كافة الكتب الطقسية القبطية المخطوطة، أو المطبوعة حتى أوائل القرن العشرين، إلا أنى أعجب أن تغفل كتب الطقس المطبوعة حديثاً ذكر هذه الممارسة كليلية، لسبب بسيط، هو أنه في مقدور أي واحد اليوم أن يطبع كتاباً طقسياً، يحوي نصوص وطقوس الصلوات في الكنيسة.

المفهوم الليتورجي لطقس "رفع البخور"

تعبير "رفع البخور" في المفهوم الليتورجي، هو تعبير يفيد بالتحديد ممارسات طقسيتين لا غنى لأيهما عن الأخرى؛

الممارسة الطقسية الأولى لرفع البخور

وهي صلب هذا الطقس وأساسه، أي رفع أو وضع البخور في الجمر، مع مباركة وتمجيد الآب والابن والروح القدس. فتعبير "رفع البخور" يعني رفعه من حُق البخور ووضعه في الشورية، مع مباركة الثالوث، أو إعطاء المجد للثالوث القدوس.

فيشرح مخطوط ترتيب البيعة طقس رفع البخور أمام أيقونة الصلوات في يوم الجمعة العظيمة أنه يكون بثلاث أيادي، وبمشاركة الكهنة كالعادة،

بمعنى أن كبير كهنة يضع البخور في المحمرة ثلاث أيادي، أي ثلاث مرّات. ففي المرّة الأولى يقول: "باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين، مبارك الله الآب آمين"، وفي اليد الثانية يشاركه جميع الكهنة الحاضرين حيث يقول كل واحد منهم وهو يضع البخور في الشُّورية: "مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا آمين". وفي اليد الثالثة يضع كبير الكهنة البخور في المحمرة وهو يقول: "مبارك الروح القدس آمين".

هذه الممارسة الطقسية الأولى في طقس رفع البخور، هي في غاية الأهمية، فهي في حد ذاتها صُلب طقس رفع البخور. فمباركة الله الآب ومباركة ابنه الوحيد، ومباركة الروح القدس، هو طقس البركة الذي تنبئ عليه خدمة رفع البخور كلها^(٧٢).

وإن المخطوطات قيد الدراسة، مع كتاب دلالاً وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح الجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، قد أغفلوا ذكر هذه الممارسة الأولى كليّة.

الممارسة الطقسية الثانية لرفع البخور

أمّا الممارسة الطقسية الثانية، فهي التبخير بالشُّورية أمام الله أو المذبح أو الإنجيل أو الأيقونات أو الكهنة أو الشعب، مع ما يصاحب ذلك من صلوات. وفي هذه الممارسة الثانية، لا يتحدّد فيها عدد مرّات التبخير بالشُّورية - أي تحريكها جيئةً وذهاباً - سواءً كان ذلك مرّةً أو اثنتين أو ثلاثة أو أكثر، لا يهم، ولكن الذي يهم هنا هو منطوق الصلوات التي تُقال، وعددها.

٧٢- لتفصيلات أوفر، يمكن الرجوع إلى كتاب: "القدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله" للمؤلف، وأيضاً كتاب "صلوات رفع البخور في عشية وباكر".

فيقول مخطوط ترتيب البيعة في هذه الممارسة الطقسية الثانية: "يعطي رئيس الكهنة البخور ثلاث أيادي أمام الأيقونة، ويسجد برأسه وهو يقول: نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك صُلبت وخلصتنا". ومن بعده القس الشريك يفعل نفس الشيء.

فالمقصود بالثلاث أيادي المذكورة هنا، أي عدد أيادي البخور التي وُضعت في الشورية، وهي الممارسة الطقسية الأولى، السابق ذكرها. أمّا التبخير أمام أيقونة الصليب، فيكون بأيّ عدد من المرات، مع ترديد صلاة: "نسجد لك أيها المسيح، مع أبيك الصالح ... الخ".

ولكن تحولاً قد حدث في هذه الجزئية من الطقس، أي طقس رفع البخور، بسبب مخطوط وحيد بين كافة المخطوطات قيد الدراسة، وهو "مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)"، والذي يورد نصاً قبطياً مطولاً مقسماً إلى ثلاثة أرباع، يسبق كل رُبع منها تعبيرات "أول يد"، "ثاني يد"، "ثالث يد"، على التوالي. وذلك أثناء رفع البخور أمام أيقونة الصليب. فيقول المخطوط:

"... والكهنة متبدلين وبأيدهم الجحامر، ويتدثون بشركة البخور، ويرفعونه كطقوسهم أمام أيقونة الصليب الشريف، ويقولون هكذا: أول يد:

Ⲭⲉⲛⲟⲩⲱⲩⲧ ⲓⲙⲟⲕ ⲓⲱ Ⲡⲭⲥ : Ⲛⲉⲙ ⲡⲉⲕⲥⲧⲁⲧⲣⲟⲥ
ⲛⲣⲉϥⲧⲁⲛⲃⲟ : ⲫⲛⲉⲧⲁⲧⲁⲩⲕ ⲉ̀ⲃⲣⲛⲓ ⲉ̀ϫⲱϥ : ⲱⲁⲗⲛⲧⲉⲕⲥⲟⲧⲧⲉⲛ
ⲃⲉⲛ ⲡⲉⲛⲛⲟⲃⲓ. (73)

٧٣- أي: "نسجد لك أيها المسيح، ولصليتك المحيي الذي صلبت عليه حتى
خلصتنا من خطايانا".

ثاني يد:

Πα̅σ̅ς Ιη̅ς Χ̅ς : φ̅η̅ε̅τ̅α̅τ̅α̅ϖ̅κ̅ ἐ̅πι̅σ̅τ̅α̅τ̅ρο̅ς :
ε̅κ̅ε̅δ̅ο̅μ̅δ̅ε̅μ̅ ἡ̅ν̅σ̅α̅τ̅α̅ν̅α̅ς : σ̅α̅π̅ε̅σ̅η̅τ̅ ἡ̅ν̅ε̅ν̅β̅α̅λ̅α̅τ̅χ̅. (74)

ثالث يد:

Χ̅ε̅ρε̅ π̅ι̅σ̅τ̅α̅τ̅ρο̅ς : ἐ̅τ̅α̅τ̅ε̅ϖ̅ π̅ο̅τ̅ρο̅ Π̅χ̅ς :
ϖ̅α̅ν̅τ̅ε̅ϖ̅σ̅ω̅† ἡ̅μ̅ο̅ν : ἐ̅β̅ο̅λ̅α̅ δ̅ε̅ν̅ κ̅ε̅ν̅ν̅ο̅β̅ι. (75)

وما سبق ذكره في "مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)"، لا تدعمه أيُّ مخطوطات أخرى، بل إنَّ مخطوطات نفس الكنيسة^(٧٦)، لا يرد بها هذه الإضافة. فهي إضافة أضافها الناسخ إلى مخطوطه الخاص به.

أمَّا أن تنتقل هذه الإضافة غير الحاذقة والتي تشوِّش طقس رفع البُخور، إلى كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، عن غير إدراك لمفهوم رفع البُخور في الكنيسة، فهو ما لم يكن يليق، لأنه كتاب مطبوع، سرعان ما تنقل منه الكُتب الأخرى، فيستشري هذا الخطأ الطَّقْسي في كلِّ الكنائس.

فالإضافة التي نحن بصدها الآن، وإن كانت مقبولة من حيث منطوقها، إلَّا أنَّها طمست النَّصَّ التَّقْلِيدِيَّ القَدِيمَ، الذي يقول بالسُّجود للمسيح مع أبيه الصَّالِح والروح القُدُس، أي السُّجود للثالوث القُدُوس، أثناء رفع البُخور،

٧٤- أي: "يا ربِّي يسوع المسيح يا من صلبت على الصَّليب اسحق الشَّيْطَان تحت أقدامنا".

٧٥- أي: "السَّلام للصَّليب الذي صلب عليه الملك المسيح حتى خلصنا من خطايانا".

٧٦- وهما: "مخطوط دلال المعلقة (ق ١٦)"، و "مخطوط دلال المعلقة".

وحولته إلى سجود لأقنوم الابن وصلبيه. كما حولت الانتباه من مباركة الآب والابن والروح القدس، أثناء رفع البخور إلى الشورية، إلى ثلاث صلوات بديلة. فأخرجت هذه الجزئية من الطقس عن مجراها التقليدي القديم. فسقطت الممارسة الأولى والأساسية في طقس رفع البخور.

إذا الذي سبب هذا اللبس بين الممارستين الطقسيّتين السابق ذكرهما، هو أن الخولاجيّات، أو كُتُب الصلوات الكنسيّة، تذكر في الممارسة الطقسيّة الثانية لرفع البخور أن الكاهن يبخّر "يداً واحدة" أو "يدان" أو "ثلاث أياد". فنقرأ مثلاً في الخولاجي: إن الكاهن يبخّر أمام باب الهيكل إلى الشرق ثلاث أياد وهو يقول: اليد الأولى ... اليد الثانية ... اليد الثالثة ... الخ^(٧٧). فتعبير "الثلاث أيادي" هنا هو الذي أربك الدارس، لأن المقصود هو أن الكاهن يبخّر أمام باب الهيكل شرقاً وهو يقول "ثلاث صلوات"، لأنّه في أثناءها يبخّر بالشورية عدداً غير محدّد من المرّات، فالمهم هنا هو عدد الصلوات، وليس عدد مرّات التبخير.

وما يشرح هذا الأمر، هو أن الكاهن حين يعطي البخور - أي يبخّر - الإكليروس والشعب، فهو يبخّرهم بأيّ عدد من المرّات، ولكن الأمر يختلف بخصوص الإكليروس، حيث يقول الكاهن أمام الأب البطريرك أو المطران أو الأسقف ثلاث طلبات - أو دعوات له - مع تقبيل الصليب الذي في يده، وهو ما ذكرته الخولاجيّات بتعبير أنّه يعطيه "ثلاث أيادي". وهكذا حين تذكر الخولاجيّات أن الكاهن يعطي القمّص يدين، فإنّ ذلك معناه أنّه يقول أمامه طلبتين، بينما يُقبّله

مرتين^(٧٨)، أو يعطي يداً واحدة للقس، بمعنى أنه يقول أمامه طلبه واحدة، مع تقبيله مرة واحدة.

ومن ثم، فإنَّ تعبير "ثلاث أيادي" أو "يدين" أو "يد واحدة" يعني عدد الطُّلِّبات أو الدَّعوات، وهو نفسه عدد مرَّات التَّقْبِيل، ولكن لا يعني عدد مرَّات تحريك الشُّورية أمام كلِّ منهم.

ولعل ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في شرحه لهذه الممارسة الثانية لرفع البُخور ينفي أي لبس فيها، حيث لا يرد في شرحه تعبير "الأيادي" الذي ظهر في الخولاجيات وكتب الطُّقس المطبوعة، والذي ارتبك بسببه الدارسون، وانتقل هذا الارتباك إلى كافة كُتُبنا الطُّقسِيَّة والكنسيَّة. فيقول ابن كبر تحت عنوان: "فصل في ترتيب رفع البخور" ما يلي:

"... يرفعه (الكاهن) بعد الشبهات^(٧٩) ويبخر المذبح دائراً حوله ثلاث دورات، ثمَّ باب الحجاب، ثمَّ البطريرك، ويدعو له بالحفظ والحراسة وكبت الأعداء، ويُقبَّل الصَّليب من يده. ومن بعده من كان حاضراً من الأساقفة، ويدعو لهم بما يقارب دُعاء البطريرك، إلا إذا كانوا في كراسيهم، فيجَلِّون أكثر. ثمَّ بعدهم القمامصة، ثمَّ القسوس، ثمَّ الأراخنة، ثمَّ الشَّمامسة. والشَّمامسة يُقبَّلون يده وهو يباركهم... وإذا فرغ الكاهن من تبخير الشَّعب جميعه، الرِّجال والنِّساء وأماكن الهياكل وأيقونات الشُّهداء والقديسين، يعود إلى الهيكل ويطلع فوق قُدس الأقداس، كأنه يرفع خطايا الشَّعب للإله، ويبخر الهيكل، ثمَّ البطريرك فقط. وإن لم يكن حاضراً فالأسقف، وإلا فمَنْ يكون حاضراً من

٧٨- مصافحة اليدين، بعد أن توقف التقبيل بالفم في الكنيسة منذ قرون بعيدة.

٧٩- أي صلاة الشُّكر.

الكهنة. ويومئ بالجمرة إلى بقية الشعب“ (٨٠).

ومن المعروف، أنه في رفع بخور الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة، لا يكون هناك تقبيل، بل يُكتفى بإحناء الرأس فقط. وقد سبق أن شرحتُ بالتفصيل - عند الحديث عن طقس خميس العهد - أن سبب عدم التقبيل هنا، هو أن فعل الصليب لم يتم بعد، والذي به صارت المصالحة والمساحة بدم المسيح، وبه تمت قبلة المحبة والسلام.

أمّا ابن سباع، فقد ذكر ببساطة أنه يتم رفع البخور أمام أيقونة الصليبوت، بدون أن يضيف أية تفاصيل أخرى. بمعنى أن الكاهن يضع البخور في الشورية، ثم يرفع البخور أمام أيقونة الصليبوت، وهو مكشوف الرأس.

تزامن رفع البخور مع ترتيل لحن العذراء

يتفق كلٌّ من ابن سباع، ومخطوط ترتيب البيعة، على أنه حالما يبدأ الشمامسة بترتيل لحن العذراء، يكشف الكهنة رؤوسهم، ويرفعون البخور أمام أيقونة الصليبوت. وهكذا يتفق المصدران السابقان على التزامن بين ترتيل لحن العذراء ورفع الكهنة للبخور أمام أيقونة الصليبوت.

أمّا كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، فقد شدّ عن هذا السياق بقوله: ”وعند فراغ الكهنة من عطية البخور، تبتدئ الشمامسة بقراءة **Παινοσην**“ (٨١). وهذا خطأ يلزم تصحيحه، لأن الضرورة حتمية هنا في الربط بين ما يرده الشمامسة من

٨٠- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهلية بباريس، وهو كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبير، الباب ١٧

٨١- كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد لسنة ١٩٢٠م، ١١٩

معانٍ في لحن العذراء، وبين ما يمارسه الكاهن عملياً في نفس هذه اللحظات عينها. ثمَّ أنَّ الشَّمَامسة لا تقرأ لحن العذراء، بل تردِّده. ولستُ أعرف لماذا خرجت كُتُب الطَّقْس المطبوعة عمَّا تذكره مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا؟. إنه سؤال كررته غير مرَّة، بلا عثور على إجابة له، سوى أن طقس الكنيسة صار مشاعاً لكلِّ من يطبع كتاباً طقسياً، ويذيل عنوانه بعبارة محفوظة هي: ”حسب تقليد وترتيب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية“ (٨٢).

لحن العذراء ”هذه المجرمة الذهب ...“

نصُّ لحن العذراء Ταρωτηρη هو: ”هذه المجرمة الذهب النَّقي، الحاملة العنبر، التي في يدي هارون الكاهن، يرفع بخوراً على المذبح“. وهو لحنٌ كبيرٌ يختصُّ بهذا اليوم العظيم. موسيقاه مصريَّة خالصة، تنحصر في عبارة ”هذه المجرمة“، وهو أوَّل ألحان هذا اليوم العظيم.

وما أن تنساب في يُسر نغمات هذا اللحن الجميل، في إيقاع مبدع، يلفُّ أرجاء الكنيسة كلها، حتى تختلط نغماته بموجات البُخور المتصاعد أمام أيقونة الصُّلبوت، رمز الجلجثة ومذبح العهد الجديد، فينتشرُ عَبَق صليب الجلجثة، وكأنه آت من هناك من وراء الدُّهور، فتمتلئ النَّفسُ خشوعاً ورهبة، إذ تنظر حدث الصُّليب قائماً في الكنيسة بكلِّ مفاعيله كاملة، كفعل خلاصي لا يزول، وإن عبرت عليه كلُّ هذه العشرات من القرون، لأنَّ ما عمله المسيح في ملء الزَّمان، قد استوعب فيه كلَّ الزَّمان.

وكعادة الأقباط الذين لم يعتنوا كثيراً بتسجيل تاريخ طقوسهم، بقدر

عنايتهم بالحفاظ عليها، فلا نعرف حتى الآن الوقت الذي دخل فيه هذا اللحن إلى صلوات الكنيسة. ولكنّه بالتأكيد من بين أقدم ألحان هذا اليوم، إذ اتفقت المصادر الطقسية القديمة على ذكره، فهو حتماً كان معروفاً في الكنيسة القبطية بلحنه المختص به في هذا اليوم قبل القرن الثالث عشر على أقل تقدير.

ولكن يُلفت الانتباه أن "مخطوط أوبسالا" لم يُشر إليه. أمّا مخطوط ترتيب البيعة فيقول بأنه يعقب لحن العذراء Ψ αιωορρι لحن آخر لها، هو لحن Ψ ωορρι. أمّا نصُّ كلماته فهي: "الجمرة الذهب هي العذراء، وعنبرها هو مخلصنا، ولدته وخلصنا، وغفر لنا خطايانا". وكأنه تفسير للحن العذراء السابق.

ويذكر مخطوط ترتيب البيعة، نفس هذين اللحين مرّة أخرى في صلوات الساعة التاسعة من هذا اليوم العظيم^(٨٣).

أمّا "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)" فيقول بترتيل لحن Ψ αιωορρι في الساعة السادسة، و لحن Ψ ωορρι في الساعة التاسعة^(٨٤). وهي الممارسة التي سادت في عموم الكنائس الآن.

لحن الصليب

وبعد لحن العذراء، وطبقاً لمعظم المخطوطات قيد الدراسة، يرتلون لحن الصليب، ونصّه هو:
 "هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص

٨٣- وهو نفس ما يذكره "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"،

٨٤- ويتفق معه في ذلك "مخطوط دلال باريس".

جنسنا، فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة“.

وكلماته مأخوذة من القطعة الخامسة عشرة من ثيوطوكية الأحد.

أمّا ابن سباع، فلم يذكر شيئاً عن هذا اللحن. ولكن الغريب هو أن “مخطوط أوبسالا” لم يذكر هو الآخر شيئاً عنه، وهو المخطوط المنسوخ في منتصف القرن السادس عشر، والذي من المفترض أنه يشرح طقس كنيسة العذراء المعلقة، إلا أن مخطوطات كنيسة العذراء المعلقة^(٨٥) - مع باقي المخطوطات الأخرى قيد الدراسة - قد أشارت كلها إليه. فهل عُرف هذا اللحن في كنيسة العذراء المعلقة بعد زمن ابن كبر (+ ١٣٢٤م)؟ لا نستطيع أن نبي إجابة طبقاً لـ “مخطوط أوبسالا” وحدّه. وجدير بالذكر هنا أن “مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)” قد أشار هو الآخر إليه.

إن لحن الصليب هو أيضاً من أبداع ألحان الكنيسة. فانظر كيف أن لذبيحة المسيح على الجلجثة رائحة لا يشتمها إلا المخلصين. لقد تنسمها الآب رائحة رضى وسرور، ونشتمها نحن رائحة حياة وخلص. فبا لعَبَق رائحة الصليب، عَبَقُ يعرفه جيداً الخطاة الذين نالوا العتق من خطاياهم، هؤلاء الذين أولهم أنا.

وباكتمال اللحن لا يسع الكنيسة إلا أن تردّد كلها معاً “نسجد لك أيها المسيح مع أهلك الصالح، والروح القدس، لأنك صُلبت وخلصتنا“.

٨٥- وهي: “مخطوط دلال المعلقة (ق ١٦)” و “مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)”
“مخطوط دلال المعلقة“.

فصل البولس

يورد ابن سباع إشارة طقسية مهمة في كتابه "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة" بخصوص مقدمة البولس في هذه الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة، حيث يقول ما نصه: "... ثم يقرأ الابسطلس ولا يقال اوله اتوادي انسطاسيس". أي لا يقال: **Θεοε ἡ ἀναστάσις** (إثني تي أناسطاسيس) "من أجل قيامة الأموات الذين رقدوا في إيمان المسيح يارب نبيح نفوسهم أجمعين". فهذه المقدمة لا تُقال في الساعة السادسة.

وتضيف إحدى مخطوطات كتاب "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة" وهي محفوظة في كنيسة العذراء بحارة زويله، ما يلي: "... بل مثل الموجود في البصحة"^(٨٦). أي مثل المكتوب في كتاب البصحة.

وهو نفس ما يذكره "مخطوط أوبسال"، فيقول: "ويُقرأ الأبسطلس، بلحن التَّجْنِيز، بغير بدء، بل يُبدأ باللفظ ... «وأما أنا فلا كان لي فخرٌ إلاَّ بصليب سيِّدنا يسوع المسيح ...»".

وهذه أقدم إشارة معروفة لدينا عن مقدمة فصل البولس في هذه الساعة والتي تعود حتماً إلى ما قبل القرن الثالث عشر على أقل تقدير.

ولعل القارئ العزيز قد عرف الآن سبب ذلك، وهو أنه لا ذكر لقيامه الرقادين قبل موت المسيح على الصليب، والكنيسة الآن تعيش اللحظات الأخيرة قبل أن يُسلم الابن روحه في يدي الآب. ومن ثم فلم يكن المسيح قد نزل بعد إلى الجحيم ليُصعد نفوس الذين قبض عليهم هناك، ويعتقهم بدم صليبه الحبي.

٨٦- انظر: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٧ ، Vxxi .

وَتَتَّفَقُ كُلُّ الْمَخْطُوطَاتِ قِيدَ الدِّرَاسَةِ، وَالْكَتُبُ الطَّقْسِيَّةُ الْمَطْبُوعَةُ، عَلَى تِلْكَ لِإِشَارَةِ الطَّقْسِيَّةِ بَدُونَ أَنْ تَذَكِّرَهَا صِرَاحَةً، مَكْتَفِيَةٌ بِتَدْوِينِ مَا يَجِبُ أَنْ يُقَالَ فِي مَقْدَمَةِ الْبُولْسِ^(٨٧)، وَهِيَ: "رِسَالَةٌ مَعْلَمُنَا بُولْسِ بَرَكَّتِهِ الْمَقْدَّسَةُ تَكُنْ مَعَنَا آمِينَ. مِنْ بُولْسِ عَبْدِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الرَّسُولِ الْمَدْعُو، الْمَفْرَزِ لِبُشْرَى اللَّهِ".

ثُمَّ تُقَالُ بَضْعَةُ آيَاتٍ بِالْقَبْطِيَّةِ مِنْ رِسَالَةِ الْبُولْسِ، وَهِيَ مِنْ رِسَالَةِ الْقَدِّيسِ بُولْسِ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةِ (٦: ١٤-١٤ الخ)، حَيْثُ تُقَالُ بِلَحْنِ التَّجْنِيزِ وَهِيَ: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، هَذَا الَّذِي بِهِ قَدْ صُلبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا أَيْضًا صُلبْتُ لِلْعَالَمِ». وَكَانَ فَصْلُ الْبُولْسِ يُقْرَأُ كُلُّهُ بِالْقَبْطِيَّةِ بِاللَّحْنِ، ثُمَّ يُتْرَجَمُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ بِلَحْنِ التَّجْنِيزِ أَيْضًا. وَلَكِنْ الْآنَ تُقْرَأُ آيَةٌ أَوْ اثْنَتَانِ فَقَطْ بِالْقَبْطِيَّةِ بِاللَّحْنِ، ثُمَّ يُقْرَأُ كُلُّهُ بِالْعَرَبِيَّةِ بَدُونَ لَحْنٍ، أَوْ نَعْمَةً تُمَيِّزُهُ. حَيْثُ سَقَطَ مِنَ الْكَنِيسَةِ الْقَبْطِيَّةِ قِرَاءَةُ الرَّسَائِلِ بِلَحْنٍ يُمَيِّزُهَا، بَيْنَمَا ظَلَّتْ هَذِهِ السَّمَّةُ مَحْفُوظَةً فِي كَنَائِسٍ أُخْرَى، مِثْلَ الْكَنِيسَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ.

وَيُخْتَمُ الْبُولْسُ بِعِبَارَةٍ "النَّعْمَةُ مَعَكُمْ كُلُّكُمْ. آمِينَ يَكُونُ"^(٨٨).

وَتَتَّفَقُ جَمِيعُ مَخْطُوطَاتِ الْقَطْمَارَسَاتِ قِيدَ الدِّرَاسَةِ^(٨٩)، عَلَى وَجُودِ

٨٧- يقول "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)" (بنصه): "تم يقال البولس بطريقته المعروفه في هذه الساعه وبعد التفسير عربي يقال قطع الساعه السادسة ... الخ". وأما عن بولس الساعه التاسعة فيقول: (بنصه): "تم يقال البولس ان كان موجود".

٨٨- لفت نظري في "مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)"، أن الناسخ له قد كتب في نهاية فصل البولس، وفي الهامش، ما يلي (بنصه): "ادكر يارب عبدك نسيم صحبة اللص اليمين".

٨٩- أي "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، و "مخطوط قطمارس لندن

فصل البولس في هذه السّاعة السّادسة من يوم الجمعة التي لخلاصنا.

قطع السّاعة السّادسة

وهي بحسب كلِّ المخطوطات قيد الدّراسة، تكون بعد قراءة فصل البولس، حيث يتلوها رئيس الكهنة أو كبير القسوس، ويرد عليه الشّماسمة بعد كلِّ قطعة بالرّبع الأوّل: "يا من في اليوم السّادس وفي وقت السّاعة السّادسة ... الخ".

أمّا ابن سباع فلم يورد شيئاً عنها، حيث يذكر أنّه بعد فصل البولس تُقال أجيوس ويعقبها المزمور والأناجيل. وهو نفس ما نجده في مخطوطات القطمارسات قيد الدّراسة، إذ لا وجود لأيّ إشارة عنها. أمّا "مخطوط أوبسال" فيوردها متأخّرة عن موضعها الذي اتفقت عليه كلُّ المخطوطات قيد الدّراسة^(٩٠)، حيث يوردها بعد "أجيوس" التي تسبق المزمور والإنجيل. ممّا يدفني إلى الظنّ بأنّه عنصر ليتورجي لم يكن معروفاً عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، ويضيفه هنا ناسخ "مخطوط أوبسال"، بعد أن شاع استخدامه في كثير من الكنائس.

فرمّا أنّ هذا العنصر اللّيتورجي، أي قطع الأجيبة لصلاة السّاعة السّادسة من يوم الجمعة العظيمة، لم يكن حتى القرن الرّابع عشر قد انتشر في عموم الكنائس. إلّا أنّ "مخطوط دلالّ أنبا شنوده (ق ١٤)" قد أورده، مع باقي المخطوطات الأخرى قيد الدّراسة.

(ق ١٢)، و"مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)".
٩٠- ذكرتُ غير مرّة، أنّه هناك فرقاً بين تعبير "المخطوطات قيد الدّراسة"، و"مخطوطات القطمارسات قيد الدّراسة".

لحن Ὁ μονογενῆς ‘(أومونوجينيس) “أيها الابن الوحيد ...”

وهو لحن يُقال بعد قطع السّاعة السّادسة من يوم الجمعة العظيمة، ويُقال أيضاً في تكريس البطارقة والأساقفة، وفي تكريس الميرون، وذلك بحسب ما يذكر “مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م“، وغيره من المخطوطات قيد الدّراسة^(٩١).

أمّا ابن سباع فلم يذكر عنه شيئاً، وكذا “مخطوط أوبسالا” أيضاً. ولأنه - باستثناء هذين المصدرين - يرد في كافة المخطوطات قيد الدّراسة، فرمما لم يكن قد انتشر في جميع الكنائس حتى القرن الرابع عشر الميلادي، لأنه ليس من السّهّل أن يغفل “مخطوط أوبسالا” ذكره إن كان معروفاً لديه.

وهو لحن يوناني الكلمات، وفي السّطور التّالية أوردُ نصّه اليوناني، مع ترجمته العربيّة الدّقيقة.

Ὁ μονογενῆς υἱὸς καὶ λόγος τοῦ ἀθάνατος ὑπάρχων, καὶ καταδεξάμενος διὰ τὴν ἡμετέραν σωτηρίαν σαρκωθῆναι ἐκ τῆς ἁγίας θεοτόκου καὶ ἀειπαρθένου Μαρίας, ἀτρέπτως ἐνανθρωπήσας, ὁ σταυρωθεὶς τε χριστέ ὁ Θεός, θανάτῳ θάνατον πατήσας, εἰς ὧν τῆς ἁγίας τριάδος, συνδοξαζόμενος τῷ πατρὶ καὶ τῷ ἁγίῳ πνεύματι, σωσον ἡμᾶς.

أيها الابنُ الوحيدُ وكلمةُ الله، الذي لا يموت. وأنت الأزلّي قبلتَ من أجل خلاصنا، أن تتجسّدَ من القديسة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم.

٩١- مثل “مخطوط دلّال حارة الرّوم (ق ١٥)“، أو “مخطوط دلّال حارة زويله (ق ١٧)“، و “مخطوط دلّال المعلقة“.

فغير استحالة تأنست وصلبت أيها المسيح الإله، وبالموت دُست الموت، أنت أحدُ الثالوث القدوس، الممجّد مع الآب والروح القدس. خلصنا.

وينسب هذا اللحن للإمبراطور جوستينيان (٥٢٧-٥٦٥م)، حيث أُلّفه بين عامي ٥٣٥ و ٥٣٦ ميلادية^(٩٢)، عندما كان يسعى لمصالحة الفريقين الكبيرين اللذين تفرّقا بسبب قرارات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م. وقد بذل هذا الإمبراطور جهده في تأليف هذا القانون السابق ذكره، لكي يؤكد على الاتجاه اللاهوتي الذي تمسّكت به الكنائس التي رفضت قرارات مجمع خلقيدونية، وفي الوقت نفسه، لا يثير اعتراضات الكنائس التي تبعت قرارات هذا المجمع، والذي كان محور الخلاف فيه هو كيفية التعبير بالألفاظ عن سرّ الاتحاد القائم بين الطبعيتين اللاهوتية والناسوتية في شخص الابن الوحيد، كلمة الله المتجسّد.

أمّا البطريك إغناطيوس أفرام الثاني رحماني - ومعه آخرون - فقد قال: "نسب اليونانيون هذا اللحن إلى جوستينيان، ونسبه اليعاقبة إلى البطريك ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م)"^(٩٣).

وتلقب السيد المسيح بأنه "أحد الثالوث القدوس" هو تعبير لاهوتي قبطني سرياني، تبنّاه البطريك ساويرس الأنطاكي في القرن السادس الميلادي. وهو تعبير يتفق مع تعليم القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) عامود الدين، كما أنّه يتفق أيضاً مع إيمان الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية، كما جاء في قرارات المجمع المسكوني الخامس لديهم والذي

92- King Archdale, A., *The Rites of Easter christendom*, vol. II, Tipografia Poliglotta vaticana, 1947, p. 164.

93- Ignace Ephrem II Rahmani, *Les liturgies orientales et occidentales*, mount Liban, 1924, p. 207.

عُقد سنة ٥٣٦م، حيث صرَّح هذا المجمع بأنَّ ”الواحد من الثالوث الأقدس قد صُلب بحسب الجسد“.

ويُتَّجه رأي معظم علماء الليتورجيا إلى أنَّ هذا اللحن هو من وضع الإمبراطور البيزنطي جوستينيان (٥٢٧-٥٦٥م). وقد بذل الإمبراطور جهده لإدخال هذا اللحن إلى الكنيسة البيزنطية في عصره، فصار يُتلى ضمن صلوات القُدَّاس الإلهي - قُدَّاس القُدِّيس يوحنا ذهبي الفم - ولا زال يُتلى فيها حتى اليوم في ختام الأنتيفونا الثانية^(٩٤). وهو يُقال أيضاً في قُدَّاس مار مرقس اليوناني قبل الثلاثة تقديسات. كما أنه يُقال عند السريان في قُدَّاس القُدِّيس يعقوب^(٩٥). ويتلى كذلك في صلوات يوم الجمعة العظيمة.

ولقد أُدرج هذا اللحن في صلوات الكنيسة القبطية في السَّاعة السَّادسة من يوم الجمعة العظيمة، في وقت غير معروف بالتَّحديد حتى الآن، ومع حلول القرن الرَّابع عشر الميلادي، كان هذا اللحن معروفاً في بعض الكنائس القبطية دون بعضها الآخر، ثمَّ ما لبث أن انتشر بعد ذلك فيها كلِّها. كما صار يُقال أيضاً في تكريس الميرون ورسامة البطارقة والأساقفة.

إذاً فهذا اللحن هو لحن مسكوني، تلتقي عنده وتحت أقدام الصَّليب، كلُّ الكنائس الأرثوذكسية، يسبِّحون المسيح الإله المصلوب

94- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or coptic church*, ..., p. 282.

95- Brightman, F.E, M.A., *Liturgies, Eastern and Western*, op. cit., p. 33, 116, 365 ; Burmester, O.H.E. KHS, *The Greek Kirugmata, Versicles and Responses and Hymns in the Coptic Liturgy*, Roma 1936, p. 388.

وجدير بالذِّكر هنا، أنَّ النَّصَّ اليوناني لقُدَّاس مار مرقس القبطي، لم يكن العالم برايمان F.E. Brightman يعرفه، إذ أنه اكتُشف لأول مرَّة في مخطوط كسمارسك

Kacmarcik Codex

لتفصيلات أوفر؛ ارجع إلى كتاب: ”القُدَّاس الإلهي سرِّ ملكوت الله“ للمؤلِّف.

من أجل خلاصنا. فصار هذا القانون كمحور مصالحة والتقاء ووحدة بين الكنائس الأرثوذكسيّة بعائلتيها الخلقيدونيّة واللاخلقيدونيّة منذ القرن السّادس الميلادي.

القطع اليونانيّة التي تسبق الثلاثة تقديسات

يذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالذّار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م" أنّه بعد أن يُقال لحن "أومونوجينيس"، تُقال القطع التّالية بلحنها المعروف بها، وهي قطع يونانيّة، تبدأ بعبارة: "قدوس" الله الذي من أجلنا صرت إنساناً ... الخ".

وهذه القطع اليونانيّة لم ترد عند ابن سباع. بينما وردت في إشارة مبهمّة في "مخطوط أوبسالا" الذي يقول عنها: "ويُقال أجيوس ديماس" (٩٦). إلّا أنّها ترد في جميع المخطوطات قيد الدّراسة والتي أوردت اللّحن السّابق لها مباشرة، وهو: "أيها الابن الوحيد وكلمة الله الذي لا يموت ... الخ". ممّا يعني أنّها ربّما عُرفت في نفس الوقت الذي عُرف فيه اللّحن السّابق لها.

وفي السّطور التّالية أوردُ نص هذه القطع باليونانيّة ثمّ ترجمتها بالعربيّة.

ἅγιος ὁ θεός, ὁ δι' ἡμᾶς ἄνθρωπος γεγινώς, ἀτρέπτως καὶ
μείνας Θεός.

ἅγιος ἰσχυρός, ὁ ἐν ἀσθενείᾳ τὸ ὑπερέχον τῆς ἰσχύος
ἐπιδειξάμενος.

ἅγιος ἀθάνατος, ὁ σταυρωθεὶς δι' ἡμᾶς, ὁ τὸν διὰ σταυροῦ

٩٦- أصل العبارة يونانيّة: ἅγιος δι' ἡμᾶς أي: "قدوس" ... من أجلنا". والمقصود بها القطع اليونانيّة، والتي بدايتها: "قدوس" الله الذي من أجلنا صرت إنساناً ...".

θάνατον ὑπομείνας σαρκί, καὶ δείξας ὡς καὶ ἐν θανάτῳ
γεγονῶς ὑπάρχεις ἀθανάτος.

ἅγια τριάς, ἐλεῆσον ἡμᾶς.

قدوسُ الله الذي من أجلنا صرتَ إنساناً، بغير استحالة وأنت (٩٧) الإله.
قدوسُ القوي الذي أظهرتَ بالضعف، ما هو أعظم من القوة.
قدوسُ الذي لا يموت، يا من صُلبتَ من أجلنا، وصيرتَ على موت
الصليب، وقبلته في جسدك، وأنت أزليٌ غير مائت.
أيها الثالوث القدوس، ارحمنا.

الثلاثة تقديسات

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية
بالقاهرة لسنة ١٩١١م": "... ثم يقول (ون) **Ἄγιος ὁ ἑσταυρωτός**
ثلاث مرّات بلحن الصلבות. وذكصابتري. ويرفع البخور أيضاً. ثم يبخّر
الكهنة أمام الإنجيل والأيقونة. ثم يعلّقون الجامر مكاهم. ويسجد كل منهم
للسيد المسيح ويقف مكانه".

أمّا ابن سباع فيقول: "... ثم بعد البولس احيوس ثلاثة دفعات
اسطفروتيس". أي أنّ الثلاثة تقديسات تُقال كلّها، "قدوس" ... الذي
صلب عنا ارحمنا". أمّا "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)", فيذكر أنّ
التقديسة الأولى تُقال: "قدوس" ... يا من ولد من العذراء ارحمنا، وأمّا
الثانية والثالثة فتختص بندااء المصلوب عنا، ليرحمنا.

ومما سبق ذكره يتّضح لنا، أنّ ابن سباع يذكر طقساً قديماً للساعة

السادسة من يوم الجمعة العظيمة قبل أن تلحقه عناصر ليتورجية مضافة عليه بعد القرن الثالث عشر أو الرابع عشر الميلادي، وهي قطع الساعة السادسة من الأجبية، وحن "أيها الابن الوحيد"، والقطع اليونانية التي تسبق الثلاثة تقديسات. وإن "مخطوط أوبسالا" الذي أوردت إشارات مبهمة لبعض هذه العناصر يدعم هذا الرأي.

فالطقس القديم لم يذكر سوى لحن تاي شوري مع رفع البخور، ثم قراءة فصل البولس، ثم يعقبه الثلاثة تقديسات. وفي حين تذكر المخطوطات قيد الدراسة، أنه يُرفع البخور أمام الإنجيل وأيقونة الصليب، لم يشر ابن سباع إلى ذلك.

وقد جرت العادة في كثير من الكنائس القبطية الآن أن تدق أجراس الكنيسة دقائقها الجنائزية المعروفة، أثناء ترديد الثلاثة تقديسات بلحنها الجنائزي المهيب، الذي تنساب نغماته فتنساب معه الدموع، دموع فرح الخلاص، الممتزج بالرغبة والخشوع. فرح الخلاص بلحننا القدوس، الذي صلب من أجلنا. فتختلط نغمات اللحن ورنين الأجراس برائحة البخور المرفوع أمام أيقونة الصليب، فتعيش الكنيسة رؤية يوم الصليب قائماً فيها بكل أحداثه، وكأن الجليحة قد انتقلت إلينا، أو انتقلنا نحن إليها. فالיום ليس يوم ذكرى الصليب، بل هو يوم الصليب عينه، ممتداً عبر كل العصور، لأنه فعل خلاص أبدي، حتماً لا يزول. خلاص بدم ابن الله الوحيد، الكائن في حضن أبيه منذ الأزل، والمستعلن لنا في الزمن، خلاصاً مجانياً لكل من يقبل.

المزمور والإنجيل

ويُصلى المزمور باللحن الأدريبي كعادة البصحة. أمّا المزمور فهو

«رفضوني أنا الحبيب مثل ميت مردول. وجعلوا مسامير في جسدي. فلا تهملني ياربي وإلهي. الليلويا. ثقبوا يديَّ ورجليَّ وأحصوا كلَّ عظامي. اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي اقترعوا. تكلموا بشفاهم وحرَّكوا رؤوسهم، وقالوا: إن كان آمن وأتكل على الرب، فليخلصه ولينجِّه إن كان أراد. الليلويا».

وقبل قراءة فصول الإنجيل المقدَّس، يقول المصلِّون لحن مقدِّمة الإنجيل وهو **Κε ἕπτε τοῦ** ثم يُقرأ الإنجيل من البشائر الأربع، وهو إنجيل الصَّليب. ويقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م" في ذلك: "تقرأ الأناجيل كالعادة بلحن التَّجنيز وتُفسَّر عربياً. وعندما ينتهي المفسِّر إلى قوله: وكانت ظلمة على الأرض يطفئون الشُّموع والقناديل مثلاً للظلمة التي غشت وجه الأرض" (٩٨)، ما عدا شمعتي المنجليَّة التي يُقرأ من عليها الإنجيل المقدَّس (٩٩).

وتظلُّ شموع وقناديل الكنيسة مطفأة إلى ما بعد الانتهاء من قراءة بُوآت السَّاعة التَّاسعة، كما تذكر المخطوطات. أمَّا في دير القديس أنبا مقار، فتظلُّ الشُّموع مطفأة حتى إلى نهاية قراءة أناجيل السَّاعة التَّاسعة. وهو ما سأشرحُ سببه بعد قليل.

الطَّرْح والطلبية وختام الصَّلَاة

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م" ما يلي: "يطرح الطَّرْح ويُفسَّر. وتُقرأ الطَّلِبَات.

٩٨- وهو نفس ما تذكره جميع المخطوطات قيد الدِّراسة، باستثناء ابن سباع، و"مخطوط أوبسالا"، و"مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)".

وتُقال كيرياليسون بالكبير (بالتاقوس) وملخص (١٠٠). وتُختتم الصلاة كالعادة بقراءة البركة“.

أما ابن سباع فلا يفوته القول إنّه بعد الانتهاء من قراءة الإنجيل المقدّس، وقبل قراءة الطّرح يغطّي الكهنة رؤوسهم، وقد سبق له أن قال: إنّ الكهنة يكشفون رؤوسهم عند بدء رفع البخور أمام أيقونة الصّليبوت عند ترتيل الشّمامسة لحن العذراء ”طاي شوري“. حيث يقول: إنّ البخور ”يقدمه الكاهن الكبير مع بقية الكهنة وهم مكشوفى الرؤوس في ذلك الوقت، والمرتلون يقولون طاي شوري، ويستقر الكهنة مكشوفى الرؤوس إلى بعد الإنجيل“. وقد سبق أن ذكرت أن كشف الكهنة لرؤوسهم عند رفع البخور ورد في معظم المخطوطات قيد الدّراسة.

وبعد الطّرح تُقال الطلبة، وتُختتم الصلاة بالبركة، وبذلك تنتهي صلوات السّاعة السّادسة من يوم الجمعة العظيمة.

أمانة اللّص

تتفق كلّ المخطوطات قيد الدّراسة، أنه عندما تبدأ ”أمانة اللّص“، يجلسون، ثمّ يقولون... الخ. وقد لفت نظري منذ زمن بعيد، كلمة ”يجلسون“. فكيف يجلسُ ونحن نُصلّي قائلين: ”اذكرني ياربي إذا جئت في ملكوتك“.

ويلاحظ القارئ العزيز أن أمانة اللّص، تأتي خارجة عن صلوات السّاعة السّادسة، وقبل أن تبدأ صلاة السّاعة التّاسعة. أي أنها لا تتبع

١٠٠- ”وملخص“ أي يكملون باقي كيرياليسون دمجاً وهي ممارسة غير معروفة الآن، حيث يتم ترتيل كيرياليسون بالكبير ثلاث مرّات بالتاقوس، وحسب.

إحدى هاتين الصَّلَاتين. وهنا يتَّضح لنا أن الشَّعب - بحسب العادة القديمة - كان ينصرف من الكنيسة بعد أن يُتم صلاة السَّاعة السَّادسة، عقب البركة الختامية. ثمَّ يعودون بعد فترة استراحة قليلة لبدأوا صلاة السَّاعة التَّاسعة في وقتها. ولمَّا زادت أعداد المصلِّين، ويُعَدَّت المسافات بين الكنيسة وبيوت المؤمنين، جلس الشَّعب في الكنيسة للاستراحة قليلاً، بعد الانتهاء من صلاة السَّاعة السَّادسة، وقبل بدء صلاة السَّاعة التَّاسعة. ومن ثمَّ كانت "أمانة اللِّص"، كفاصل بين صلاتين، يُرتَّلونها وهم جالسين.

وإني أعجبُ من آبائي الأقباط الأقدمين، كيف كانوا يوقِّرون طقس الكنيسة وصلواتها. لأنه برغم شيوع "أمانة اللِّص"، وقبول الشَّعب لها، واشتراكهم فيها اشتراكاً حياً - كما اليوم أيضاً - لم يدخلوها ضمن العناصر الليتورجية لصلاة السَّاعة السَّادسة من البصخة المقدَّسة. بل ظلَّت خارجة عنها، لكي يظلَّ الطَّقْس حافظاً لعناصره الليتورجية القديمة، كما هي. أمَّا اليوم، فأسمعُ أن بعض الكنائس قد أضافت مدائح أو تراتيل حديثة، تُقال في داخل العناصر الليتورجية لساعة الصَّليب. فهل نعود نقندي بآبائنا الأوَّلين في حرصهم ووعيهم؟.

أمَّا من جهة المرد الذي يُقال في "أمانة اللِّص"، فقد يعجب القارئ حين يعلم، أن المرد القديم الذي أشارت إليه معظم المخطوطات قيد الدِّراسة، هو "قدوسُ الله، قدوسُ القوي، قدوسُ الحي الذي لا يموت، يا من صلب من أجلنا، ارحمنا"، حيث يُقال ثلاث مرَّات.

وهو ما أشار إليه "مخطوط أوبسالا"، حين يقول: "ويجلس الشَّعب، ويقرأون أجيوس الوُسْطى بلحن مختصر".

أمَّا المخطوطات قيد الدراسة، فقد ذكرت هي الأخرى هذا المرء القديم، مع إضافة مردّين آخرين، واحد يوناني، والآخر قبطي، وهما المرذّان المعروفان لنا اليوم. وهو ما يشرحه "مخطوط دلال باريس" الذي يقول (بنصّه): "ويبتدوا بقراءة امانه اللص فوق الانبل والشعب جالس وهم يردوا على كل ربع هكذا

Αγιος ὁ ἄσ. ἄγιος ισχυρος . ἄγιος θανατος . ὁ ἔστα τρωθεις δι ημιας ἐλεησον ημιας.⁽¹⁰¹⁾

مرد اخر ايضا

Αρπαμενι ὡ Παο̄ς ακυανῑ ζεν τεκμετοτρο...⁽¹⁰²⁾

مرد اخر يُقال **Πηνησῆντι** الثلاثة كامله دمج.

أمَّا "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"، فيوضح أمراً تتفق عليه معظم المخطوطات^(١٠٣)، حيث يذكر أن مرد الربع الأول على "أمانة اللص"، هو **Αρπαμενι** أي: "أذكرني يارب ... الخ (بالقبطية)"، ومرد الربع الثاني هو: **Αγιος ὁ ἄσ** أي: "قدوس الله ...". ومرد الربع الثالث هو: **Πηνησῆντι** أي: "أذكرني يارب ... (باليونانية)"^(١٠٤).

وهذا يفسّر لنا - ولأول مرّة - ما يذكره كتاب دلال وترتيب جمعة

١٠١- أي: "قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي، يا من صُلب عنّا ارحمنا".

١٠٢- أي: "أذكرنا ياربي إذا جئت في ملكوتك".

١٠٣- باستثناء "مخطوط دلال المعلقة (ق ١٦)" الذي أغفل المرء "قدوس الله ...

يا من صُلب عنّا ارحمنا".

١٠٤- وهو نفس ما يذكره "مخطوط دلال لندن"، والذي يشرح بقوله: "ثمّ يجلسون ويبتدئون بقراءة اللص فوق الأنبل. وكلُّ رُبع يتلوه، يردّون عليه من أسفل قائلين **Αρπαμενι** ... الخ". حيث يورد الثلاثة مرّدات المذكورة في المتن.

الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، حين يتكلم عن أمانة اللص، فيقول: "... ويجلسون ويتدئون بقراءة أمانة اللص اليمين، وكل رُبع يردون عليه هكذا ..."، حيث يورد المرد القبطي **Αριπαιετι** كاملاً "اذكري ياربي إذا جئت في ملكوتك ... الخ". وبعده يقول في سطر واحد العبارة التالية: "وأيضاً يردون أجيوس الثلاثة **Θ στατρωεις**" (١٠٥). ثم يورد المرد اليوناني **Πηνησθητι** كاملاً.

وخلاصة ما سبق ذكره، هو أن المرد القديم والوحيد الذي كان يقوله الشعب، في أمانة اللص، هو: "قدوس الله ... الذي صُلب عنا ارحمنا"، حيث يُقال هذا المرد ثلاث مرّات. ثم أُضيف فيما بعد إلى هذا المرد مردان آخران. فصار لدينا ثلاثة مردّات. المرد الأول يُقال بالقبطية: "اذكري ياربي ..."، والمرد الثاني يُقال باليونانية، "قدوس الله ... الذي صلب عنا ارحمنا"، والمرد الثالث يُقال باليونانية: "اذكري يارب ... الخ". ولأن كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، لم يكن واضحاً في إيراد المرد الثاني من هذه المردّات الثلاث، فقد سقط ذكره، ولم يُعد يُقال في عموم الكنائس اليوم.

واعتادت معظم الكنائس اليوم على ترديد المرد العربي، والذي هو الترجمة العربية للمرد اليوناني، وليس القبطي.

١٠٥- لقد ظلّت هذه العبارة مبهمّة تماماً بالنسبة لي، حتى اتضح معناها بعد البحث في المخطوطات، وهو ما شرحتّه في المتن. ولأن كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، لم يوضحها تماماً كمرد على أمانة اللص، فقد حوّرت كُتب الدلالات المطبوعة حديثاً هذه العبارة، فذكرت: "ثم تُقال الثلاث تقديسات بلحن الصلّوات **Θ στατρωεις**". ولما لم يفهمها البعض الآخر من الدلالات المطبوعة حديثاً، فقد حذفها تماماً.

وينفرد "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)" بذكر أن "أمانة اللص" أكثر من يقرأها هم الأطفال. والعجيب أن مخطوط رقم (١٥) (طقس) بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة، وتاريخ نساخته سنة ١٦٣٤م، وهو أحد مخطوطات كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة لابن سباع، يقول بنفس الأمر أيضاً، حيث نقرأ (في ورقة ١١٤ وجه) ما يلي: "... وأمانة اللص اليمين فوق الأنبيل قبطياً وعريباً، وأكثر من يقرأها الأطفال" (١٠٦). وفي الحقيقة لا أستطيع أن أعبر على هذه الملاحظة عبوراً بسيطاً، أكان الكبار يستريحون قليلاً قبل بدء صلاة الساعة التاسعة، ومن ثمّ يشغلون الأطفال في ترتيب هذه الأمانة؟.

وكلُّ أرباع "أمانة اللص" هي خطاب موجّه إلى اللص اليمين، باستثناء الربع الأوّل فقط، والذي يخاطب الله خطاباً مباشراً، بقوله: "يا ملك الملوك، المسيح إلهنا، ورب الأرباب. كما ذكرت اللص الذي آمن بك على الصليب، اذكرنا في ملكوتك".

وتبقى ملاحظة أخيرة، وهي ذلك الربع الذي يقول مخاطباً اللص اليمين: "أمنت لما رأيت السماء والأرض اضطربتا، والشَّمس والقمر أظلما، والأموات قامت، والصُّخور تشققت، وستر الهيكل انشق. فلوقتك صرخت قائلاً...". وفي الحقيقة أن كل هذا قد حدث بعد أن أمال يسوع رأسه على الصليب، وأسلم الروح. وكان اللص اليمين قد آمن بالمسيح رباً من قبل ذلك. وهو ما يقوله الربعان السَّابِقان على هذا الربع المذكور، حيث نقرأ: "أيها اللص الطُّوباوي، ماذا رأيت وماذا أبصرت، حتى اعترفت بالمسيح المصلوب بالجسد، ملك السماء وإله الكل"، و"ما

رأيت المسيح الإله متجلياً على طور طابور، بل رأيتُه معلقاً على الإقرايُّون، فلوقتكَ صرختَ قائلاً...“.

والنَّصُّ كُلُّهُ باليونانية، ممَّا يعني أنه نصٌّ قديمٌ في الكنيسة. تعرفه كافة المخطوطات قيد الدِّراسة، بدون استثناء، ممَّا يعني أنه حتماً، قد عُرف في الكنيسة قبل القرن الثالث عشر الميلادي (١٠٧).

ويعقب ”أمانة اللُّص“ لحنٌ اسمه ”لحن ديماس اللُّص اليمين“، وهو بالقطبيَّة، بدايته: ”طوباك أنت يا ديماس اللُّص أكثر من كل من على الأرض، ... الخ“. ويعقبه برلكس يُقال بطريقة أحد العنصرة، بدايته: ”كان لما صُلب مخلصنا على خشبة الصَّليب، صلبوا معه لصين، عن يمينه وعن يساره ... الخ“ (١٠٨). ويعدُّ هذا اللحن والبرلكس الذي يتبعه، من الألحان التي هي في طريقها إلى الاندثار، إن لم تكن كذلك فعلاً.

أمَّا وصف اللُّص الذي آمن، بأنه اللُّص اليمين، وأن اسمه هو ”ديماس“، فهو تقليد شفاهي متوارث، وقد ورد هذا الاسم عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) (١٠٩). ويُقال أيضاً أن اسم اللُّص اليسار هو ὄρθος (أوروتوس).

١٠٧- لم أمكِّن حتى الآن من العثور على زمن دخول ”أمانة اللُّص“، إلى طقس الكنيسة، وأظنُّ مبدئياً، أمَّا ربَّما تكون قد عُرفت في الكنيسة قبل أن تُعرف صلاة التَّجنيز العام يوم أحد الشَّعائين، في القرن العاشر الميلادي.

١٠٨- كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م، ص ١٣٢

١٠٩- القس شمس الرياسة أبو البركات، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، مرجع

السّاعة التّاسعة من يوم الجمعة العظيمة

لقد أعجبني العنوان التي تضعه بعض مخطوطات القطمارسات قيد الدّراسة لهذا اليوم المقدّس، حين تقول: "السّاعة التّاسعة من يوم الجمعة المقدّسة التي لخلاصنا".

أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطّقسيّة القديمة

ابن سباع

يقول (١١٠): "ثمّ يتدثّون بصلاة التّاسعة والحادية عشرة. وإن كان عندهم قونة (أيقونة) على صورة نزول المخلّص من على الصّليب، فيشيلوا صورة الصّلبوت، وينصبوا تلك القونة (الأيقونة)".

"مخطوط أوبسالا"

"... ثمّ تصلّى التّاسعة، في السّاعة التّاسعة. وتُقال، قبل أن يُطرح المزمور، يقطع المختصّة بصلاة التّاسعة، من كتاب الأجيّة، في لحن القانون، دجماً، ربعاً برُبع".

"مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م"

يقول المخطوط: "يتدثّون بقراءة صلاة السّاعة التّاسعة كالعادة. تُقرأ الثّبوات قبطياً وعربياً، ويُقال اثنتي عشرة دفعه $\Theta\omega\kappa \tau\epsilon \chi\omicron\mu$. وبعد ذلك يُرثّل الشّمامسة:

$\mathcal{T}\alpha\iota\psi\omicron\tau\tau\iota \dots \mathcal{T}\psi\omicron\tau\tau\iota \dots \Phi\alpha\iota\epsilon\tau\alpha\sigma\epsilon\tau\epsilon\iota \epsilon\pi\iota\psi\omega\iota \dots$ (111)

١١٠- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٨.
١١١- أورد المخطوط النّص الكامل لهذه الألحان بالقبطيّة كاملاً.

(١١٤) ... ثمّ يكمل الكهنة بقيّة القطع وتفسّرها. وأجيوس الثلاثة. ويكملون السّاعة التّاسعة كما فعلوا في السّاعة السّادسة من الأناجيل والموعظة والطّرح، والطّباحات، والميمر، وكيرياييصون، والبركة“.

ثانياً: تعقيب وشرح للسّاعة التّاسعة من يوم الجمعة العظيمة

هذه هي السّاعة التي فيها أسلم يسوع الرّوح، بعد أن قال على الصّليب «أنا عطشان». ولما ملأوا إسفنجة من الخل ورفعوها على زوفا، وقدموها إلى فمه، ذاق، ولم يُرد أن يشرب، وقال: «قد أكمل»، وأمال رأسه وأسلم الرّوح. سرُّ رهيبٌ مخوف، هو سرُّ الصّليب. فلنتمسك بالصّمّت خاشعين، إزاء ما لا يُنطق به، مكتفين بسجود تحت أقدام الصّليب، عند قدمي يسوع العطشان، الذي قال يوماً: «إن عطش أحدٌ فليأت إليّ ويشرب»، هذا الذي حين يفتح ذراعيه، يُشبع كلَّ حي غني من رضاه، لكن من يقدر أن ينطق بسرِّ الصّليب؟ فالربُّ عطشانٌ إليّ، وإليك، إلى خلاصي وخلاصك، كعطشه إلى الماء وهو على الصّليب!!.

والسّاعة التّاسعة هي السّاعة التي انقشع فيها الظلام الذي خيم على كلِّ المسكونة، إذ غابت الشّمس، لأنها استتحت أن ترى خالقها مرفوعاً على خشبة، لكي تعود الأرض إلى ما كانت عليه قبل خلقها، يوم كانت الظلمة تغشاها، حتى حين ينبثق الثور من قِبَل الصّليب، يكون هو نور العهد الجديد، نورُ عهد الخلاص. وهكذا صارت الظلمة التي لفت الأرض

١١٤- الكاهن القارئ يقول القطعة الأولى فقط، حيث يُقسّمها المخطوط إلى قسمين. وعلى ذلك فقبل المرد ”ذكصابترى“، يكون الشعب قد قال المرد المذكور في المتن، ثلاث مرّات، مرّة في البداية، ومرّة في منتصف القطعة الأولى، والثالثة في نهايتها، ويعقبها المرد ”ذكصابترى“.

كلها، فاصلاً بين عهدين، عهد قديم انطفأ نوره، وآخر جديد، نوره لن يزول. لتتحقق نبوءة زكريا النبي التي تُقال في نفس هذه السّاعة: «... يحدث أنه في وقت المساء، يكون نور...» (زكريا ١٤: ٥-١١).

وقت إيقاد الشموع والأنوار في الكنيسة

صممت كثيرٌ من المخطوطات قيد الدّراسة، عن ذكر وقت إيقاد الشموع والمصابيح. والعدد القليل منها الذي تكلم عن هذه الجزئية، لم يتفق على الوقت. فطبقاً لمخطوط ترتيب البيعة، يكون إيقاد الشموع بعد قراءة النبوءات، وتسبحة البصحة.

أمّا "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)" فيذكر أن إيقاد الشموع يكون بعد النبوءات، وهو في ذلك يتفق مع مخطوط ترتيب البيعة، لأن طقس كنيسة العذراء حارة الروم، أنه تُقال أولاً تسبحة البصحة، وبعدها النبوءات.

ويقول دكتور بورمستر O.H.E. Burmester إن إضاءة الأنوار تكون في بداية السّاعة التاسعة (١١٥).

أمّا "مخطوط دلال لندن" فبعد أن يتكلم عن قطع السّاعة التاسعة من الأجيبة، يقول: "... ثم يُفسّر (القبطي) عربياً، وهكذا ترتيب المعلّقة. ثم يُقال **Δυσος** ويُقرأ المزمور والإنجيل، وتوقد القناديل والشموع مثال زوال الظلمة". فواضح هنا أنه طبقاً لهذا المخطوط الأخير يكون إيقاد الشموع والمصابيح بعد قراءة أناجيل السّاعة التاسعة.

وفي الحقيقة هذا هو طقس دير القديس أنبا مقار في هذه السّاعة،

حيث تضاء الشموع والأنوار بعد نهاية أناجيل هذه الساعة. وأودُّ أن أشرح سبب ذلك في السطور التالية.

فالكاهن في هذه الساعة يرفع البخور أمام أيقونة الصلبوت، والشموع حولها مطفاة، باستثناء شمعتين عن يمين ويسار أيقونة الصلبوت. وهذا ينطبق على قول لحن الصليب الذي يُقال في هذه الأثناء، وذلك في عبارة "وقت المساء"، في قول اللحن: "هذا الذي أصدد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة".

فالبخور الصاعد أمام أيقونة الصلبوت، المطفاة الشموع والقناديل، هو رمز رائحة الصليب التي اشتمها الآب، لاسيما عند لحظة أن صرخ الابن بصوت عظيم "إلهي إلهي لماذا تركتني"، وكانت الظلمة تغطي الأرض كلها، لأنها اللحظة التي وصلت فيها آلام الصليب إلى غايتها. وهنا يُعبر الطقس تعبيراً بديعاً عن معنى اللحن الذي يُردده الشعب في هذه اللحظات عينها.

وفي هذا الظلام الذي اشتم فيه الآب رائحة ابنه، تشتم الكنيسة كلها رائحة حب المسيح، الذي افتدانا من ظلمة الخطيئة، ليهبنا ميراثه الذي له عند أبيه. ولعل هذا يبرر لنا، لماذا يُعاد لحن الصليب مرة أخرى في هذه الساعة التاسعة.

ومما يؤكد وجوب استمرار إطفاء الشموع والأنوار، هو أن فصل الإنجيل الأول، وهو من بشارة القديس متى (٤٦:٢٧-٥٠)، يتبدى بعبارة: «فلما كانت الساعة التاسعة، صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي

لما شبقتني. أي إلهي إلهي لماذا تركتني». ويُختم الإنجيل بالقول: «فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح». وهذه الكلمات، قالها يسوع، بينما كانت الظلمة تغطي الأرض كلها.

وإنجيل القديس مرقس، هو تكرارٌ دقيقٌ لما رواه القديس متى، حيث كانت الظلمة لا زالت تغطي كل الأرض. أمّا إنجيل القديس لوقا، فيقول بوضوح: «وأظلمت الشمس، وانشق حجاب الهيكل من وسطه ... الخ» (لوقا ٢٣: ٤٥-٤٦). إذاً لا زالت روايات الأناجيل الإزائية تسرد أحداث الصليب وقت أن كانت الظلمة قائمة على الأرض.

أمّا إنجيل القديس يوحنا (يوحنا ١٩: ٢٨-٣٠) فقد أورد الأحداث التي أعقبت انقشاع الظلمة مباشرة، وهو الوقت المناسب التي توقد فيه الأنوار في الكنيسة، وتضاء الشموع والقناديل.

ليس هذا فحسب، ولكن إيقاد أنوار الكنيسة وشموعها، بعد قول القارئ عن المسيح له المجد: «وأسلم الروح»، هو تعبير رمزي طقسى مبدع، عمّا حدث في هذه اللحظة عينها، أي بعد موت الرب على الصليب بالجسد، إذ نزل المسيح إلى الجحيم، وأخرج المحبوسين فيه، والذين قبلوا كرازته لهم بالخلاص، وأدخلهم إلى الفردوس الذي انفتح لتوه في هذه اللحظة بالذات. فإيقاد الشموع والأنوار في هذا الوقت عينه، هو تعبير طقسى بديع عن انفتاح الفردوس الذي ظل مغلقاً منذ طرد أبينا آدم من جنة عدن، حيث وقف كاروب بلهيب سيف متقلب، يحرس الطريق إليها، ويمنع العابرين من الوصول إلى شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله.

ولقد كان الأستاذ يسى عبد المسيح (١٨٩٨-١٩٥٩م)، رحمه الله،

مصيباً، عندما ذكر أن أنوار الكنيسة تُضاء بعد قراءة أناجيل السَّاعة التاسعة^(١١٦). وكم طابت نفسي، عندما وجدتُ تأييداً لما يمارسه ديرنا العامر في هذه الجزئية من الطَّقس، من رَجُل علامة تقي، بشهادة الجميع. إلى جانب "مخطوط دلال لندن".

النُّبُوت

تتفق جميع مخطوطات القبطمارسات قيد الدِّراسة على وجود نبوتين لهذه السَّاعة، الأولى من إرميا النَّبي (١١: ١٨-١٢: ١٣)، والثانية من زكريا النَّبي (١٤: ٥-١١).

وتبدأ النُّبُوت بقول إرميا النَّبي: «... وأنا كحمل بلا عيب، يُساق إلى الذَّبْح، ولم أعلم».

لحن العذراء ورفع البخور

يَتَّفَق "مخطوط دلال باريس"، و"مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"، ومخطوطات دلال المعلقة، و"مخطوط دلال لندن"، مع "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)"، في القول بترتيل لحن Ἰψουρι فقط، ثمَّ يعقبه $\text{Φαί εταρενεν ἔψωσι...}$.

فصل البولس

لم يشر مخطوط ترتيب البيعة، إلى وجود فصل للبولس في هذه السَّاعة التاسعة، وهو التَّقْلِيد الذي عُرف في معظم الكنائس، وفي أقدم قبطمارسات أسبوع البصخة المقدسة المعروفة لدينا، حيث تورَد فصل للبولس في السَّاعة

السَّادسة فقط، ولا وجود له في السَّاعة التَّاسعة^(١١٧). ولكن "مخطوط دلال حارّ الروم (ق ١٥)"، يقول بقراءة فصل من البولس في هذه السَّاعة (إن وُجد)، ممَّا يعني أنَّ تحولاً جديداً قد طرأ على هذه الجزئية من الطَّقس.

وعن فصل البولس في هذه السَّاعة التَّاسعة، يقول "مخطوط دلال باريس" ما يلي (بنصّه): "ويقرى الابسطلس واما بيعة المعلقة لم يقرؤ بولص وقت الساعه التاسعه وبعض كنايس. ولكن كل بيعه على عادتها. وهذا هو فصل الابسطلس...^(١١٨) فادا قرى البولس يفسر عربياً. ويُقال بعد قطع الساعه التَّاسعة ... الخ".

وهو ما وجدتهُ في "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"، الذي يذكر أنه بعد ترتيب لحن العذراء ἱστωρη تُقال قطع السَّاعة التَّاسعة، حيث يُعقب المخطوط بقوله (بنصّه): "ودلك ترتيب كنيسة المعلقة. فاما الكتاب المنقول منه وجد فيه فصل من البولس وهو هذا ...". وبعد أن يورد المخطوط فصل البولس كاملاً بالقبطية والعربية، يقول (بنصّه): "واما البولس (ف) كنيسة المعلقة لم تستعمله". وفعلاً ليس هناك ذكر لفصل البولس في هذه السَّاعة في مخطوطات دلال المعلقة^(١١٩). كما أنه لا يوجد أيضاً في "مخطوط دلال لندن".

وفي حين لم يرد فصل البولس في "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، وكذلك لم يرد في "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)"، فقد

١١٧- وهو ما نجده في "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)".

١١٨- يورد المخطوط فصل البولس كاملاً بالقبطية فقط.

١١٩- وهي مخطوطات "مخطوط دلال المعلقة (ق ١٦)"، و"مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)"، و"مخطوط دلال المعلقة".

أورده "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، من رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى كورنثوس (١٦:٥-٢:٦): «وإن كنا عرفنا المسيح بالجسد ... هوذا الآن يوم خلاص».

ويُعدُّ فصل البولس في هذه السَّاعة التاسعة من العناصر الليتورجية الأساسية في الطَّقس الحالي، حيث يُسبَق قراءة الفصل، بلحن، مقدِّمته هي:

Θεοῦ ἡ ἀναστάσις ἡμετέρας σωτηρίας...

"من أجل قيامة الأموات الذين رقدوا في إيمان المسيح، الرَّبَّ يَنْحِ نفوسهم أجمعين. بولس عبد ربِّنا يسوع المسيح، ... الخ".

إنه من الموافق تماماً، بل ومن الضَّروري أيضاً، أن تكون مقدِّمة رسالة البولس هي من أجل الأموات الذين رقدوا في الإيمان بالمسيح، والذين قبلوا الإيمان به أيضاً، لكي الرَّبَّ يَنْحِ نفوسهم أجمعين في فردوس النِّعيم. إنَّ هذه المقدِّمة التي تُقال بلحن جنائزي، هنا في هذه السَّاعة، قد قيلت من قبل في صلاة التَّحْنِيز العام في يوم أحد الشَّعَّانين، وجاء فصل البولس هناك، منطبقاً عليها غاية التَّطابق، وذلك حين يقول: «... لأني سلَّمتُ إليكم أولاً ما قد أخذت، أنَّ المسيح مات عن خطايانا كما في الكُتُب ... والآن فقد قام المسيح من الأموات، وصار باكورة المضطَّحين، وكما أنه بإنسان كان الموت، كذلك بإنسان آخر تكون قيامة الأموات. وكما أنه في آدم يموت الجميع، كذلك في المسيح أيضاً سيُحيا الجميع، كلُّ واحد وواحد في رتبته» (١ كورنثوس ١٥:١-٢٣).

وأما الآن، ونحن في مركز آلام المسيح، وبؤرقتها، منحصرين في موته وطاعته للآب حتى إلى موت الصَّليب، فهذا هو محور فصل البولس هنا، وذلك حين يقول: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً،

الذي إذ هو في صورة الله، لم يحسب مساواته لله اختلاصاً، لكنه ... وضع ذاته وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (فيلبي ٢: ٤-١١) (١٢٠).

فيا لحنو الكنيسة، ويا لعمق نظرتها، لأنها وهي منحصرة في موت المسيح الخلاصي عنا، لا تنسى ما فعله المسيح من أجل كل النفوس التي قبض عليها الموت، حين نزل المسيح إلى الجحيم بالصليب، وكرز للأرواح التي في السجن إذ عصت قديماً، كقول بطرس الرسول. وأصعد الذين قبلوا الإيمان به، وبصليبه وفدائه، وأعطى النّياح للذين ماتوا. هذا هو معنى بداءة فصل رسالة البولس الذي يقول: «لا ينظرون أحد إلى ما هو لنفسه، بل فينظر كل واحد إلى ما هو لغيره أيضاً...».

فيا ”يسوع المسيح ذا الاسم المخلص، الذي بكثرة رحمته، نزل إلى الجحيم، وأبطل عزّ الموت ... أتيت يا سيّدنا وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية. وأنعمت لنا بشجرة الحياة، التي هي جسدك الحقيقي، ودمك الحقيقي“ (١٢١). ”هذا هو الذي نزل إلى الجحيم، وأبطل عزّ الموت، وسبى سبياً، وأعطى الناس كرامات. رفع قديسيه إلى العُلا معه، وأعطاهم قرباناً لأبيه، بذوقه الموت عنّا خلّص الأحياء، وأعطى النّياح للذين ماتوا“ (١٢٢).

قطع الساعة التاسعة

يشارك ”مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)“، مع ”مخطوط دلال

١٢٠- هذا هو فصل البولس الذي استقرّ في القطمارسات المطبوعة، بعد تأرجحه في المخطوطات.

١٢١- قسمة سبت الفرج. وانظر أيضاً: ابطرس ١٨: ٣-٢٠، عبرانيين ٢: ١٤، ١٥؛

١ كورنثوس ١: ٥٤، ٥٥؛ ٢ تيموثاوس ١: ١٠

١٢٢- قسمة عيد القيامة. انظر أيضاً رومية ٣: ٢٣-٢٦

حارة الرُّوم (ق ١٥)“، مع مخطوطات دلال المعلقة، مع ”مخطوط دلال لندن“، في طقس ترتيل مرد قطع الساعة التاسعة، وهو مرد: ”يا من ذاق الموت بالجسد في وقت الساعة التاسعة من أجلنا، أمت حواسنا الجسمائية، أيها المسيح إلهنا ونجنا“.

حيث يبدأ الشعب بالمرد، فيقول الكاهن: ”فلندن وسيلتي قدأماك يارب، كقولك فهمني“، فيقول الشعب نفس المرد السابق. فيقول الكاهن: ”فلتدخل طلبتي إلى حضرتك كقولك أحييني“. فيقول الشعب نفس المرد السابق للمرّة الثالثة، ويعقبه مباشرة المرد ”ذُكصابتري“. وهو ما تذكره جميع المخطوطات قيد الدراسة. أي أن المرد يُقال ثلاث مرّات فقط، في بداية قطع الساعة التاسعة.

لحن أجويس قبل المزمور الأدريبي

تتفق معظم المخطوطات قيد الدراسة على ترتيل الثلاثة تقديسات، قبل المزمور الأدريبي، باستثناء ”مخطوط أوبسالا“، الذي لم يشر إليها. ونقرأ في ”مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)“^(١٢٣)، ما يلي: ”وبعض البيع يقولون بلحن الصلّبات $\Delta\gamma\iota\omicron\varsigma\ \delta\ \sigma\tau\alpha\tau\rho\omega\eta\varsigma$ وثم من لا يقول ذلك، بل يطرح المزمور الأدريبي ... الخ“.

والمزمور هو: «اللهم أحييني، فإن المياه قد بلغت إلى نفسي، وتورطت في حمأة الموت. وجعلوا في طعامي مرارة، وفي عطشي سقوني خلاً. هليلويا» (مزمور ١٦٨، ١٩).

١٢٣ - ويتفق معه في ذلك أيضاً ”مخطوط دلال المعلقة“.

الطَّرْح

في هذه السَّاعَةِ، يُقْرَأُ طَرْحٌ مَهْمٌ لِلْغَايَةِ، وَإِلَيْكَ جَانِبًا مِنْهُ:
 ”... فَلَمَّا قُرِبَتْ مِنْهُ السَّاعَةُ الَّتِي يَعْرِفُهَا هُوَ وَحْدَهُ، أَجَابَ وَقَالَ:
 ‘الآن أنا عطشان’ لأنه هو كان يعرف الذي كُتِبَ مِنْ أَجْلِهِ. فَأَخَذَ وَاحِدًا
 إِسْفَنْجَةً، وَمَلَأَهَا خَلًّا، وَجَعَلَهَا عَلَى قِصْبَةٍ، وَسَقَاهُ، فَلَمَّا ذَاقَ الْخَلَّ، قَالَ:
 ‘قَدْ أَكْمِلَ قَوْلَ دَاوُدَ فِي الْمَزْمُورِ’. وَمِنْ بَعْدِ الْخَلِّ، أَمَالَ رَأْسَهُ، وَصَاحَ
 بِصُومٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.

من يَشْرُ الْمَسِيئِينَ بِالَّذِي ذَاقَ الْمَوْتَ عَنْهُمْ، وَمَنْ الَّذِي يَسْبِقُ إِلَى
 الْفِرْدُوسِ، فِيهِئِ الطَّرِيقَ لِلْمَلِكِ. افْرَحُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْأَبْرَارُ وَالْأَنْبِيَاءُ
 وَالْبَطَارِكَةُ وَالصَّدِيقِينَ. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ الرَّأْسِ، الَّذِي عَتَّقَ فِي الْحُزْنِ، قَدْ
 تَجَدَّدَ الْيَوْمَ بِالْإِنْسَانِ الْجَدِيدِ الَّذِي قَتَلَ الْمَوْتَ وَأَبْطَلَ عِزَّهُ، وَشَوَّكَتَهُ الْمُرَّةَ
 كَسَرَهَا وَقَطَعَهَا.

الله الكلمة بكماله، مضى إلى الجحيم بالنفس التي أخذها من طبيعة
 آدم، وجعلها واحدًا معه، والنفس التي كانت في السجن، أصعدها معه
 كعظيم رحمته، والعدو الأخير الذي هو الشيطان، قيده بالقيود والسلاسل.
 فلما رآه البوابون الأشرار والقوات الكائنة في الظلمة، هربوا، ولم يطبقوا
 الثبوت، لأنهم عرفوا قوته وكثرة جبروته. فكسر الأبواب النحاس
 بسلطانه، والمتاريس الحديد سحقها، وأما المسييون إذ رأوا الرب يسوع
 مخلص نفوسهم، صرخوا بصوت قائلين: ‘حسنًا جئت أيها المنقذ عبيده’.
 ثم أمسك أولاً بيد آدم، فاجتذبه وأصعده، وبنيه معه، وأدخلهم إلى
 الفردوس. مسكن الفرح والراحة.

مرد بحري: المسيح مخلصنا، جاء وتألم، لكي بآلامه يخلصنا.

مرد قبلي: فلنمجّده ونرفع اسمه، لأنه صنع معنا رحمة كعظيم رحمته“.

يا لقوة الصليب، ورهبتة، ففي الظاهر ضعف وخوار وموت، وفي الجوهر، انتصار على الموت، وكسر لشوكته، وإطلاق للمسيين والمأسورين. سوف نعرف قوة الصليب وفعله العظيم، عندما نخلع هذا الجسد. فالآن نعرف بعض المعرفة فحسب.

نزول المسيح إلى الجحيم في فكر آباء الكنيسة

الآن سأحدثُ معك قارئ العزيز، عن سرّ الموت الذي نبعت منه الكرازة بالحياة للذين ماتوا، أعني سرّ نزول المسيح إلى الجحيم بالصليب، ليكرز بالخلاص والعتق لكلّ المأسورين فيه، والمقيدين بالأغلال الحديدية، والمُغلق عليهم خلف الأبواب النحاسية، منذ آدم الإنسان الأوّل، ليعتق من يقبل كرازته بالخلاص والتّجاة. ويُطلق إلى الحياة، الجالسين في الظلمة وظلال الموت، باستثناء الذين أحبوا الظلمة أكثر من النور، لأنّ أعمالهم كانت شريرة، هؤلاء الذين رفضوا إشراقة نور الكلمة عليهم؛ مقتدياً في ذلك بتعليم آباء الكنيسة، الذي هو مرساة مؤتمنة، تُعين عند الحاجة إلى تحسّس سرّ المسيح الذي لا يُستقصى. وبالإيجاز هو حديث عن سرّ موت المسيح، الذي به داس الموت، منعماً بالحياة الأبدية للذين في القبور. وقبل الحديث عن فكر آباء الكنيسة في ذلك الموضوع، أودُّ أن أُعيد عليك قارئ العزيز، ملخصاً بسيطاً لما ورد عن هذا الموضوع في قراءات الكنيسة في أسبوع البصحة المقدسة.

فأوّل حدث نتقابل معه، عن خروج ميّت من أعماق الجحيم، هو عندما وقف الرّب يسوع أمام قبر لعازر الذي كان قد مات قبل أربعة

أيام، وصرخ بصوت عظيم «لعازر هلمَّ خارجاً»، فعادت نفس الميت من الجحيم، وأتحدت بجسده، فخرج الميت من القبر، ملفوفاً بأكفانه!. فانذهل الجميع، إذ لم يعينوا قط مثل هذا من قبل.

وهكذا عادت نفس الميت من أعماق الجحيم بصوت ابن الله. وكان يمكن للرَّب وهو أمام الموتى في قبورهم، أن ينادي بذات الصَّوت "هلمُّوا خارجاً" فيخرج الأموات من قبورهم كما خرج لعازر، ولكن الرَّب اختصَّ لعازر وحده بالنداء، مرجئاً نداءه بالخلاص والنَّجاة لكلِّ من يقبل من الموتى، عندما ينزل إليهم في الجحيم بالصَّليب.

وإن كان الرَّب قد فعل هذا قبل موت الصَّليب، فلماذا الصَّليبُ إذاً؟ والإجابة تكمن في أنَّ الهدف الأساسي لم يكن هو إخراج النفوس من الجحيم وحسب، بل الكرازة لهم بالفداء وقبول الإيمان به، قبل خروجهم. أمَّا لعازر فكان يعرف المسيح له المجد، بل وعاشه ويؤمن به، هو وأخته أيضاً مرثا ومريم.

هذا الحدث هو أوَّل مقابلة لنا في أسبوع البصخة المقدَّسة مع سلطان الرَّب على الجحيم، بكلِّ متاريسه التُّحاسبيَّة، وقوَّات الظُّلمة المحدقة به. وسُلطانة الإلهي على النفوس المحبوسة فيه، حتى قبل أن يجتاز الصَّليب.

لذلك يقول مزموه باكر سبت لعازر: «ياربُّ أصدعت من الجحيم نفسي، وخلصتني من الهابطين في الجب، ردَّدت نوحى إلى فرح لي، مزقت مُسُحي، ومنطقتني سروراً» (مزموه ٣: ٢٩، ١)، فتأمل.

ثمَّ تقابلنا عظة للبابا أنناسيوس الرِّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) تُقرأ في السَّاعة الثَّالثة من يوم الجمعة العظيمة، نسمع فيها:

[إن لم يكن الرب قد شارك البشرية في آلامها، فكيف يخلص الإنسان؟ لأن الموت سقط تحت أقدام المسيح، وانهمزم وهو مسي مضطرب، والجحيم مع قواته رجع إلى خلف لما سمع صوت الرب ينادي الأُنفس قائلاً: اخرجوا من وثاقكم، أيها الجالسون في الظلمة وظلال الموت، اخرجوا من وثاقكم، أنا أبشركم بالحياة، لأني أنا هو المسيح ابن الله الأبدي].

ثم نسمع الطرح الذي تقرأه الكنيسة علينا في الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة، وهو في غاية الأهمية من الوجهة اللاهوتية، يقول:

”... الله الكلمة بكماله، مضى إلى الجحيم بالنفس التي أخذها من طبيعة آدم، وجعلها واحداً معه، والنفس التي كانت في السجن، أصعدتها معه كعظيم رحمته، والعدو الأخير الذي هو الشيطان، قيده بالقيود والسلاسل. فلما رآه البوابون الأشرار، والقوات الكائنة في الظلمة، هربوا، ولم يطبقوا الثبوت، لأنهم عرفوا قوته وكثرة جبروته. فكسر الأبواب النحاس بسُلطانته، والمتاريس الحديد سحقها، وأما المسيبيون إذ رأوا الرب يسوع مخلص نفوسهم، صرخوا بصوت قائلين: 'حسناً جئتَ أيها المنقذ عبيده'. ثم أمسك أولاً بيد آدم، فاجتذبه وأصعده، وبنيه معه، وأدخلهم إلى الفردوس. مسكن الفرح والراحة“.

وهناك عظة للقديس يوحنا ذهبي الفم، تُقرأ في الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة، يقول فيها:

[... نزل (المسيح) إلى الجحيم بنفس عاقلة، أخذها من الطبيعة البشرية، ووحدها مع طبيعته الإلهية، وركز لكل الأرواح التي أمسكها الموت في ذاك الموضع، بسبب

التَّعدي الأوَّل الذي لصق بجنسنا، بسبب الخطيئة. فضلاً عن أنه هياً لنفسه المواضع السُّفليَّة، صائراً واحداً مع النَّفس البشريَّة، مشابهاً للنُّفوس التي تسكن هناك بدون أجسادها. ولكن نفسه كانت للإله الحقيقي، كاسراً شوكة الموت، ساحقاً إيَّها، تلك التي وخزت البشريَّة. وحطَّم الشيطان الذي امتلك سُلطان الموت، وقَيَّده، وسلَّمه ليد كلِّ إنسان سيحرِّبه الشيطان. وسبى الجحيم، وأخرج منه كلَّ النَّفوس التي رقدت حتى نزوله إلى هناك. وخلصهم من قبضة الموت والجحيم، ورفعهم معه إلى العُلُو.

هذا هو موجز ما نسمعه في الكنيسة عن نزول المسيح إلى الجحيم، وكرازته فيه بالخلاص والنَّجاة، وتحرير النَّفوس التي قبض عليها الموت.

والآن نُلقِي نظرة عامة على فكر آباء الكنيسة في هذا الأمر (١٢٤)، وذلك على ضوء ما قاله القديس بطرس الرسول في رسالته الأولى في نصِّين أساسيين من هذه الرِّسالة:

النَّصُّ الأوَّل هو في قوله: «فإنَّ المسيح أيضاً تألَّم مرَّةً واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله، مُماتاً في الجسد، ولكن محييَّ في الرُّوح، الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السَّجن، إذ عصت قديماً، حين كانت أناة الله تنتظر مرَّةً في أيام نوح، إذ كان الفلك يُبنى، الذي فيه خلَّصَ قليلون، أي ثمانين ألفاً بالماء» (١بطرس ٣: ١٨-٢٠).

١٢٤ - اعتمدتُ في ذلك الموضوع على المراجع التَّالية:

- *Supplément au Dictionnaire de la Bible*, t. II, Paris, 1934, col. 420-424.

- *Ancient Christian Commentary on Scripture, New Testament XI*, U.S.A., 1947.

النص الثاني هو في قوله: «... الذين سوف يعطون حساباً للذي هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات، فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً، لكي يدانوا حسب الناس بالجسد، ولكن ليحيوا حسب الله بالروح» (١ بطرس ٤: ٥-٦).

أي أن نفس المسيح قد ذهبت إلى السجن أي إلى الجحيم، لإعلان الخلاص لجميع الرّاقدين من الأجيال السابقة. والقديس بطرس الرسول لم يوضّح إن كان جميع هؤلاء قد خلصوا، أم بعضهم فقط. ولكن ما يعنيه القديس بطرس هو أن فداء المسيح كان عظيماً جداً، لدرجة أنه عُرض أيضاً على أولئك العصاة في الأجيال السابقة.

ويذكر هرماس، في كتابه "الرّاعي" (١٢٥)، بأن الرّسل والتلاميذ قد ذهبوا هم أيضاً ليكرزوا في الجحيم، وبمنحوا المعمودية لأولئك الذين ماتوا قبلهم (١٢٦). وهو نفس ما قاله العلامة كليمنس الإسكندري، بأن الرّب كرز بنفسه لنفوس العبرانيين الذين كانوا في الجحيم، ثم نزل الرّسل أيضاً

١٢٥- "هرماس" هو أحد رعاة كنيسة روما، وقد أُلّف كتابه المعروف باسم "الرّاعي"، فيما بين سنة ١٤٠م وسنة ١٥٠م، في الوقت الذي كان فيه شقيقه البابا بيوس الأوّل يدير شؤون الكنيسة. وقد لاقى كتاب "الرّاعي" لهرماس رواجاً كبيراً، بل ومنقطع النظير، في الكنيسة الأولى. إذ أن إيريناؤس وترتليانوس وكليمنس الإسكندري وأوريجانوس، كانوا يضعونه في مستوى الكتب المقدسة. وقد ذكر يوسابيوس أن كتاب "الرّاعي"، يُتلى في بعض الكنائس، ويُستخدم في تعليم الموعوظين، أو طالبي العماد.

انظر: الأب جورج نصور، أقدم النصوص المسيحية، سلسلة النصوص اللاهوتية، كليمنس الروماني، وراعي هرماس، الكسليك، لبنان، ١٩٧٥م، ص ٧٩، ٨٠

126- Lib. III, Simil., IX, xvi, 5, PG., t. ii, col. 995-996

الكتاب الثالث، التشبيه التاسع، الفقرة ١٦

إلى الجحيم ليكزوا لنفوس الذين من الأمم^(١٢٧).

كما يتحدث القديس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣ م) في عظته على سبت الفرح، عن كرازة يوحنا المعمدان بالمسيح في الجحيم، فيقول:

[... هناك أيضاً ذلك الفائق يوحنا، الأعظم من كل الأنبياء، جالساً في ظلمة الجحيم، كما لو كان في رحم أمه المظلم (قبل ولادته) يركز بالمسيح لكل الذين في الجحيم، وهو السابق والكارز للأحياء والأموات معاً. وعندما قُطعت رأسه، أرسل من سجن هيرودس إلى سجن الجحيم، إلى الأبرار والمظلومين الرّاقدن منذ الدهور]^(١٢٨).

ولاحظ هنا قارئ العزيز، أن الأحداث التي واكبت ظهور المسيح على الأرض، وكرازته بالخلاص للأحياء، تكررت هي تقريباً للأموات الذين في الجحيم. فلأحياء كانت الكرازة قبل الصليب، ولأموات كانت الكرازة لهم من قبل الصليب، لكي يشمل الخلاص بالصليب كل من يقبل من الأحياء والأموات معاً.

ولا نجد أية إشارة في كتابات يوستينوس الشهيد (١٠٠-١٦٥ م)، تفيد شيئاً عن موضوع نزول المسيح إلى الجحيم. ولكنه من جهة أخرى يلوم على اليهود أنهم حذفوا من الكتب المقدسة - وكذلك من كتب الأبوكريفا - نصاً لإرميا النبي يقول: "السيد الرب ذكر إسرائيل، وموتاهم، الذين رقدوا في أرض قبرها، ونزل إليهم، ليعلم لهم البشارة

127- *Stromates*, vi, 6, PG., t.ix, col. 265-276 ; Cf. ii, 9, PG., t.viii, col. 980.
١٢٨ - عظة عن "سبت الفرح" للقديس إبيفانيوس أسقف قبرص، ترجمة دكتور جوزيف موريس فلتس، الطبعة الثانية، مارس ٢٠٠٨ م، ص ٣٤

المفرحة بخلاصه“ (١٢٩). وهذا النص الذي ذكره القديس يوستينوس ليس له من غرض سوى تبشير اليهود بالإنجيل.

وقد ذكر القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) نفس نصّ الأبوكريفا الذي ذكره القديس يوستينوس، والسابق ذكره مباشرة، إلا أنه ينسبه مرّة إلى إشعياء النبي (١٣٠)، ومرّة ثانية إلى إرميا النبي (١٣١)، ومرّة ثالثة إلى شخص آخر (١٣٢).

وأخيراً، فمن بين كتّاب الأبوكريفا التي تحدّثت عن موضوع نزول المسيح إلى الجحيم، الإنجيل المعروف باسم ”إنجيل بطرس“. ففيه نقراً: أن صوتاً أتى من السماء، وقال للمسيح القائم من القبر: ”هل كررت لأولئك الذين رقدوا؟. فأجاب الصليب: نعم“ (١٣٣).

ويرى العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، ومعه العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) أن المسيح نزل إلى الجحيم، ليكرز فيه بالخلص للذين يقبلون التوبة.

فيقول العلامة كليمنديس الإسكندري، إن المسيح قد ذهب إلى الجحيم ليكرز هناك بالإنجيل، وكان يخاطب الموتى فيه داعياً إياهم إلى التوبة، كما سبق ودعا للتوبة الأحياء الذين على الأرض، وأن الرب كرز بنفسه لنفوس العبرانيين الذين كانوا في الجحيم، ثم نزل الرُّسُل أيضاً إلى

129- *Dialogue*, lxxii, PG., t. vi, col. 645.

130- *Ad. haer.*, III, xx, 4.

131- *Ad. haer.*, IV, xxii, 1.

132- *Adv. Haer.*, III, xxxiii, 1, 12 ; V, xxxi, 1.

133- Cf. L. Vaganay, *L'évangile de Pierre*, Paris, 1930, p. 301 sq.

الجحيم ليكرزوا لنفوس الذين من الأمم^(١٣٤). ويذكر أيضاً أن الأرواح التي في السجن، لم ترهياتة، ولكنها سمعت صوته^(١٣٥).

أما العلامة أوريجانوس فيقول إنه كما يذهب الأطباء إلى منازل المرضى، فالمسيح قد ذهب إلى الجحيم من أجل خلاص الخطاة^(١٣٦). ويُشير إلى ما ورد في رسالة القديس بطرس الرسول الأولى (١ بط ٣: ١٩)، والتي تذكر أن نفس المسيح قد ذهبت ونحاطبت نفوس الذين في الجحيم، وغيرت نفوس الذين قبلوه^(١٣٧). كما تكلم العلامة أوريجانوس أيضاً عن التبشير في الجحيم، في شرحه لإنجيل القديس يوحنا^(١٣٨).

ويقول القديس كيرلس الكبير عامود الدّين (٤١٢ - ٤٤٤ م) في رسالته الفصحية السابعة^(١٣٩)، "إن المسيح قد حرّر كلّ النفوس التي كانت في الجحيم، وترك الشيطان وحده"^(١٤٠). أما في شرحه لرسالة بطرس الرسول الأولى (١٨: ٣ - ٢٠)، فيوضّح بأنّ النفوس التي آمنت به فقط هي التي خلّصت. فيقول:

[إنه (أي القديس بطرس الرسول) ينقض بذلك (أي بهذه الآيات) اعتراض القائلين: إن كان التّجسّد مفيداً إلى هذا الحد،

134- *Stromates*, vi, 6, PG., t. ix, col. 265-276 ; Cf. ii, 9, PG., t. viii, col. 980.

135- *Ancient Christian Commentary on Scripture*, op. cit., p. 107.

136- *In libre Regum*, hom. ii., PG., t. xii, col. 1025.

137- *Contra Celsum*, ii, 43, PG., t. xi, col. 865.

138- GCS 10, fragment lxxix, t. iv, p. 546.

١٣٩- الرّسائل الفصحية، أي الرّسائل التي كان يُعلن فيها بابا الإسكندرية تاريخ بدء الصّوم الكبير، وبالتالي ميعاد عيد الفصح.

140- *Hom. Paschal.*, vii, PG., t. lxxvii, col. 552.

وهو تعبير مجازي، لا يجب أن يؤخذ حرفياً، ولكنه يفهم على ضوء ما سيشرحه القديس كيرلس نفسه بعد قليل.

فلماذا لم يتجسّد المسيح منذ زمان كثير؟ هوذا «قد ذهب فكرز للأرواح التي في السّجن» لكي يحرّر كلّ الذين كانوا سيؤمنون به لو كان قد ظهر في زمانهم متجسّداً للذين على الأرض. فهؤلاء تعرّفوا عليه جيداً لما ظهر لهم في المواضع السّفليّة، وانتفعوا من ظهوره. فقد مضى المسيح بالنّفس، وكرز للذين في الجحيم، ظاهراً كنفس مع النّفوس.

وعندما رآه بوابو الجحيم هربوا، وتكسّرت الأبواب النّحاسيّة، وانفكّت السّلاسل الحديديّة. وصرخ الابن الوحيد بسُلطانه إلى كلّ النّفوس التي صار شريكاً لها في الآلام بحسب التّدير، قائلاً للمقيّدين بالسّلاسل 'اخرجوا'، وللذين في الظّلمة 'اظهروا'.

وبكلمات أخرى، فقد كرز المسيح لأولئك الذين في الجحيم أيضاً، لكي يُخلّص الذين كانوا سيؤمنون به لو كان ظهر لهم متجسّداً في زمان حياتهم. فهؤلاء قد تعرّفوا عليه تماماً حتى وهم في الجحيم. فإنّ سخاء تديره من نخونا، يفوق الطّبيعة، ويفوق التّسليم. فكما أنّ المسيح في ظهوره جسدياً قد دعا بالسّويّة جميع الذين على الأرض، والذين آمنوا انتفعوا؛ هكذا أيضاً بنزوله إلى الجحيم، قد حرّر من رباطات الموت الذين آمنوا به وعرفوه [١٤١].

ويشرح القديس كيرلس الكبير أمراً مهماً، وهو أنّ كرازة المسيح للذين في الجحيم بالخلّاص، لم يستفد منها كلّ المحبوسين هناك، فيقول

141- *Ancient Christian Commentary on Scripture, op. cit., p. 107 ; Frag. In epist. I Petri, iii, 19, PG., t.lxxiv, col. 1013-1016.*

في ذلك:

[أمّا نفوس الذين عبدوا الأصنام، وساروا وراء أهوائهم الفاسدة، فكانت مثل عمياء، بسبب شهواتها الجسدية، لا تستطيع أن تنظر إلى إشعاع ظهوره الإلهي، لكي تتعرف على الذي ظهر في المواضع السفلية، لكي يُحرر الجميع] (١٤٢).

وهؤلاء الذين يذكّرهم القديس كيرلس في الفقرة السابقة، هم الذين ينطبق عليهم قول الإنجيل المقدس: «أحبّ الناس الظلمة أكثر من النور، لأنّ أعمالهم كانت شريفة» (يوحنا ٣: ١٩)، وأيضاً: «أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلههم» (هوشع ٥: ٤). وهنا ينبغي أن نلاحظ أنّ الذين قبلوا الخلاص بكرافة المسيح في الجحيم - بحسب فكر القديس كيرلس الكبير - لم يكونوا الآباء والأنبياء والصديقين من شعب الله وحدهم، بل وأيضاً الذين عاشوا قبلاً على الأرض حياة صالحة، ولكنهم لم يسمعوا عن الإله الحقيقي. وسوف يلحظ القارئ العزيز أنّ فكرة الخلاص الشامل، لم يقل بها أحدٌ من الآباء، باستثناء العلامة أوريجانوس.

وفي موضعين آخرين من كتابات القديس كيرلس الكبير، أشار أيضاً إلى موضوع البشارة أو الكرازة للموتى (١٤٣).

وإنّ ما ذكره القديس كيرلس الكبير، هو شرح لما يقوله القديس أناسيوس الرسولي، والذي سبق أن ذكرته في عظته التي تُقال في السّاعة

142- J.A. Cramer, ed., *Catena in Epistulas Catholicas*, Oxford, Clarendon, 1840, p. 66. Cited by *Ancient Christian Commentary on Scripture*, op. cit., p. 108.

143- *De recta fide ad Theodosium*, xxii, PG., t. lxxvi, col. 1165 ; In *Joannis evangelium*, xi, 2, PG., t. lxxiv, col. 456.

الثالثة من يوم الجمعة العظيمة.

ويتحدث القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، وهو الملقب في الكنيسة باسم "أبو التقليد الكنسي"، يتحدث عن وجود كرازة في الجحيم، وغفران للخطايا، للذين سلكوا بير وتقوى من نحو القريب، إلا أنه لم يذكر صراحة أن كرازة المسيح في الجحيم هي للتوبة، فيقول:

[... لذلك نزل الرب إلى المواضع التي تحت الأرض، ليبشرهم هم أيضاً بمجيئه، وبأن هناك غفراناً للخطايا للذين يؤمنون به. فالذين كانوا ينتظرونه آمنوا به ... الأبرار والأنبياء ورؤساء الآباء] (١٤٤).

ويضيف بقوله، بأن المسيح أتى أيضاً:

[لأجل جميع الناس قاطبة، الذين منذ البدء (...) خافوا الرب وأحبوه، وسلكوا بير وتقوى من نحو القريب، وأيضاً اشتهوا أن يروا المسيح، ويسمعوا صوته] (١٤٥).

وهكذا يتفق القديس إيريناؤس مع القديس كيرلس الكبير. إلا أن تعليم القديس كيرلس الكبير في هذا الموضوع، أكثر عمقاً ووضوحاً.

ويرى القديس غريغوريوس التزينزي (٣٢٩-٣٨٩م) - وهو القديس غريغوريوس اللاهوتي - أن المسيح في الجحيم قد خلص كل النفوس المحبوسة فيه، والتي آمنت به (١٤٦).

144- *Adv. Haer.* IV, xxii.

145- *Adv. Haer.*, IV, xxvii, 2.

146- *Orat.*, xlv, 24, PG., t. xxxvi, col. 657.

ويُتفق القديس إيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م)، في تعليمه عن هذا الموضوع، مع جميع الآباء المذكورين، باستثناء فكرة الخلاص الجماعي الذي يتم بواسطة المسيح، عند نزوله إلى الجحيم، والتي نادى بها العلامة أوريجانوس وحده^(١٤٧).

فيقول القديس إيفانيوس في عظة له على سبت الفرخ:

[... فكَّ المسيح الرِّباطات الأزلِيَّة، وعتق الغرباء والمخالفين ... اليوم تمَّ الخلاص من ناحيتين؛ للذين هم على الأرض، وللذين هم - منذ الدَّهر - تحت الأرض. اليوم خلاص العالم بأسره؛ المنظور وغير المنظور ... نزل الإله من السَّماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى ما تحتها. أبواب الجحيم تُفتح ... فتهلَّلوا أيها الرَّاقدون منذ الدَّهر، أيها الجالسون في الظُّلْمَة وظلال الموت، استقبلوا النُّور البهي بفرح ...

ولكن ماذا سيحدث عندما ينزل المسيح إلى الجحيم؟
إنزول الإله إلى الجحيم يخلِّص الجميع بدون استثناء؟ لا،
لأنه كما على الأرض، هكذا أيضاً هناك، يُخلِّص الذين آمنوا به ...

هو لم يقدم محبته للبشر الذين كانوا يعيشون معه على الأرض فقط، لكن رأفته شملت حتى كلَّ المقيدين في الجحيم السفلي. هؤلاء الذين كانوا ينتظرون، جالسين في الظُّلْمَة وظلال الموت. وهكذا افتقد الله الكلمة، بتجسُّده، كلَّ البشر الأحياء بالجسد على الأرض. أمَّا النُّفوس التي ذهبت إلى

الجحيم، تاركة أجسادها، فقد افتقدتها بنفسه الإلهية بدون جسد، ولكن ليس بدون إلهيته [١٤٨].

وبرغم ما تقول به الدسقولية السريانية - وهو ما سيأتي ذكره بعد قليل - إلا أن القديس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م)، يقول تقريباً بنفس ما يقول به القديس كيرلس الكبير، بل ويقتبس من أقواله، ولكن بدون أن يذكر المصدر.

فيقول القديس ساويرس الأنطاكي:

[ولكنه لم يُنعم بالغفران على جميع المقيدّين هناك، ولكن فقط للذين آمنوا به وعرفوه. فقد عرفه الذين نقوا شرورهم بالأعمال الصالحة في الزمن الذي عاشوا فيه بالجسد. لأنه قبل ظهور المسيح للذين تحت الأرض، كان الجميع - بمن فيهم الذين سلكوا في بر - مقيدّين برباطات الموت، ومنتظرين بمجيئه، إذ كان طريق الفردوس مغلقاً لهم، بسبب مخالفة آدم.

وأما أن ليس جميع الذين كانوا في المواضع السفلية استفادوا من نزول المسيح هناك، فهذا يوضّحه:

أولاً (μΕν) غريغوريوس اللاهوتي (٣٢٩-٣٨٩م) في عظته عن الفصح، إذ يُقدّم المسألة بصفتها جديرة بالبحث، ثم يُعطي

١٤٨ - عظة عن "سبت الفرح" للقديس إبيفانيوس أسقف قبرص، مرجع سابق، ص

٣٥، ٢٢، ٢١

تجدد الإشارة إلى أن القديس إبيفانيوس رئيس أساقفة جزيرة قبرص، كان مناصراً قوياً لتعليم القديس أناسيوس الرسولي ضد الأريوسيين. وقد نجح في عزل كنيسة قبرص عن كنيسة إنطاكية، التي كان معظم آبائها غير مؤيدين لمصطلح "الهومو أوسوس"، أي مساواة الابن للآب في الجوهر. وغير موافقين آتخذ على قرارات مجمع نيقية.

لها الحل الصحيح بالبُرهان، فيقول:

”... وإن نزلَ إلى الجحيم، انزلَ معه، واعرفَ أيضاً الأسرار التي هناك، وما هو تدبير ونتيجة نزوله مرتين (١٤٩)، هل بظهوره يُخلِّص الجميع بلا تمييز، أم أنه (يُخلِّص) هناك أيضاً الذين يؤمنون دون سواهم“ (عظة ٤٥ : ٢٤).

وثانياً (٥٤) إغناطيوس الثيوفورس (١٥٠) (٣٥-١٠٧م)

والشَّهيد، الذي يقول:

”كيف نستطيع نحن أن نحيا بدون ذاك الذي كان الأنبياء - وهم متعلِّمون من الرُّوح القُدُس - ينتظرونه كمعلمٍ؟ ولذلك فالذي كانوا ينتظرونه بصدق، لما ظهر، أقامهم من بين الأموات“ (إلى مغنيسيا ٩ : ٢)

وبالاختصار (١٥١)، كما أنَّ المسيح ظهر بالسَّويَّة لكلِّ من على الأرض، والذين آمنوا به انتفعوا؛ كذلك بنزوله إلى الجحيم قد حرَّرَ من رباطات الموت الذين آمنوا به وتعرَّفوا عليه. وأمَّا نفوس عبدة الأوثان والذين عاشوا في البَطَر والسُّكْر وأعمال العهارة الحرِّمة، فبسبب شهواتها الجسدِيَّة، تكون مثل عمياء، فلا تتحمل إشعاعات ظهوره الإلهي، لكي تعرَّف بصدق على الذي ظهر في المواضع السُّفليَّة لكي يحرِّر الجميع - على قدر ما

١٤٩- أي نزوله إلى الأرض وإلى ما تحت الأرض.

١٥٠- أي حامل الإله.

١٥١- ما يلي من باقي القول للقُدَّيس ساويرس الأنطاكي، هو ما يقوله القُدَّيس كيرلس الكبير عامود الدِّين (٤١٢-٤٤٤م)، كما سبق القول.

هذا يرجع إليه - ويكرز للكل علانيةً... [١٥٢].

ويقارن القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٥-٧٤٩م) بين كرازة المخلص في الجحيم، وكرازته على الأرض، قائلاً بأن [الأموات لم يكونوا أقل حظاً من الأحياء] (١٥٣)، إذ نالوا الخلاص بعيداً عن بر العهد القديم، إلا أن هذا الخلاص، كان فقط لأولئك الذين عاشوا حياة طاهرة نقيّة على الأرض (١٥٤).

وهو الفكر الذي يسير على نفس نهج تعليم القديس إيريناؤس، والقديس كيرلس الكبير، حينما ذكر هذا الأخير أن الذين استعبدوا لشهواتهم كانوا كمثل عميان، لم يقدرُوا أن يقبلوا المسيح، ليخلصوا. وأظنُّ، أنه في ذلك الأمر، يتفق غالبية الآباء.

ويذعم هذا الرأي ما يقوله ثيوفيلاكْتوس Theophylact (القرن الحادي عشر) الذي يقول إن المسيح قد كرز في الجحيم، ولكن الذين نالوا الخلاص، هم أولئك الذين عاشوا على الأرض حياة فاضلة (١٥٥).

وهنا يلزمنا أن نتوقف قليلاً، لكي نوضّح أن جميع الآباء يتفقون على وجود كرازة في الجحيم، ولكن بعضهم اختصّها بالبطارقة والأنبياء والأبرار والصدّيقين من شعب الله فقط، استناداً على إيمانهم السّابق، إذ ماتوا ولم ينالوا المواعيد، وهو الفكر الذي ساد عند معظم آباء الكنيسة الغربيّة.

152- J.A. Cramer, *op. cit.*, p. 67-68.

153- *De fide orthodoxa*, iii, 29, PG., t. xciv, col. 1101.

154- *De his qui in fide dormierunt*, xiii, PG., t. xcvi, col. 257.

155- *Com. In I Pet.*, III, 19, PG., cxxv, col. 1232.

وأما البعض الآخر من الآباء، فقال صراحةً بوجود إمكانية للتوبة في الجحيم، مثل العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، والعلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م).

وأما الغالبية العظمى من الآباء، ولاسيما الشرقيين، فقد قالوا بوجود فرصة للخلاص في الجحيم لنفوس الذين عاشوا حياة صالحة على الأرض، حتى للذين لم يكونوا من شعب الله. ومن هؤلاء الآباء، القديس كيرلس الكبير عامود الدّين (٤١٢-٤٤٤م)، والقديس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م)، والقديس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م)، ويوحنا الدمشقي (٦٧٥-٧٤٩م) وغيرهم.

غير أن بعض الآباء ينفون إمكانية وجود توبة في الجحيم. فالقديس مار أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م) يقول:

[... ما دام الموتى في الجحيم لا يقدرّون أن يتوبوا ..] (١٥٦).

والقديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) أبقى على لفظ "كراسة"، ولكن بمعنى إعلان الخلاص، بدون المناذاة بالتوبة. فليست هناك - بحسب رأيه - توبة في الجحيم، ولا توجد إمكانية للعودة (١٥٧).

ولكن عموماً، فقد تحاشى كثير من الآباء التعبيرات الأوريجانية في هذا الموضوع، أو استخدموها بمعان مختلفة عن معانيها، أو ببساطة هاجمها.

وفي الغرب المسيحي، استلهم القديس هيلاري أسقف بواتييه من

156- *Carmina nisibina*, xxxvi, 16.

157- *In Math.*, hom. xxxvi, 3, PG., t. lvii, col. 416, 417.

الآباء السابقين له، تعليمهم عن هذا الموضوع، وفهمهم لما ورد في رسالة القديس بطرس الرسول الأولى (١بط ٣: ١٩)، فيقول:

[بحسب شهادة بطرس الرسول، لما نزل الرب إلى الجحيم، وعظ كارزاً للذين كانوا في السجن، وكانوا قديماً غير مؤمنين في زمن نوح] (١٥٨).

أمّا هيبوليتس فيسير على نهج اللاهوت الغربي الذي يقول بأن المسيح كرز لنفوس القديسين فقط (١٥٩). وهو نفس ما تقول به الدسقولية السريانية، بأن يسوع قد كرز في الجحيم للآباء البطارقة وللقديسين (١٦٠).

وفي الغرب أيضاً ضمّ فيلاستريوس دي بريشيا Philastrius de Brescia (تبيح سنة ٣٩٧م) إلى قائمة الهراطقة، كل الذين يقولون بأن المسيح نزل إلى الجحيم، وبشّر كل النفوس، حتى يخلص كل من يؤمن به، فيقول:

[... وهناك هراطقة آخرون، يقولون إن الرب نزل إلى الجحيم، وبشّر الجميع هناك بعد موتهم، لكي يعترفوا به، فيخلصوا] (١٦١).

وقد أيد القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) رأي فيلاستريوس السابق

158- *Tract. In Psal. cxviii, xi, 3, PL., t. ix, col. 572, 563.*

أقدم بالشكر للأب أوجو زانتي Ugo Zanetti على تفضله بترجمة بعض النصوص الأباتية التي وردت في هذا المقال، من اللاتينية إلى الفرنسية، وذلك في أثناء تواجده بالدير في مارس سنة ٢٠٠٩م.

159- *De Christo et antichristo, xxvi, PG., t. x, col. 748.*

160- xxvi, *Texte und Untersuchungen, N.F., t. x, 2, p. 145.*

161- *Liber de haeresibus, cxxv, PL., T. XII, col. 1250-1251.*

ذكره، وضمَّ - على غرارهِ - إلى الهرطقة، الرأي الذي يقول بإمكانية التوبة والخلاص للعصاة عند نزول المسيح إلى الجحيم! فيقول:

[... وهرطقة أخرى تقول، إنه لما نزل المسيح إلى الجحيم، آمن به الذين لم يكونوا يؤمنون به. حيث ترى (هذه الهرطقة) أن جميعهم حينئذ نخلصوا] (١٦٢).

وأدان البابا غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤ م) رأي الشمَّاس ثيودور والقس جورجوس، الممثلين لبطريك القسطنطينية، واللذان قالوا بأن المسيح في الجحيم خلَّص كلَّ من اعترف بألوهيته، فيقول:

[... (يدعون) أنه في الجحيم قد خلَّص جميع الذين اعترفوا به كإله، ونجَّاهم من العذابات المستوجبة عليهم].

داعياً كلاً من الشمَّاس ثيودور، والقس جورجوس أن يكون لهما رأي آخر، فيخاطبهما قائلاً:

[... وبخصوص ذلك، أريد من محبتكم، أن يكون لكما رأي آخر تماماً. فالمسيح نزل إلى الجحيم ليخلص الأبرار. فلا تتمسكوا بأي معتقد آخر غير الإيمان الحقيقي الذي تُعلم به الكنيسة الجامعة، وهو أن الربَّ لما نزل إلى الجحيم، أنقذ من أسر الجحيم، فقط، أولئك الذين لما كانوا في الجسد، كانوا محفوظين بنعمته وحسن تدبيره] (١٦٣).

وهكذا يُحدِّد الفكر الغربي من إمكانية الخلاص في الجحيم، ويُقصِّره

162- *De haeresibus*, lxxix, PL., t. xlii, col. 4.

163- *Epist. VII, xv, ad Georgium presbyterum*, PL., t. lxxvii, col. 869-870.

على أبرار العهد القديم.

ويرى هذا الفكر الغربي أن الفقرتين اللتين وردتا في رسالة القديس بطرس الرسول الأولى، لا وجود فيهما للتوبة في الجحيم. أمّا عن لفظة "الكراسة" في الجحيم، والتي يمثلها الفعل اليوناني εἰκήρουξεν وأيضاً الفعل اليوناني εὐηγγελίσθη فيجب أن تُفهم بمعنى الإعلان بالخروج من الجحيم. كما يجب أن نعرف أيضاً أن النص الكتابي الذي نحن بصددده، هو نصٌّ لم يحدّد به القديس بطرس المعنى المقصود بالضبط. ومن ثمّ فمن السهل الاختلاف في تفسيره.

والخلاصة التي يدور حولها الفكر الغربي في هذا الموضوع هي أن كرازة المسيح في الجحيم، لم تكن تعني تحويل غير المؤمنين إلى الإيمان، بل تبكيت قلةٍ إيمانهم. لأنّ هذه الكرازة المقدسة، لا يمكن أن تعني سوى استعلان لاهوته، الذي استعلن للكائنين في الجحيم بنزوله العجيب إلى هناك.

وأما عن القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م)، فحينما سأله الأسقف إفوديوس Evodius من هم الأرواح التي - بحسب القديس بطرس الرسول - قد افتقدها المسيح في السّجن، وبشرّها، وكان إفوديوس يظنُّ بأنّ المسيح قد خلّص جميع الأرواح التي كانت في السّجن، حتى أنّ الجحيم أصبح فارغاً. وهو ما لم يوافق عليه القديس أغسطينوس، إذ رأى أنّ هذا الشّرح يؤدي إلى الوقوع في مشكلة. فيتساءل القديس أغسطينوس قائلاً: لماذا قصر بطرس الرسول نزول المسيح إلى الجحيم، وبشارته هناك، على الذين عصوا أيام الطوفان، أي المعاصرين لنوح، وليس على الجميع؟ وإذا كان قد بشرّ الجميع، لكي يعرف الجميع الإنجيل، أفلا يجب أيضاً أن كلّ

الذين ماتوا بعد مجيئه بدون أن يعرفوه، أن يُبشِّروا هم أيضاً بالإنجيل، ويتغيروا؟ وهذا الرأي - بحسب اعتقاد القديس أغسطينوس - مرفوض ومضاد للإيمان (١٦٤).

وبسبب هذه المصاعب التي يراها أغسطينوس في شرح آية القديس بطرس الرسول، اعتقد أن الكرازة المقصودة، ليست هي كرازة المسيح في الجحيم، بل كرازته للعصاة في أيام نوح. وقد قيل عن أرواحهم أنها في "سجن"، لأنها كانت تقبع في غياهب الظلمة والجهل. فالمرتل حينما قال: «أخرج من الأسر نفسي، لتعترف لاسمك» (مزمور ٨: ١٤١)، ألم يكن يتكلم عن سجن نفسه هو، وليس عن سجن الجحيم؟ لأنه منذ القديم، كان الله الكلمة يُستعلن للإنسان، فالذي تحدّث مع آدم وحواء، والذي كلّم قايين، هو نفسه الذي تكلم مع جيل الطوفان من بعدهم.

فيرى القديس أغسطينوس، أنه يمكننا هنا أن نأخذ ما ورد في هذه الآيات السابقة بالمعنى الروحي، وليس الحرفي، فيقول:

[لا يترتب على ذلك بالضرورة أننا ينبغي أن نفهم أن المقصود هنا هو الموتى الذين خرجوا من الجسد. فالأموات هم غير المؤمنين، وذلك بحسب ما ورد في إنجيل القديس متى «دع الموتى يدفنون موتاهم» (متى ٨: ٢٢)، أو ما ورد في إنجيل القديس يوحنا «تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون» (يوحنا ٥: ٢٥)] (١٦٥).

164- Ep., clxiii, PL., xxxiii, col. 708.

165- Ep., clxiv, PL., t. xxxiii, col. 709-718.

إلا أن شرح القديس أغسطينوس، يُحمّل بشدّة على معاني الكلمات، وعلى مضمون الآيات. لأنّ دينونة الأحياء والأموات لا تعني أبداً دينونة الأبرار وغير الأبرار، فالرسالة للعصاة في السّجن، لا يمكن أن تؤخذ على أنّها استعلان الكلمة في حقبة نوح، ولكنّها تعني في الحقيقة نزول نفس المسيح إلى الجحيم بعد موته. ففي (١ بطرس ٣: ١٨) تكلم عن الموت الفدائي ليسوع، وفي (١ بطرس ٣: ٢١، ٢٢) تكلم عن قيامته وصعوده إلى السّماء، وجلسه عن يمين أبيه. وعلى ذلك فإنّ حديثه عن الزيارة في السّجن، والذي يقع بين هذين الحدثين، لا يمكن توصيفه إلاّ بأنه التّزول إلى الجحيم. وفي الآيتين ١٨، ١٩ فإنّ الكلمتين πνεύματι و ἐν تعنيان "نفس" المسيح، تمييزاً لها عن جسده، ولا يمكن أن تكون متعلّقة بالكلمة غير المتجسّد.

إنّ شرح القديس أغسطينوس ظلّ مقبولاً من الجميع في الغرب حتى القرن السّادس عشر الميلادي، ولكنه لم يكن معروفاً في الشّرق.

والآن عودة إلى طقوس الصّلوات مرّة أخرى.

السّاعة الحادية عشرة من يوم الجمعة العظيمة

أولاً: ما تقوله المخطوطات والمصادر الطّقسيّة القديمة

بن سباع

يقول مخطوط رقم (١٥ طقس). بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة، لسنة ١٦٣٤م، وهو أحد مخطوطات كتاب "الجوهرة النّقيسة في علوم الكنيسة" ما يلي (ورقة ١١٤ وجه): "وعند انتهاء صلاة التاسعة، يتدثون بقراءة السّاعة

الحادية عشرة من غير أن يكون فيها رفع بخور، ولا بولس“.

وعند انتهاء الحادية عشرة، يكونون قد شالوا الدُّكَّة من باب الخورس، ويكونون قد كشفوا رؤوسهم، (أي) الكهنة والشمامسة، وحملوا الأيقونات التي كانت فوق الدُّكَّة، والصُّلبان، والشَّاربيمات، وصعدوا فوق الأنبل. ويتدثون بصلاة الثانية عشرة من يوم الجمعة ... الخ“ (١٦٦).

”مخطوط أوبسالا“

و(تُصلى الساعة) الحادية عشرة، والعادة أن تكون نبوتها وأناجيلها للأكابر من الشَّمامسة، حتى ينتهي إنجيل يوحنا للأرشي دياقن.

”مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدار البطريركية

بالقاهرة لسنة ١٩١١م“

يقول: ”ثمَّ يتدثون بصلاة الحادية عشرة كعادة البصخة. يقرؤون النبوات والموعظة قبطياً وعربياً. وتُقال اثنتي عشرة دفعة **Θωκ τε** **†xou** ويُطرح المزمور، وتقرأ الأناجيل الأربعة كالعادة، وبعدهم عربياً. الطرح ويفسر عربياً. وبعده الطلبات، وكيرياليصون الكبير. وتختتم الصلاة على جاري العادة بقراءة البركة“.

”مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)“

يقول (بنصّه): ”الساعة الحادية عشر ما فيها بخور ترتيبها مثل الساعه الثالثه“.

ثانياً: تعقيب وشرح للساعة الحادية عشرة من يوم الجمعة العظيمة

في هذه الساعة تمت أحداث متلاحقة، أعقبت موت المسيح على الصليب مباشرة، وقبل إنزاله من عليه. ففيها:

- انشقَّ حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل.
- الأرض تزلزلت، والصُّخور تشققت.
- القبور تفتحت، وقام كثيرٌ من أجساد القديسين الرَّاقدين.
- إيمان قائد المائة، بقوله: "حقاً إنَّ هذا الإنسان كان ابن الله".
- الجموع الذين عاينوا ما حدث، رجعوا وهم يقرعون صدورهم.
- وقفت نسوة كثيرات من بعيد، ينظرن ذلك.
- كسروا سيقان اللصين اللذين صُلبا معه، ليعجلاً بموتهما قبل حلول يوم السبت، أما يسوع فلم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوا أنه قد مات.
- واحدٌ من العسكر طعن جنبه بالحربة، فخرج للوقت دم وماء.

وتتفق كلُّ المخطوطات قيد الدراسة، أن تُصلَّى الساعة الحادية عشرة كعادة البصحة، من غير زيادة ولا نقص.

النُّبُوات

والنُّبُوة التي يتفق عليها جميع مخطوطات القطمارسات قيد الدراسة، هي من سفر الخروج لموسى النبي: «... ليذبحه (أي خروف الفصح) كلُّ جمهور جماعة بني إسرائيل وقت المساء ... وعظمة منه لا تكسروا ... إنه فصح للرَّب ... ويكون الدَّم علامة على البيوت التي أنتم فيها. فأرى الدَّم وأعبر عنكم» (خروج ١٢: ١-١٤).

العظة

وهي للبأبأ أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، يقول فيها:
 [... فأنت أيها الإنسان الذي تريد أن تخلص، علم ذاتك
 أن تسبح في لجة غنى وحكمة الله. أبسط يديك على مثال
 الصليب لتعبّر البحر العظيم، الذي هو هذا الدهر، وتمضي إلى
 الله ... ليكون مستقرّك في موضع واحد الذي هو البيعة، لتتعرّى
 بكلام الكتب، ومن الخبز السمائي، ومن دم المسيح].

وهذه العظة قد وردت في "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)"
 فقط، كما أوردها قطمارس أسبوع البصحة المطبوع سنة ١٩٢١م.

فصل البولس

ينفرد "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)" وحده، بإيراد فصل للبولس
 في الساعة الحادية عشرة، وهو فصل البولس الذي سبق ذكره في الساعة
 التاسعة في القطمارسات المطبوعة (فيلبي ٤:٢-١١).

المزمور والأناجيل

يُرْتَلُّ المزمور باللحن الأديبي، ونصّه هو: «بسطت يدي إليك،
 فاستجب لي ياربُّ عاجلاً، فقد فريت روحي. لا تصرف وجهك عني
 فأشابه الهابطين في الحب. هليلويا» (مزمور ٣٠:٣، ٤).

أمَّا الأناجيل فتدور أحداثها حول النقاط التي سبق ذكرها.

السّاعة الثّانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة

أولاً: ما تذكره المخطوطات والمصادر الطّقسيّة القديمة

ابن سباع

يقول (١٦٧): ... ثمّ بعد ذلك يُصلُّون الثّانية عشرة. وبعدها يطلع كبير الكهنة على الأبل، ومعه الصّليب، والكهنة بالشّموع، ويرفع الصّليب، ويقول كيرياليصون أربعمئة دفعة، (في الأربع جهات. وبعدها يفرّق الكهنة على الشّعب من الشّمع الذي كان على الصّليب (١٦٨) حسب العادة.

ثمّ أنه لما كان الصّلب والآلام برّاً المدينة، وبعد الصّلب التّزول من على الصّليب والدّفن داخل المدينة في القبر المقدّس، الذي كان في البستان. لأجل ذلك، بعد الثّانية عشرة يوم الجمعة عند نزول الصّليب، يدخُل به الكهنة من خارج إلى داخل الهيكل، ويضعوا الصّليب على الهيكل (أي المذبح)، ويدفنوه في الرّيحان والورد، كما دُفِن المسيح له المجد داخل المدينة. وتَبْطَل الصّلاة خارجاً من عشية الجمعة“.

ويقول أحد مخطوطات كتاب ”الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة“، وهو مخطوط رقم (١٥ طقس). بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة، لسنة ١٦٣٤م،

١٦٧- تجدر الإشارة هنا إلى أن كل ما يرد في المتن على مدى هذا الكتاب، تحت اسم ”ابن سباع“، هو طبقاً لأقدم مخطوط لكتاب ”الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة“، وهو المحفوظ بدار الكُتُب بالقاهرة، وتاريخه سنة ١٤٤٨م.

يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٨، ٣٣٩

١٦٨- وردت في مخطوط بكنيسة العذراء بحارة زويله يعود إلى القرن الثّاسع عشر، وهو لكتاب ”الجوهرة النّفيسة“، ”الصّلبوت“.

انظر: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٩

ما يلي (ورقة ١١٤ وجه، وظهر) (١٦٩): "يصعدون فوق الأنبل، ويتدثون بصلاة الثانية عشرة من يوم الجمعة 'ضوج داداي جوم' صف فوق الأنبل، وصف أسفل، اثنتي عشرة مرة. وتقرأ مرثي إرميا النبي، ويفسروها، ومزمورين، أحدهما أدريبي، والآخر شامي، والأنجيل الأربعة للكهنة، وكذلك الإنجيل الرابع لكبير الكهنة، أو الثاني منه. وأربعمائة كيرياييصون، كل جهة مائة، أولهم الشرق، وثانيهم الغرب، وثالثهم لبحري، ورابعهم لقبلي، بسجود من اختار، وله استطاعة.

وعند انتهاء ذلك، يُرثل الشعب كيرياييصون وهم نازلين من الأنبل، إلى حين يدورون الهيكل بالقون (بالأيقونات) والصلبان، وغيره، ثلاث دورات، ثم يقف حامل أيقونة الصليب قدام باب الهيكل، ووجهه نحو الغرب، ويرثل الشعب بقانون الصليب، ويختمون. ثم يأخذ أيقونة الدفن ويجعلونها في ستر أبيض نقي، ويلفونها فيه، ويجعلون عليها، فوق السّتر الأبيض، الورد، ويدفونها. ويُقرأ في الهيكل المزمور الأوّل لداود قبطياً، والثاني والثالث قبطياً إلى عند قوله «أنا اضطجعت ونمت» ثم ينصرفوا بسلام.

ويكون إنسان قد تجهّز لقراءة بقية المزامير أسفل الخورس، ورأسه مكشوف بيلين. والسبب الموجب لدخولهم في هذه الساعة، أنه لما نزل من على خشبة الصليب، دخلوا به المدينة، ودفنوه في المقبرة. أمّا المدينة فهي الخورس، وأمّا القبر فهو المذبح. والسبح لله" (١٧٠).

١٦٩- لاحظ قارئ العزيز كيف استطال الشرح لمخطوط من منتصف القرن السابع عشر، عن نظيره الأقدم المنسوخ في منتصف القرن الخامس عشر، لنفس كتاب "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة". لذلك، فالدّارس يبحث دائماً عن المخطوطات الأقدم زمناً.

”مخطوط أوبسالا“

وعند كماها تُصلى صلاة السّاعة الثانية عشرة، وفصولها مختصّة بالقسوس، حتى ينتهي إنجيل يوحنا إلى البطريك، إن كان حاضراً، أو إلى الأسقف في كرسية، ويفسّره كبير الشّمامسة، والعادة بالعلقة بمصر (أن يقرأه) البطريك على القنطرة^(١٧١).

وتقرأ بعده الطّبعات، ويُرفع الصّليب، وتُقال كيريايصوص ٤٠٠ مرّة، منها إلى الشّرق مائة، وإلى الغرب مائة، وإلى الشّمال مائة، وإلى الجنوب مائة، بلحن البصحة، دجماً. وإذا كملت، عاد الكهنة والشّعب بوجههم نحو الشّرق. وقيل باللّحن السنوي دجماً، ويقولون كيريايصوص باللّحن الكبير ١٢ مرّة.

ويُقال قانون الصّليب، وهو هذا: **ΩΙΤΕΝ ΠΕΚΤΗ**^(١٧٢) وهذا أيضاً موافق وهو: **ΑΥΤΙΟΥΤ ΝΑΚ Ω ΠΙΤΗ**^(١٧٣) وتُقال البركة.

ويبدأ البطريك أو كبير الكهنة ثلاثة من المزامير. وينصرف الشّعب.

وتلف الكهنة، الصّليب، في خرقة، مثلاً لتكفين جسد سيّدنا، ويودع الرّياحين والورد، مثال تذكّار جنوطه بالطّيب. ثمّ تُقرأ المزامير الداوذية كماها ... الخ“

١٧١- كلمة يونانية καθέδρα (كاتدرا)، أي: ”كرسي أو عرش“، والمقصود بها هو كرسي البطريك أو الأسقف.

١٧٢- أي: ”بصليكَ“.

١٧٣- أي: ”سمروك، أيها الصّليب“. والنّص القبطي غير صحيح، وصحّته هي: **ΑΥΤΙΟΥΤ ΝΑΚ ΕΞΟΥΝ ΕΠΙΤΗ** أي: ”سمروك على الصّليب“.

”مخطوطا ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١١م“

”تقرأ مرثي إرميا النبي قبطياً وعربياً. وفي ضمن ذلك تُفتح أبواب الخورس والهيكل، ويُكسى المذبح بكسوة بيضاء تلائم سبت الفرح، وتوقد القناديل والشُّموع، ويجهِّزون أيقونة الصَّليب الشَّريف، وبقية القون (الأيقونات)، وتحملهم الشَّماسة.

وإن كان الأب البطريرك حاضراً أو الأسقف، فيكشف رأسه، وكذلك بقية الكهنة، ويحملون الحماير، والصُّلبان وعليها الشُّموع موقدة، ثمَّ يُرفع البخور في الحماير، وهي بأيديهم.

وبعد قراءة النبوات عربياً^(١٧٤)، يصعد الكهنة والشَّماسة إلى الأنبل، وبأيديهم الشُّموع موقدة، ويتدثون بقراءة رُبع فوق الأنبل **Θωκ τε** **†** **χου** ورُبع أسفل الأنبل. وبعض البيع يقرأون المزمور نصفين، الأوَّل أدريي، والثاني بلحن التَّحنيز. والرأي في ذلك لمن يختاره.

وبعد ذلك **Κε ὑπερ τοῦ**. ثمَّ يقول الأب البطريرك أو الأسقف الأربعة أناجيل قبطياً. وإذا لم يكن حاضراً بالبيعة، فيقرأها الكهنة على حسب طقوسهم. والشَّماسة يفسِّرون عليهم أسفل. ويُطرح الطَّرح، وتُقرأ الطُّلبات فوق الأنبل. يقرأها كبير الكهنة.

وبعد ذلك يُرفع الصَّليب، ويصرخون كلُّهم بابتهاج عظيم، وخوار شديد، ودموع غزيرة، قائلين: كيريايصبون دجحا أربعمئة مرَّة. ويضربون المطانوه (الميطانية)، ويدقُّون صدورهم، طالبين من الرَّبِّ سُبْحانه، غفران خطاياهم. والأربعمئة، كلُّ جهة مائة، الأولى للشَّرق، والثانية للغرب،

والتالفة لبحري، والرابعة لقبلي. وكل ناحية يلتفتون إليها، يلتفت الكهنة والشمامسة بالصليبان والأيقونات والجمامر.

وبعد ذلك يبتدئون بقراءة كيرياليسون بالكبير سنوي بالناقوس، اثنتي عشرة (مرة)، ويكونون مشتملين بالفرح والحزن معاً. أمّا الحزن، فلأجل الذي تألم عنا. والفرح لأجل أنه بالآمه خلصنا من يد العدو، وأعادنا إلى الفردوس دفعة أخرى. ثم ينزلون من على الأنبل، ويدخلون الخورس، ويصعدون إلى المذبح، ويطوفون حوله ثلاث مرّات، وهم يرتلون كيرياليسون.

ثم يبتدئون يرتلون بهذا القانون بطريقته ملخص، وهو هذا

Αγὶ ἤχε νιδικεος: Ιωσηφ νει νικολημος...

وإن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً، فتقال **Ακβι** **Τχαρις...** وإن لم يكن حاضراً، فيقرأون ذكصابتري، ثم يقولون:

Ανον εων μαρενοϋωϋτ ἰμοϋ: ενωϋ εβολ ενχω ἰμοϋ: χε ναι ναν Φ† πενωτηρ...

وأما بيعة حارة زويلة، فيستعملون هذا القانون:

Σολγοθα ἰμετρεβρεος: πικρανιον ἰμετοϋεινιν: πιμαεταϋαϋκ Ποϋ ἠδητηϋ ...

Δοξα πατρι...

Δϋωϋ εβολ ἠχε πiconi...

Κε νην...

ثم يكملون كالعادة **... ενωϋ εβολ...**

و تُقرأ البركة على الشعب كعادة البصحة، ثم يعودون إلى الهيكل.

ويأخذ الكاهن الكبير أيقونة الدفن إن وُجدت، وإلا فأيقونة الصليب، ويلفها بستر كريم. والأجل أن يكون أبيضاً، وبطانته كَتَّان. ويترك الورد فوق المذبح، ويدفنون فيه الصليب. وتوضع فوقه الأيقونة، ويجعل الورد حولها في ستر آخر، ليكون وقاية للأيقونة، من أجل رطوبة الورد. واحترس أن لا ترش عليها ماء ورد، ولا تدع الورد بمسها من أجل دهاها. ثم يُغَطَّى بالإبروسفارين من فوق، مثال الحجر الذي كان على فم القبر.

وتوضع حول الهيكل (المذبح) شمعتان، توقدان على منارتين، مثال الملاكين اللذين كانا عند القبر المحيي، واحداً عند الرأس، وآخر عند الرجلين. ويتحرزون على كساوي (كسوة) الهيكل وفرشه. ويكونون بعد نزولهم يفتقدونهما، لثلاً يقع منهما شيء، فيحرق الكسوة. ويكفي الله من ذلك.

ثم يبدأ الكهنة كل واحد بقراءة مزموّر قبطي فوق الهيكل. المزمور الأول للكاهن الكبير، وهو «طوبى للرجل». والمزمور الثاني والثالث للكهنة شركائه. وعند نهاية قراءة المزامير قبطياً، ينزلون من المذبح، ويجرون السّتر.

وإن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً، فيصعد إلى قلايته. ثم يدعون أحد الشمامسة لتلاوة المزامير المائة والخمسين قبطياً وعريباً. وينصرفون بسلام.

”مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)“

يقول المخطوط تحت عنوان ”ترتيب الساعة الثانية عشرة“ ما يلي (بنصّه): ”يكونوا قد كشفوا الكهنة والشمامسة وروسهم وصعدوا الى

فوق الابن حاملين القون والشاروبيم والصلبان ويتدوا بقراه **Θωκ τε** فوق الابن وصف **†χου** ادربي وهو **αρχαυ** (١٧٥) ويقرى عليه ثلاثه اناجيل متى ومرقس ولوقا وبعدهم يقال المزمور بطريقه الشامي وهو **πεκθρονος** (١٧٦) ويقرى عليه انجيل من يوحنا والطرح والطبحات وكيريايلصون اربع مايه مره كل جهه مايه مره للشرق مايه للغرب مايه بحري مايه قبلي مايه وعند انتهى الاربع مايه ينزلوا من الابن وهم يرتلوا بالنواقيس قاصدين الهيكل والشعب قدامهم وهم يقولوا كيريايلصون يدوروا الهيكل ثلاثه مرات تم ياخذوا ايقونه الدفن يجعلوها في ستر كتان وفوقها الورد ويغطيها بالابرسفارين مقام دفن المخلص في القبر والشعب يرتل خارجا بقانون الصليب

Σιγην πεκσταυρος ετταλινουτ... (177)

يقول الكاهن الذي يدفن ايقونه الدفن ثلاثه مزامير قبطياً الى عند **ανοκ διενκοτ ουοθ...** تفسيرها انا اضجعت ونمت // // // ويتوجهوا الى منازلهم ويقيم... (١٧٨) من يطوي ويكمل بقيه المايه وخمسين مزمور.

ثانياً: تعقيب وشرح للساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة

هذه هي ساعة إنزال الرب مع على الصليب، وتكفينه بلفائف كتان نقي، أحضرها يوسف الذي من الرامة، وكان تلميذاً ليسوع، ورجلاً صالحاً، حسن الزِّي، ومشيراً. وكان ينتظر ملكوت الله، ولم يكن موافقاً

١٧٥- وصحَّتها **Αρχαυ** «جعلوني في جب سُفلي ... الخ».

١٧٦- أي: «كرسِيك يا الله إلى دهر الدَّهر ...».

١٧٧- أي: «بصليبك المكرَّم ...».

١٧٨- كلمة لم أستطع قراءتها.

على رأيهم وعملهم، فهكذا ذكرت الأناجيل. أمّا إنجيل يوحنا، فقد ذكر الحنوط الكثيرة التي أحضرها نيقوديموس، وهي من مُر و صبر. فكفنا يسوع بلفائف الكتّان، مع الحنوط، كعادة اليهود أن يكفّنوا.

وحمل يوسف جسد يسوع، ووضعه في قبره الجديد، وكان منحوتاً في الصّخر، قُرب بستان يمتلكه يوسف، وهو قريب من الموضع الذي صُلب فيه يسوع. وهناك وضع يسوع، ودحرج على باب القبر حجراً عظيماً، ومضى. وكانت نسوة كثيرات ينظرن من بعيد، أين وُضع.

حول مرثي إرميا

بالبحث في مخطوطات القطمارسات قيد الدّراسة، لاحظت أنه لا وجود لمرثي إرميا، لا في "مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)"، ولا في "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)". ولكنّها موجودة في "مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)". أي أنّها بدأت في الانتشار في غضون القرن الرابع عشر الميلادي، ومن ثمّ فهي موجودة في "مخطوط دلال حارة الرّوم (ق ١٥)".

فصل البولس

من المستغرب أنّ "مخطوط قطمارس لندن (ق ١٢)"، وحده، يورد فصلاً للبولس أيضاً في هذه السّاعة، وهو من رسالة بولس الرّسول الأولى إلى تلميذه تيموثاوس (٦: ١٣-١٦): «أوصيك أمام الله الذي يجيي الجميع ... ذاك الذي له الكرامة والعزّة إلى الأبد».

الأنبيل هو محور طقس هذه السّاعة

يلاحظ القارئ العزيز - طبقاً للتعليمات الطّقسيّة التي أوردتها

المخطوطات - أن الأنبيل، كان هو مكان ومحور هذه الساعة. من البصحة المقدسة. ومعروف أن موضع الأنبيل في الكنيسة هو خارج الخوروس مباشرة، أي في بداية صحن الكنيسة من جهته البحرية، وقرب منتصفه.

وكانت صلوات هذه الساعة تجري من عليه، ومن أسفله. أي أن الصلوات لازالت - بحسب الطقس القديم - تجري خارج الخوروس. حيث يكون دخول الخوروس بعد اكتمال الميطانيات، أي بعد نهاية صلوات هذه الساعة. ولكن بعد زوال الأنبيل من معظم الكنائس الآن، صارت الصلوات في هذه الساعة الثانية عشرة، تبدأ من داخل الخوروس، بل وأصبح الهيكل الرئيسي - في بعض الكنائس - هو بديل الأنبيل! حيث تُرتل تسبحة البصحة بالتبادل بين جوقتين، واحدة داخل الهيكل، والأخرى خارجه. وبعض الكنائس أصبحت ترتل المزمور الشامي Πεκθρονος (بيك إثرونوس) من على منجلیة موضوعة في منتصف باب الهيكل الرئيسي، لتكون في موضع مرتفع عن الخوروس كبديل للأنبيل ... الخ.

وإن ما يلفت النظر، أنه بعد إندثار الأنبيل من الكنائس، لازالت كُتب الطقس تشرح طقساً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بأنبيل غير موجود. ومنذ سنة ١٩٢٠م، لم تُصدر الرئاسة الكنسية تعليمات طقسية، تلتزم بها الكنائس، بعد ظهور متغيرات فرضتها ظروف جديدة. فباتت الكنائس تمارس ترتيباً مغايراً لبعضها البعض، طبقاً لرؤيتها الذاتية.

موكب الدفن

أمّا عن موكب الدفن، الذي يسبق مراسيم الدفن، والذي يأتي في ختام صلوات يوم الجمعة العظيمة، فهو موكب مهيب، يأتي بعد يوم طويل

من الصَّلوات التي لم تنقطع، مع ما يصاحبها من الميطانيات الكثيرة، واختلاط المخزونات بالمفرحات، لأنه طقسٌ يرتاح إليه الحزاني والمتألِّمون، كما الفرحون أيضاً. وعلى قدر امتلاء الكنيسة بالمصلين، فإنَّ صمتاً مهيباً يلف أرجاء المكان، لا تسمعُ من خلاله سوى أصوات خاشعة، تُرْتَل بتواتر طلبية "كيريايسون"، وعلى إيقاع واحد رتيب. الصُّلبان المرفوعة تتقدَّم الموكب، وفي مؤخَّرته أيقونة الصُّليب، أو أيقونة الدَّفن، يحيط بها البُحور المتصاعد من الجامر الكثيرة حولها. وبين الصُّليب وأيقونته جوقة من المصلين، ترفُّ المسيح الإله الذي مات، إلى قبره الجديد، إلى مذبح الكنيسة، حيث يدفن هناك بين الورود والرِّياحين، الموضع الذي نبعت لنا منه الحياة، بالقيامة من بين الأموات. العيون ملؤها الدُّموع، والقلوب ملؤها الحبور، دموع التَّوبة والعرفان بالجميل، وسرور الخلاص، وبهجة النِّجاة.

إنَّ موكب الدَّفن في ختام صلوات يوم الجمعة العظيمة في الكنيسة القبطية، هو من المراسيم الرائعة التي تشهد لها الكنائس الأخرى^(١٧٩).

قوانين الدَّفن

يُتَّضح من التَّعليمات الطَّقسية أيضاً، أنَّ قانون الدَّفن يردِّده كلُّ الشَّعب خارجاً، بينما الكهنة يقومون بمراسيم الدَّفن، في الهيكل، وهو ما يذكره "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)". وأمَّا "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بالدَّار البطريركية بالقاهرة لسنة ١٩١١م"، فيذكر أنه بعد ترديد قانون الدَّفن خارجاً، يدخل كبير الكهنة إلى الهيكل، لتتميم مراسيم الدَّفن.

وأما عن نص قوانين الدفن، فتورد المخطوطات بضعة قوانين، أشهرها أربعة.

قانون الدفن الأول: وهو القانون الذي بدايته: **ΣΙΤΕΝ ΠΕΚ** أي: "بصلييك المكرم". وهو ما يذكره ابن كبر (+ ١٣٢٤م) طبقاً لـ "مخطوط أوبسال"، ويؤيده في ذلك "مخطوط دلال حارة الروم (ق ١٥)". وأيضاً "مخطوط دلال المعلقة (ق ١٦)"، حيث يقول هذا المخطوط الأخير: "ينزلون من فوق الأنبل، ويدخلون إلى الخوروس، ويطلعون إلى الهيكل، ويدورون ثلاث دورات، ثم يخرجون إلى باب الإسكنا، ويقرأون قدام الأيقونات قانون عشية الجمعة"، وهو هذا ... " (١٨٠). وسوف أوردُ نصّه بعد قليل.

قانون الدفن الثاني: وبدايته هي: "سمروك على الصليب ...". وهو ما يذكره أيضاً ابن كبر، طبقاً لـ "مخطوط أوبسال" ..

١٨٠- يورد "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)" عقب هذا القانون مباشرة، قانوناً آخر، وبدون أي عنوان: بدايته هي: "عظيمة هي قوة الصليب ... الخ". وتحت عنوان: "وأيضاً قانون آخر"، يورد المخطوط قانوناً بالقبطية والعربية، بدايته: "يارب يارب يارب، إن كنت أعطيتنا صلييك سلاحاً قبالة إبليس ... الخ". وتحت عنوان: "وأيضاً قانون آخر"، يورد المخطوط قانوناً بالقبطية والعربية، بدايته: "الجلجلة بالعبرانية، والإقراثيون باليونانية، الموضع الذي صلبوك فيه يارب ... الخ".

وفي نهاية هذه القوانين، يورد "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)" ما يلي بنصّه: "وكنيسة المعلقة يختصروا جميع ما كتب اولاً ويقروا من حد هذا الربع **Δτι ηνε** ونيقوديموس ... الخ". ويكمل المخطوط بقوله: "تم تقرا البركه ويتدوا بالدفن وتلاوة المزامير ... الخ".

قانون الدفن الثالث: هو القانون الذي يبدأ بعبارة: ”أتى الصديقان، يوسف ونيقوديموس، وأخذنا جسد المسيح، وجعلنا عليه طيباً، وكفنناه، ووضعناه في قبر، وسبّحاه ... الخ“. وهو القانون الذي تورده مخطوطات ترتيب البيعة، مع مخطوطات الدلالات الأخرى. كما أنه هو القانون الوحيد الذي يورده كل من ”مخطوط دلال بارس“، و”مخطوط دلال لندن“. وسوف أوردُ تعقيباً عليه بعد قليل.

قانون الدفن الرابع: وهو القانون الذي بدايته: ”الجلجلة بالعبرانية، والإقرايئون باليونانية، الموضع الذي صُلبت فيه يارب ... الخ“^(١٨١). فهو مأخوذ عن كنيسة العذراء حارة زويله، بمصر القديمة. ونجد أن ”مخطوط دلال المعلّقة (ق ١٦)“ يورد هذا القانون مباشرة، تحت عنوان: ”يرتل الشمامسة هذا القانون بطريقته“. وفي نهايته، يورد المخطوط نص القانون الثالث، والسابق ذكره، ولكنه يورده تحت عنوان (بنصّه): ”وأما بيعه المعلّقة ما يستعملوا الا هذا الربع“^(١٨٢). وهو يقصد القانون الثالث السابق ذكره.

أي أن ما نرتله اليوم في قانون الدفنة في كافة كنائسنا القبطية، هما قانونان معاً، وردا في المخطوطات. نصفه الأول مأخوذ عن كنيسة العذراء

١٨١- جاء في طرح واطس على الأحد السادس من الخمسين المقدسة، ما يلي: ”الجمجمة باليونانية، الجلجلة بالعبرانية، صخرة حقل هايل التي خارج أورشليم“. وفي شذرات من كتابات الأبوكريفا عن آدم، ”أن صخرة الجلجلة كانت تقع في الحقل الذي ذُبح فيه هايل. ولما جاءت مياه الفيضان في أيام نوح، حرّكت جمجمة آدم إلى حيث الموضع الذي دُفن فيه هايل“.

H.G.Evelyn White, *The Monasteries of Wadi 'n Natron*, Part I, p. 4-5.

١٨٢- وهو نفس ما يذكره ”مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)“، و”مخطوط دلال المعلّقة“، باستثناء كلمة ”الربع“.

حارة زويله بمصر القديمة، كما يذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨) طقوس) بالدثار البطريكية بالقاهرة لسنة ١٩١١م"، ونصفه الآخر كان هو القانون الذي شاع بين الكنائس، ولاسيما كنيسة العذراء المعلقة بمصر القديمة، بعد اندثار القانونين القديمين اللذين وردا عند ابن كير، وهما قانون: "سمروك على الصليب ... الخ"، وقانون: "بصلييك المكرم ...". وهذا القانون الأخير "بصلييك المكرم ..."، أورده "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)"، و"مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)"، إلى جانب "مخطوط أوبسالا" (١٨٣).

وجدير بالذكر هنا أن هذا القانون القديم "بصلييك المكرم ... الخ"، كان هو القانون الذي يُستخدم على مدار السنّة الليتورجية في أيام الجُمع من الأسبوع. وفيما يلي نصّه نقلاً عن مخطوط رقم (٣) قبطي). بمكتبة فيينا (النمسا)، وهو القانون الخامس في هذا المخطوط، ضمن القوانين الكثيرة التي أتت به، والتي تُقال على مدار السنّة الليتورجية والأعياد السيديّة.

Κανων ἡμῶν ε (القانون الخامس) (١٨٤)

Вѣщенъ пекѣѣ етѣиноуѣ Пѣс: | بصلييك المكرم (١٨٥)

١٨٣- لعل القارئ العزيز يتعجب معي، كيف أن "مخطوط دلال حارة الرُّوم (ق ١٥)"، يورد الطقس القبطي القديم لأسبوع البصحة، حيث ينفرد بجزئيات ليتورجية لا يشاركه فيها سوى "مخطوط أوبسالا"، والذي هو امتداد لمخطوط "مخطوط باريس"، أي منذ أيام ابن كير (+ ١٣٢٤م).

١٨٤- يرد عنوان القانون بالقبطيّة فقط. ونص القانون يرد من (ورقة ١٦٢ وجه إلى ورقة ١٦٢ ظهر) من المخطوط. وفي الهامش الأيمن من (ورقة ١٦١ ظهر) نقرأ: "يوم الجمعة".

١٨٥- في المخطوط، وفي الهامش نقرأ: "المكرم"، أما المتن فذكر: "المقدس".

αφθι̅ϋπι̅ ἵχε̅ πι̅διαβολος̅ : ρι̅τεν
 τεκαναστας̅ις̅ : τ̅σο̅νρι̅ ἡ̅ψ̅μο̅ν
 ακκο̅ρ̅ς̅.

Ο̅το̅ς̅ ακ̅να̅ρ̅με̅ν̅ ἔ̅βο̅λ̅θεν̅
 νι̅π̅τ̅λ̅η̅ ἵ̅τε̅ α̅με̅ν̅† : τε̅ν̅†̅ω̅ο̅ν̅
 να̅κ̅ πι̅μο̅νο̅υ̅ε̅ν̅η̅ς̅.

Δοξα...

Δ̅υ̅ε̅ρο̅ν̅ρο̅ ἵ̅χε̅ Π̅ο̅ς̅ ἔ̅χε̅ν̅
 νι̅ε̅θ̅ο̅ς̅ : νι̅λα̅ο̅ς̅ θε̅ε̅λ̅η̅λ̅ ἡ̅μ̅ω̅τε̅ν̅ :
 ἔ̅βο̅λ̅ γ̅αρ̅ ἄ̅εν̅ θ̅η̅ε̅τ̅το̅ν̅β̅η̅ο̅ν̅†
 ἡ̅πα̅ρ̅θ̅ε̅νο̅ς̅ : ακ̅ο̅ν̅ο̅ν̅ε̅κ̅ ἄ̅εν̅
 πι̅κο̅ς̅μο̅ς̅ ο̅το̅ς̅ πι̅ω̅ν̅δ̅ ἡ̅νε̅ρ̅
 ακ̅τ̅η̅ι̅ϋ ἡ̅νι̅ρ̅ω̅ι̅ : π̅λ̅α̅ν̅η̅ νι̅β̅ε̅ν̅
 ἵ̅τε̅ νι̅δ̅ε̅μ̅ω̅ν̅ : ακ̅υ̅ε̅ρ̅ω̅ρ̅ο̅ν̅†
 ἔ̅βο̅λ̅ε̅α̅ ἡ̅κα̅ρ̅ι̅.

Π̅α̅ρο̅ν̅ο̅ν̅ο̅ϋ̅ ἵ̅χε̅ νι̅ψ̅η̅ο̅ν̅ι̅ :
 ο̅το̅ς̅ μα̅ρε̅ϋ̅θε̅ε̅λ̅η̅λ̅ ἵ̅χε̅ ἡ̅κα̅ρ̅ι̅ :
 νε̅μ̅ νη̅ τ̅η̅ρο̅ν̅ ἔ̅τε̅ ἡ̅δ̅η̅τ̅ϋ̅ : κε̅
 γ̅αρ̅ ἔ̅φ̅η̅ν̅η̅β̅ ἵ̅τε̅ ε̅ν̅χα̅ι̅ νι̅β̅ε̅ν̅.

أيها المسيح، خُزي^(١٨٦)
 الشيطان، ربقيامتك،
 شوكة الموت كسرتها.

وخلصتنا من أبواب
 الجحيم. فمجدك أيها
 الوحيد.

المجد ...

ملك الرب على
 الأمم. أيها الشعوب
 تهللوا، لأن من الطاهرة
 العذراء، ظهرت في
 العالم، والحياة الدائمة
 أعطيتها للناس، وكل
 ضلالة الشيطان محوتها
 من الأرض.

لتفرح السموات،
 ولتتهلل الأرض، وكل
 ما فيها، لأن سيد
 الكل.

ولقد حفظ لنا "مخطوط أوبسالا" وحده عنوان هذا القانون، ولكنه سقط من
 ناسخ "مخطوط باريس".
 ١٨٦- في المخطوط: "انخزي".

Ἰθoυc oν εταcυενac ἐνιμα
 ετcαπεcητ ἰπκαρι : κατa
 φρητ εταcοτωϋ : ἵθoυc ἐoυτον
 ἵταc ἰπιβρο : acτωηc acτ
 οτβε ἐφμοτ.

Ἰτῆ...

Ἰοι ἵθoυτ oτοc ἰμεc ἵωoυτ :
 ἵχε παηιϋτ ἰμτcτηριoν : χε
 φηἵτε ἰπαρε μα ϋοπη : α
 τενεχι ϋοπη ἐροc.

Ἰεcματ μενεcα ἑρεcμαcϋ :
 acορι εcοι ἰπαρθενοc : χε Ἰτ
 φηεταcερρωμ : acβἵcαρξ
 ἐβολῆῆητc.

Ἰθoυc μαρεηωc ἐροϋ : ἵθoυc
 μαρεηερῆμνοc ἐροϋ : χε ἵοταβ
 ἵθoκ Πoῆ : φηεταcἵ ἐνοηεμ
 ἵηηἵτε ποτη ἰψτηχη.

هو أيضاً نزل (١٨٧)
 إلى أسافل الأرض،
 كما أحب، وإذ (١٨٨)
 له الغلبة، قام وقابل
 الموت.

...الآن

خوفٌ ومملوءٌ مجداً،
 هذا السرُّ العظيم، لأنَّ
 الذي لا يسعه مكان،
 قبلته بطنك (١٨٩).

أُمُّه من بعد ما
 ولدته، بقيت عذراء،
 لأنَّ الله الذي تأسس،
 قد تجسَّدَ منها.

فلنسبِّحه، ولنرتِّل له،
 قائلين: قدُّوس أنتَ يا
 ربُّ، الذي جئت (١٩٠)
 وخلصتَ نفوسنا.

١٨٧- في المخطوط: "صعد".

١٨٨- في المخطوط: "واد".

١٨٩- في المخطوط: "بطنها". ومصححة في الهامش هكذا "بطنك".

١٩٠- في المخطوط: "جيت".

تعقيب على قانون الدفن الثالث

فيما يلي نص القانون كما نردده حالياً: ”أتى الصديقان يوسف ونيقوديموس، وأخذوا جسد المسيح، وجعلا عليه طيباً، وكفناه، ووضعاه في قبر، وسبحاه قائلين: قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الذي لا يموت، الذي صُلب عنا ارحمنا. ونحن أيضاً نسجد له صارخين، قائلين: ارحمنا يا الله مخلصنا، يا من صُلبت على الصليب، وسحقت الشيطان تحت أقدامنا، خلصنا وارحمنا. يارب ارحم. يارب ارحم، يارب بارك آمين. باركوا عليّ. ها الميطانية، اغفروا لي. قل البركة“.

والحديث هنا يتركز على تسبحة الثلاثة تقديسات، التي وردت في هذا القانون. وقد سبق أن ذكرت أن ابن كبر (+ ١٣٢٤م) لم يكن يعرف هذا القانون. إلا أنه كان يعرف جيداً كل من نيقوديموس ويوسف الرامي.

فيقول ابن كبر عن نيقوديموس: ”نيقوديموس الفرّيسي، الذي كان رئيساً لليهود، وكان محباً للسيد، وتلمذ له سراً. وبعد الصعود، تظاهر بالتلمذة، ومات بأورشليم ودفن بها“.

ويذكر ابن كبر - نقلاً عن كتاب الأباطينيّين - أن نيقوديموس مع بعض رؤساء كهنة آخرين، ومن بينهم حنّان وقيافا، واسكندروس، ”كانوا يأتون إلى الرُّسل بالليل، ويُقرُّون بأنّ هذا هو المسيح الذي كنّا نُكذِّبه، وهو مسيحُ الحق الذي تنبأت عليه الأنبياء، وهو ابن الله حقاً. ولم يظهروا ذلك، خوفاً من اليهود، فقبلهم الرُّسل، وأمروهم أن يعترفوا بهذا علانية، فاعترفوا به ظاهراً، ولزموا الرُّسل بأورشليم. وكانوا يساعدونهم في شدائدهم، ويحتملون معهم الضُّرب والحبس وغيره. وصاروا، بعد خروج الرُّسل للكراسة، رؤساء الكنيسة ومدبريها“.

ويقول أيضاً عن يوسف الرامي: "يوسف البلوطي، من أهل الرامة، وتفسيره المشير، وهو الذي سأل جسد السيد من بيلاطس، وأخذه وكفنه ودفنه في قبره، كان قد عمله لنفسه. كرز في الجليل والعشر المذن. ومات ودُفن في الرامة في منزله" (١٩١).

إذا فقد كان ابن كبر يعرف يوسف الرامي ونيقوديموس الفريسي، ولكنّه لم يذكر القانون الذي يورد اسمهما مع التسبحة التي نُسبت إليهما.

ولقد شرحتُ في كتاب "الأجبية أي صلوات السّواعي"، تاريخ هذه التسبحة المعروفة بالثلاثة تقديسات (١٩٢). وذكرتُ أنّ هذه التسبحة تعرفها جميع الكنائس، باستثناء الإضافة "يا من صُلب عناً ارحمنا". وهي الإضافة التي ظهرت أولاً في كنيسة أنطاكية بواسطة بطرس فولر Fuller في سنة ٤٧١م. حيث عُرفت هذه الإضافة في الطقس السرياني "بصلاة أو بتسبحة نيقوديموس"، إلا أنّها لم تأخذ صبغتها العموميّة حتى بداية القرن السابع الميلادي. ثمّ أضاف الأقباط - إقتداءً بالإضافة السريانيّة - عبارات: "يا من ولد من العذراء"، و"يا من قام من بين الأموات وصعد إلى السموات"، فصارت الثلاثة تقديسات موجهة إلى أقنوم الابن في أرباعها الأولى.

ويتكلّم ابن سباع عن هذه التسبحة، فيقول: "إنّ يوسف ونيقوديموس، بعد حنوط السيّد له الجمد، وحمله إلى القبر ليُدفن، فكان القبر مغارة كما شهد الإنجيل، إنه قبر جديد، لم يكن أحد تُرك فيه. ولما أنزلوه في القبر، تحقّقنا موته مثل كلّ البشر، وما كان في علمهم أنّه

١٩١ - القس شمس الرّئاسة أبو البركات، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الأوّل، مكتبة الكاروز، ١٩٢١م، ص ٨٦
١٩٢ - انظر الحديث عن الثلاثة تقديسات في الفصل الخاص بصلاة باكر، في الكتاب المذكور.

يقوم ثالث يوم كما في الكُتُب، (ف)نعوه وندبوا عليه (قائلين:)، 'يا من كلُّنا كُنَّا نرجو أنه عزاء إسرائيل ومخلِّصه. من بقى يعزِّينا وينجِّينا، وهم باكين. ظهر الملائكة وهم قائلين: 'قدوسُ الله، قدوسُ القوي، قدوسُ الذي لا يموت'. وعندما قالوا الذي لا يموت، والرَّبُّ المسيح فتح عينيه في وجوههم، أعطوه الملائكة هذه التَّسبحة. نظر الملاك الذي ظهر ليلة الصَّلْب وأعطاه تسبحة القوَّة والغلبة، فتحققوا ذلك أنه لم يُت قهراً، بل بإرادته. فقال يوسف ونيقوديموس: 'يا الذي صلب عنَّا ارحمنا'... الخ" (١٩٣).

ولكن مع ذلك لم يشر ابن سباع إلى قانون الدَّفنة الذي يذكر هذه التَّسبحة، فأقدم مخطوط لكتاب "الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة"، وهو مخطوط رقم (٢٢١ لاهوت) بدار الكُتُب بالقاهرة، والذي يعود تاريخه إلى سنة ١٤٤٨م، لم يورد شيئاً عن هذه التَّسبحة المنسوبة لنيقوديموس ويوسف الرَّامي (١٩٤).

أمَّا مخطوط رقم (١٥ طقس). بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة، والذي يعود تاريخ نساخته إلى سنة ١٦٣٤م، وهو إحدى مخطوطات كتاب "الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة"، فيذكر في (ورقة ١١٤ ظهر)، عند الحديث عن السَّاعة الثَّانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة: "... ويرتِّل

١٩٣- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٠١، ٢٠٢
ألفتُ انتباه القارئ العزيز مرَّةً أخرى إلى أن الباحثين والدَّارسين يولون اهتماماً كبيراً لما يذكره ابن سباع عن المراسيم الطَّقسية، أي طقوس الصَّلوات، باستثناء ما يشرحه أو يعقب عليه بخصوص هذه المراسيم الطَّقسية.

١٩٤- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٩

الشَّعب بقانون الصَّلْبوت ...“، بدون تحديد لماهيَّة هذا القانون (١٩٥).

وكان روفائيل الطُّوخي (١٧٠٣-١٧٨٧م) هو أوَّل من نشر هذا القانون سنة ١٧٣٦م، في روما نقلاً عن المخطوطات القبطيَّة، التي أوردت هذا القانون بدءاً من القرن الرَّابع عشر أو الخامس عشر للميلاد. وحتى القرن السَّادس عشر، لم يكن هذا القانون قد انتشر في جميع الكنائس.

مراسيم الدَّفن

التَّعليمات الطَّقسيَّة الخاصَّة بطقوس الدَّفن مشروحة بتوضيح كافٍ في المخطوطات السَّابِق ذكرها. وتبدأ مراسيم الدَّفن على مذبح الهيكل الرئيسي، بعد انتهاء ترتيل قانون الدَّفن (١٩٦).

وتجري مراسيم الدَّفن على الجهة القبليَّة من المذبح، أمَّا دكتور بورمستر O.H.E. Burmester فيذكر أنَّها الجهة الجنوبيَّة الغربيَّة منه (١٩٧). ويذكر ”مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)“ ما يلي: ”ويتدئون بالدَّفن وتلاوة المزامير وترتيبه هكذا، يدخلون إلى الهيكل، ويلف الكاهن أيقونة الدَّفن إن وجدت أو أيقونة الصَّليب بستر كريم. والأجمل أن يكون أبيض كتنان، ويحيل الورد حولها في ستر كتان أبيض غيره (١٩٨)، ليكون ذلك يقي الأيقونة من طلاوة الورد لئلاَّ تبلى، فإنك تتحرز عليها غاية الاحتراز لئلاَّ

١٩٥- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٤١
١٩٦- وهو ما يذكره ”مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)“، و ”مخطوط دلال المعلقة (ق ١٦)“ على سبيل المثال.

197- Burmester, *Egyptian or Coptic Church ...*, op. cit., p. 287.

١٩٨- يقول ”مخطوط دلال المعلقة (ق ١٦)“: ”... وإن تُرك الورد حوالها (أي حولها) كان أخير، ويدفن الصَّليب الكريم في الورد، ويغطي بالإبروسفارين ... الخ.“ وهو نفس ما يذكره ”مخطوط دلال حارة زويله (ق ١٧)“.

يتلفها ماء الورد. ويكون الصليب أيضاً مدفون في الورد. ثم يوضع كرسي الكأس^(١٩٩)، ويستتر جميع ذلك بالإبروسفارين، ويجعلون حول الهيكل شمعتين، توضعان على منارتين مثال الملاكين اللذين كان الواحد عند الرأس، والآخر عند الرّجلين، ويحترزون على الكسوة والإبروسفارين منهما ويكفي الرب من ذلك ... الخ“.

ولم تذكر المخطوطات قيد الدراسة سوى الورد الذي تُدفن فيه أيقونة الدفن، أو أيقونة الصليب، ومعها الصليب. وهو نفس ما يذكره دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد المطبوع سنة ١٩٢٠م. وأما اليوم، فيستخدمون الحنوط أيضاً مع الورد.

والحنوط المستخدمة هي مسحوق ناعم، مكوّنتها الأصلية هي: جوزة الطيب، حبّهان، زر الورد، سُنبل، خزامي، سليخة، عود الصليب، قرفة، قرنفل، قصب الذريرة، مُر، وميعة^(٢٠٠).

ترتيل المائة والخمسين مزموراً

تتفق المخطوطات على أنه بعد الانتهاء من مراسيم الدفن، يقول كبير الكهنة المزمور الأوّل، وثاني الكهنة يقول المزمور الثّاني، وثالث الكهنة يقول المزمور الثّالث، وعند القول: «أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت ... الخ»، ينزلون من الهيكل، وهو ما تتفق عليه معظم المخطوطات. أما ”مخطوط دلال“ حارة الرّوم (ق ١٥)“، فيذكر أنّ الكاهن الذي يقوم بمراسيم الدفن، هو الذي يقول الثّلاثة مزامير الأولى، حتى إلى الآية المذكورة.

١٩٩- هذه العبارة - بالبنط الثقيل - لم ترد في الدّلال المطبوع، وفي كثير من المخطوطات الأخرى.

ويذكر "مخطوط دلال أنبا شنوده (ق ١٤)" أنه بعد ترتيل الثلاثة مزامير الأولى، ينزلون من الهيكل، وتُقفَل أبواب المذبح، ويوزعون المزامير الـ ١٥٠ على الكهنة والشمامسة.

ختاماً

في الكنيسة السريانية، وبعد خدمة دفن الصليب، يرتلون الثلاثة تقديسات "قدوس أنت يا الله، قدوس أنت أيها القوي، قدوس أنت غير المائت، يا من صُلبت لأجلنا، ارحمنا".

ويقول الطقس السرياني في طلبه لما أفرآم: "لقد دخل الإله، وحلّ في القبر كإنسان، وأظهر في عظام الأبرار قوة إلهيته، فعرفوه بأنه سيأتي ويقوم أجسادهم من التراب، فتهتفوا مجداً لنعمته، لأنه تنازل لافتقادهم".



المراجع

أولاً: المراجع العربيّة

- إبيفانيوس (القديس) أسقف قبرص، عظة عن "سبت الفرح"، ترجمة دكتور جوزيف موريس فلتس، الطبعة الثانية، مارس ٢٠٠٨م.

- التعلّم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، Catechismus Catholicae Ecclesiae، الترجمة العربيّة، المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٩٩م، عن النّص الأصلي اللاتيني، المنشور في الفاتيكان، سنة ١٩٩٧م.

- القُدّاس الإلهي لأبينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم، منشورات الثّور، ١٩٦١م.

- المجلة البطريركيّة، العدد ١٣٨، تشرين أوّل ١٩٩٤م.

- المخطوطات الواردة في مستهل هذا الكتاب.

- جورج نصور (الأب)، أقدم النصوص المسيحيّة، سلسلة النصوص اللاهوتيّة، كليمنديس الرّوماني، وراعي هرماس، الكسليك، لبنان، ١٩٧٥م.

- حنانيا إلياس كساب (أرشيمندرت)، مجموعة الشّرع الكنسي، منشورات الثّور، بيروت، ١٩٧٥م.

- رابطة مرتلي الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، مشتهي الثّفوس في ترتيب الطّقوس، القاهرة، ١٩٨٦م.

- ساويرس بن المقفّع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصريّة المعروف بسير البيعة، (المنسوب) لساويرس بن المقفّع أسقف الأشمونين، المجلد الثّاني، الجزء الثّالث، قام على نشره يسى عبد المسيح، وعزيز سوريال وأسولد برمستر، القاهرة ١٩٥٩م.

- صموئيل (الأبنا) أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن

مخطوطات البطريكية بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الثالث، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- غريال الخامس (البابا)، الترتيب الطقسي، مطبوعات المركز الفرنسيكاني للدراسات المسيحية الشرقية، القاهرة، ١٩٦٤م.

- كتاب الخولاجي المقدس، أي كتاب الثلاثة القداسات التي للقدس باسيليوس والقدس غريغوريوس والقدس كيرلس مع صلوات أخرى مقدسة، وهو مصحح ومستوفى الترتيب عن يد القمص عبد المسيح صليب. طبع في مصر بمطبعة عين شمس سنة ١٦١٨ للشهداء، ١٩٠٢ أفرنكية.

- كتاب اللقان والسجدة المشتمل على لقان عيد الغطاس والخميس الكبير وعيد آباءنا الرسل وما يقرأ في صباح أحد العنصرة وثلاث السجعات التي تتلى في عشية هذا اليوم كترتيب آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. طبع بأمر صاحب النيافة الأب الأقدس الأنبا يوانس مطران الإسكندرية والبحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية الكلي الاحترام، وذلك في عهد رب الخصائص القدسية الجالس على السدة الرسولية الأنبا كيرلس الخامس بابا وبطريك الكرازة المرقسية والثاني عشر بعد المائة من خلفاء القديس مرقس الرسول. عني بضبطه وتنقيحه القمص باخوم اليرموسي وكيل بطريكية الإسكندرية، والشماس عريان فرج مدرس اللغة القبطية بالمدارس المرقسية بإسكندرية، ١٦٣٧ للشهداء الأطنهار/ ١٩٢١ مسيحية.

- كتاب دلال وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد، حسب تقليد وترتيب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، طبع بأمر غبطة السيد البابا المعظم الأنبا كيرلس الخامس، ١١٢ من عدد باباوات الكرسي المرقسي الإسكندري، عني بتصحيحه وتنقيحه وضبطه وطبعه، القمص فيلوثاؤس المقاري، والقمص برنابا اليرموسي، والمعلم ميخائيل جرجس مرثل الكنيسة المرقسية الكبرى، مطبعة عين شمس، القاهرة، ١٩٢٠م.

- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء الأول، مكتبة الكاروز، القاهرة، ١٩٧٩م.

- ماجد صبحي رزق (الدكتور)، "شخصيات من تاريخنا (٢) القمص - إرميا الناسخ والقس سركيس"، مجلة "الكرمة الجديدة ٢٠٠٥م"، رابطة خريجي الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس.
- مخطوط رقم (١٥ طقس). مكتبة البطريركية بالقاهرة (وبرقم مسلسل ١٨٠ في كتالوج المخطوطات لمرقس سميكة باشا).
- ميلاتيوس بصل (الأرشمندريت د.د، رئيس دير تجلي الرب، وهو الرئيس الروحي في رام الله واللواء)، كراس خدمة الغسل الشريف التي تُقام يوم الخميس العظيم، ٢٠٠١م.
- وديع الفرنسيسكاني (الأخ)، دراسات شرقية مسيحية، مجموعة ٣٤، مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة - القدس، ٢٠٠١م.
- وديع الفرنسيسكاني (الأخ)، دراسة عن المؤمن ابن العسال، وكتابته "مجموع أصول الدين" وتحقيقه، مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة - القدس ١٩٩٧م.
- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي، مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة، ١٩٦٦م.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- A Dictionary of Liturgy and Worship.
- Alfred Butler, *The Ancient Coptic Churches of Egypt*, London, Vol.1, 1884.
- *Ancient Christian Commentary on Scripture, New Testamen XI*, U.S.A., 1947.
- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L.

Cross, London, 1958.

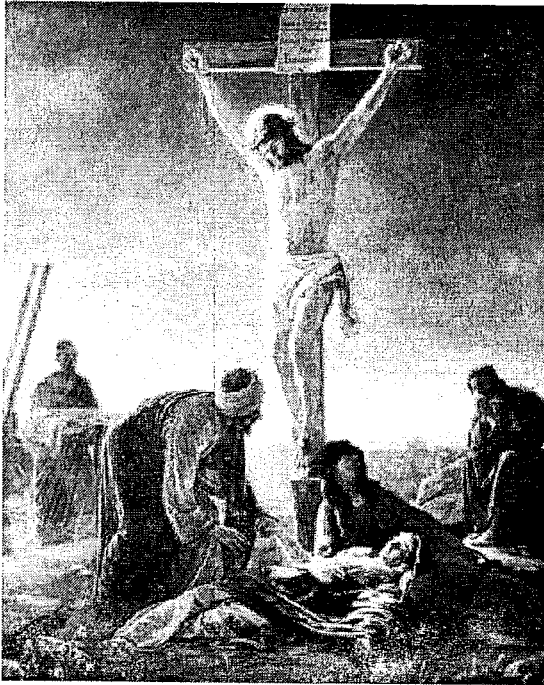
- Botte, B., o.s.b., *Le lectionnaire arménien et la fête de la théotokos à Jérusalem*, in *Sacris Erudiri* ii (1949).
- Brightman, F.E., *Liturgies Eastern and Western*, vol. 1, Eastern Liturgies, Oxford, 1967.
- Burmester, O.H.E. Khs, *Le lectionnaire copte de la semaine sainte*, dans *Patrologia Orientalis* (PO) 24, fas.2, Paris, 1933.
- Burmester, O.H.E. Khs, *Le Muséon* t. XLV (1932).
- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967.
- Burmester, O.H.E. Khs, *The Greek Kirugmata, Versicles and Responses and Hymns in the Coptic Liturgy*, Roma 1936.
- Burmester, O.H.E. Khs, *The Two Services of the Coptic Church Attributed to Peter, Bishop of Behnasa, ...*
- Cross, F.L. & Livingstone, E.A. *The Oxford Dictionary of The Christian Church* (ODCC), (2nd edition), 1988.
- *Dictionnaire de la Bible*, t. II, Paris, 1934.
- Gregory Dix, Dom, *The Shape of Liturgy*, London, 1982.
- H.G.Evelyn White, *The Monasteries of Wadi 'n Natron*, Part I.
- Ignace Ephrem II Rahmani, *Les liturgies orientales et occidentales*, mount Liban, 1924.
- King Archdale, A., *The Rites of Easter christendom*, vol. II,

Tipografia Poliglotta vaticana, 1947.

- Patrologia Orientalis (PO), tom. 5, fasc. 1.

- Studia Orientalia Christiana, *Collectanea 34, Studia – Documenta*, The Franciscan Center of Christiana Oriental Studies, Cairo – Jerusalem, 2001.

- Ugo Zanetti, *Les manuscrits de dair Abu Maqar*, Genève, 1986.



الدَّرَّة الطَّقْسِيَّة للكنيسة القبطية بين الكنائس الشرقية

للرَّاهب القس أنثاسيوس المقاري

www. Athanase. net

♦ السِّلْسَلَة الأُولَى: مصادر طقوس الكنيسة

الرَّقْم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
١/١	الدَّيْدَاخِي أي تعليم الرُّسُل (طبعة ثانية)	يناير ٢٠٠٦ م
١/٢	التَّقْلِيد الرُّسُولِي (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦ م
١/٣	المراسيم الرُّسُولِيَّة - دراسة موجزة - نص الكتاب الثامن	أكتوبر ٢٠٠٤ م
١/٦	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية - الكتابات اليونانية	يناير ٢٠٠٣ م
١/٧	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية - الكتابات القبطية	يوليو ٢٠٠٦ م
١/١٠	قوانين البابا أنثاسيوس بطريرك الإسكندرية (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦ م
١/١١	قوانين هيوليتس القبطية	أكتوبر ٢٠٠٤ م
١/١٤	قوانين بطاركة الكنيسة القبطية في العُصور الوُسْطَى	يوليو ٢٠١٠ م

♦ السِّلْسَلَة الثَّانِيَة: مقدّمات في طقوس الكنيسة

الرَّقْم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
٢/١	الكنائس الشَّرْقِيَّة وأوطانها - الجزء الأوَّل: رؤية عامة - كنيسة المشرق الآشورية (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦ م
٢/٢	الكنائس الشَّرْقِيَّة وأوطانها - الجزء الثَّانِي: كنيسة مصر	يناير ٢٠٠٧ م
٢/٣	الكنائس الشَّرْقِيَّة وأوطانها - الجزء الثَّالِث: الكنائس الشَّرْقِيَّة القديمة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦ م
٢/٤	الكنائس الشَّرْقِيَّة وأوطانها - الجزء الرَّابِع: الكنائس البيزنطية	يناير ٢٠٠٥ م
٢/٥	الكنيسة، معناها ومعناها (طبعة ثانية)	مايو ٢٠٠٨ م
٢/٦	مُعْجَم المصطلحات الكنسية، الجزء الأوَّل (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٤ م
٢/٧	مُعْجَم المصطلحات الكنسية، الجزء الثَّانِي (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٥ م
٢/٨	مُعْجَم المصطلحات الكنسية، الجزء الثَّالِث (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٨ م

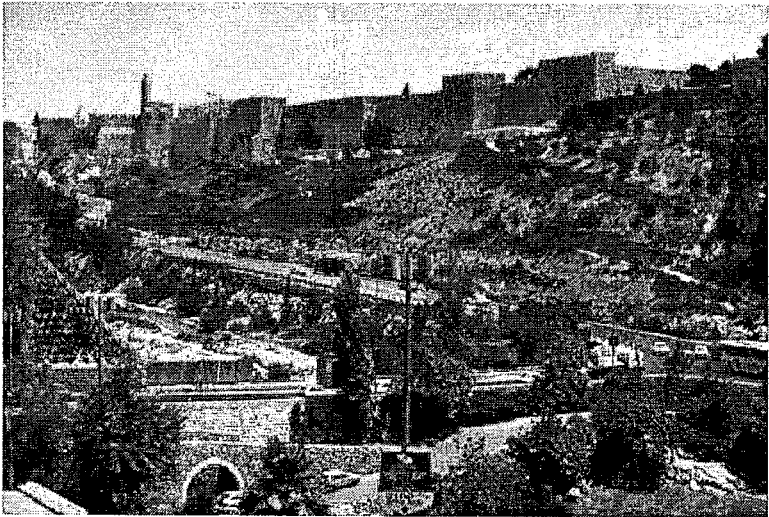
♦ السِّلْسَلَة الثَّالِثَة: طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

الرَّقْم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
٣/١	معمودية الماء والرُّوح (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٩ م
٣/٢	سرُّ الرُّوح المُقَدَّس والميرون المُقَدَّس	مارس ٢٠٠٧ م

تاريخ النشر	اسم الكتاب	الرقم
نوفمبر ٢٠٠٥ م	تسبحة نصف الليل والسنحر	٣/٣
يناير ٢٠٠٦ م	صلوات رفع البحور في عشية وباكر	٣/٤
يناير ٢٠٠٨ م	القدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله، الجزء الأوّل	٣/٥
يناير ٢٠٠٨ م	القدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله، الجزء الثاني	٣/٦
نوفمبر ٢٠٠٩ م	الدبلة والإكليل (طبعة ثانية)	٣/٧
أكتوبر ٢٠١٠ م	الأحبية أي صلوات السّواعي (طبعة ثانية)	٣/٨
أكتوبر ٢٠٠٧ م	التاريخ الطّقسي لسرّ التّوبة والاعتراف	٣/٩

♦ السّلسّلة الرّابعة: طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

تاريخ النشر	اسم الكتاب	الرقم
يوليو ٢٠٠٩ م	الزّمن الطّقسي بين عيدي التّبروز والصّليب	٤/١
يناير ٢٠٠٩ م	صوم نينوى والصّوم المقدّس الكبير	٤/٤
يناير ٢٠١٠ م	البصحة المقدّسة - الجزء الأوّل	٤/٥
يناير ٢٠١٠ م	البصحة المقدّسة - الجزء الثاني	٤/٦



وادي ابن هنوم ويقع مقابل السور القديم لمدينة أورشليم